# مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية فصلية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن

مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–

عمان

الأردن

## المجلد 02 العدد 04



**إدارة المجلة**

المشرف العام: أ/د خالد الخطيب، عمان –الأردن–

نائب المشرف العام: الدكتور صائب كامل اللالا، جامعة الأميرة نورة، السعودية

مدير المجلة: أ/د فوزي بن دريـــدي جامعة محمد الشريف مساعدية –سوق اهراس –الجزائر

رئيســـــة التحرير: د/ نعيمة رحماني جـــــامعة أبي بكر بلقايـــد –تلمســـــان– الجزائـــر



**عنوان المجلة**

مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح)

عمان –الأردن–

شارع وصفي عمان

الهاتف /الفاكس: 0096265153561

البريد الإلكتروني: inforemaah@gmail.com

**10 مارس 2019م**

**ISBN :978–9957–67–204–1 – ISSN (ISSN–L):2617–9857**

مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية فصلية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن

مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–

عمان– الأردن–

# التصنيف ضمن قواعد البيانات العالمية:

**مصنفة ضمن قاعدة بيانات أسك زاد ASK ZAd**

مقرها بالولايات المتحدة الامريكية، والامارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية

**مصنفة ضمن قاعدة بيانات دار المنظومة Dar Almandumah**

مقرها بمدينة الرياض، المملكة السعودية.

مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية فصلية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن

مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–

عمان– الأردن–

# الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ أحمد أويصال مدير مركز دراسات الشرق الأوسط تركيا

أ.د/ فؤاد الدراويش، جامعة طوليدو، أمريكا أ.د/ لودوفيك زاهد، معهدcalem، فرنسا

أ.د/ هاني العريان، جامعة أليكانتي، اسبانيا أ.د/ حاجي دوران، جامعة جيلشيم، تركيا

أ.د/ خالد الجندي، الجامعة اللبنانية، لبنان أ.د/سعيد المصري، جامعة القاهرة، مصر

أ.د/ فاضل بيات، مركز إرسيكا، تركيـــا أ.د/ ماغي حسين عبيد، الجامعة اللبنانية، لبنان أ.د/ يوسف قاسمي، جامعة قالمة، الجزائر أ.د/ خليف مصطفى حسن غـــــرايبة، جامعــة البلقـــــاء، الأردن أ.د/ رحيم حلو محمد البهادلي، جامعة البصرة، العراق أ.د/ ماجد بن عبد العزيز بن ناصر التركي، مركز الاعلام والدراسات العربي–الروسية، الرياض، السعودية

مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–

عمان– الأردن–

# الهيئة العلمية التحكيمية

د/عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الشقير، جامعة الملك سعود، السعودية

د/اسلام البوريني، جامعة الفلاح، الامارات

د/سوسن عبد اللطيف، الجامعة الامريكية، مصر

د/أفاق أحمد، جامعة عليكره الإسلامية، الهند

د/احمد محمد احمد سلامة، جامعة سامراء، العراق

د/علي سيف سعود اليعربي، جامعة البطانة سلطنة، عمان

د/سليمان موصلي، الجامعة العربية الدولية، سوريا

د/دعاء عبد الرحمن محمد مصطفى، جامعة حائل، السعودية

د/ مولاي عمر صوصي، جامعة القرويين، المغرب

د/حمادة عبد الرزاق علي حمادة، جامعة القصيم، السعودية

د/عبد الرزاق محمود إبراهيم جامعة دهوك العراق

د/ أحمد عبد الله محمد آدم، جـــامعة الجزيرة، الســـــــــودان
د/سميرة الـــولهازي جـــــامعة جنـــــــدوبة تـــــــونس
د/رضا ســـلاطنية، جـــامعة ســـوق اهـــــراس، الجزائـــــــر
د/أروى الجـــــعبري، الجـــــامعة الأردنيـــــــة، الاردن
د/عبد الســـلام أحمد الـــدار، جـــامعة تعـــز، اليمـــن
د/ خالد بن محمد بن احمد السعدي، جـــامعة الباطنة سلطنة، عمـان
د/عـــلي ســـعيد المهنـــكر جـــــامعة ليبيـــــا
د/ولد الزين ولد الامام، جـــامعة نواكشـــط، موريتانيـــا
د/ خليل عبد الله علي حسن، جامعة غرب كـــردفان، الســـودان
د/جهاد علي فلاح الســعايدة، جامعة البلقـــاء التطبيقية، الأردن
د/ محمـــود الـــدريني، جـــامعة الازهر، مصـــــر
د/ إلـــكير كـــالان، جـــامعة أنقـــرة تركيـــا
د/محمـــد خـــالد الـــرهاوي، جـامعة باشاك شهير، تركيـــا
د/إكرامي بسيوني عبد الحي خطاب، جـــامعة طنطـــا، مصـــر

# شروط النّشر في المجلّة

1-تنشر مجلّة دراسات في العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرصّينة والتي تلتزم بالموضوعيّة، وتتوافر فيها الدّقة والجديّة.

2-كلّ بحث لا يحترم شروط النّشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

3- تخضع كلّ الأبحاث إلى التّحكيم من قبل هيئة مختصّة، ويلقى البحث القبول النّهائي بعد أن يقوم الباحث بالتّعديلات المقترحة.

4-للمجلّة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلّة.

5-لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.

6-يتعهّد الباحث بعدم تقديم البحث للنشّر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، إلاّ بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلّة.

7-لا تتجاوز صفحات البحث المقدّم 15 صفحة.

8- على الباحث احترام شروط الكتابة التّالية:

*تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة، البريد الالكتروني للباحث، ملخّص للدّراسة في حدود 150 كلمة حجم 12 بلغة المقال وبلغة أجنبيّة (الإنجليزية)، الكلمات المفتاحيّة بعد الملخّص.

*تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم 14، تكتب العناوين الرئيسيّة والفرعيّة للفقرات بحجم 14 مثلها مثل النصّ الرئيسيّ لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللّغة اللاتينيّة فتكتب بخط Time new Roman، بحجم 12 وتكون الحواشي 4 سم على جوانب الصّفحة الأربعة، كما تدرج الرّسوم البيانيّة والأشكال التوضيحيّة في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحيّة

أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها.

*يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة **APA American Psychological Association**

*بالنّسبة لعلامات الترقيم، توضع النّقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النّقطة وبداية الجملة التّالية. كما لا توضع النّقطة (.) أبدا في العناوين، أمّا إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعيّ والآخر رئيسيّ فيفصل بينهما بنقطتين.

*يجب إدراك الفرق بين الفاصلة بالعربية (،) والفاصلة بالأجنبية(,) واستغلالهما في الكتابة المناسبة، كما تكتب الفاصلة بعد الكلمة مباشرة ولا يوجد فراغ بينهما.

*تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.

*عدم تزيين النصّ بالألوان والخطوط العريضة وتكبير الحجم، يجب احترام الشروط المعروضة سابقا.

* ضبط اتّجاه النصّ بالعربيّة من اليمين الى اليسار، والنصّ بالأجنبيّة من اليسار الى اليمين، وضبط اتجاه الجمل في النّصوص إذا كانت باللّغة العربيّة او بالأجنبيّة.

* عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللّجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

**9-** الأفكار والآراء التي يتضمّنها البحث لا تعبّر عن رأي المجلّة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ هيئة تحرير المجلّة غير مسؤولة عن أيّ سرقة علميّة تتم في البحوث المقدّمة لها.

**10-** يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلميّ والثقافيّ.

**11-** ترسل الأبحاث الى ايميل المجلة **inforemaah@gmail.com**

مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية فصلية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن

مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–

عمان– الأردن–

# الفهرس


| | |
|---|---|
| كلمة مدير المجلة | ص10 |
| الانتقال من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية ا/لتشاركية ( المحلية )<br>مفتاح السياسات المحلية الرشيدة.<br>الدكتور ابرادشة فريد | ص11 |
| العنف الأسري وعلاقته بالصحة النفسية لدى المرأة المعنفة<br>الدكتور عداد وسام الدكتور بخوش وليد<br>الدكتور جغلول زغدود | ص38 |
| تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية<br>–دراسة تحليلية لمستخدمي الفايسبوك–<br>الدكتورة غروبة سلمى | ص62 |
| المواطنة في فكر الأمير عبد القادر دراسة تاريخية واجتماعية<br>الدكتور عبد القادر سلاماني | ص85 |

| | |
|---|---|
| السعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي<br>دراسة فارقيه على عينة من الأساتذة بولاية البويرة –الجزائر–<br>الدكتور عبد السلام قبلي الدكتورة إيمان تقزال | ص110 |
| دراسة مفتاحية للرسائل المحمدية<br>الأستاذ الدكتور محمد موسوني | ص135 |
| صدى الأنوثة في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق –جدل المسموع والمقموع<br>الدكتور ناصر بركة | ص163 |
| الأنساق الثقافية في رواية: "أنا وحاييم" للحبيب السائح<br>الدكتورة وافية حملاوي | ص180 |
| استقصاء حضور المتلقّي في النقد العربي القديم<br>في كتاب "الوساطة بين المتنبّي وخصومه" للقاضي الجرجانيّ392هـ.<br>الدكتور بوخال لخضر | ص196 |
| المنحى الطبيعي وأصالة التعاريف التقريبية في النحو العربي<br>الدكتور بن مسعود محمد العربي | ص211 |

# كلمة مدير المجلة

مجلّة دراسات في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة مجلّة دوليّة علميّة أكاديميّة محكّمة وفصليّة متخصّصة، تصدر عن مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح– بالأردن، تعنى بنشر الأبحاث ذات الصّلة بالعلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة.

تسعى المجلة إلى خلق فضاء معرفيّ يتيح الفرصة للباحثين أساتذة وطلبة من أجل المساهمة في تطوير المعرفة في خلال عرض اسهاماتهم النظريّة والميدانيّة التي تعبّر عن آرائهم العلميّة من داخل الأردن ومن خارجها. والتي تتّسم بالجودة العلميّة مع احترام أصول البحث العلمي وسلامة المنهجيّة المتعارف عليها عالميّا، ومن ثمّ فهرسة المجلة في القواعد الدوليّة.

تصدر مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعيّة باللغات العربية والفرنسية والانجليزية والاسبانية والتركية، وتنشر الأعمال الفردية أو المشتركة، وكذلك الأعمال المنجزة في إطار المشاريع البحثية، والمؤتمرات والندوات الدولية والوطنية. كما تنشر الدراسات المتخصصة، والدراسات المعرفية لمختلف العلوم الأخرى بما تقتضيه الضرورة في قسمين؛ قسم للدراسات العربية وقسم للدراسات الأجنبية. ويتم الاشراف عليها من قبل الهيئة العلمية الاستشارية والهيئة العلمية التحكيمية.

**مدير المجلة**

# الانتقال من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية ا/لتشاركية ( المحلية )
# مفتاح السياسات المحلية الرشيدة.

**الدكتور ابرادشة فريد**

**جامعة محمد بوضياف المسيلة . الجزائر.**

**تاريخ الإيداع: 2019/02/17 م تاريخ التحكيم: 2019/02/22م تاريخ القبول: 2019/02/25م**

**ملخص:**

سنتطرق من خلال هذه الدراسة إلى إشكالية التطور الذي عرفته ومازالت تعرفه النظرية الديمقراطية خاصة ما تعلق منها بفكرة الديمقراطية المحلية وتحديدا الديمقراطية التشاركية، هذه الفكرة التي أكدت على ضرورة وإلزامية انتقال النقاشات العالمية حول الديمقراطية من فكرة التمثيل أو النيابة الى التشارك أو الشراكة، ولا يكون هذا طبعا إلاّ بهدف ترشيد السياسات العامة للدولة وبناء نموذج جيد للحوكمة والعقلانية. هذا الأمر طرح العديد من علامات الاستفهام خاصة ما تعلق بفكرة إصلاح الديمقراطية وتقويمها و تحديدا مقاربة إصلاح أو سد الثغرات التي عرفتها ومازالت تعرفها فكرة الديمقراطية التمثيلية، تلك الديمقراطية التي لم تعد تستجيب في عالمنا النامي لا للتطلعات الجماهيرية، ولا لتدعيم برامج الحوكمة المحلية، هذه الحوكمة التي تعتبر بدورها عماد السياسة العامة للدولة.

**كلمات مفتاحية:** الديمقراطية التشاركية، الديمقراطية المحلية، السياسات العقلانية، الحكم الراشد.

# The transition from representative democracy to participatory (local) democracy: the key to rational local policies.

**Dr. Bradcha Farid**

**University of Mohamed Boudiaf, M'sila, Algeria.**

**Abstract**

In this study, we will examine the problem of development that democratic theory has known and still knows, especially with regard to the idea of local democracy, specifically participatory democracy, which emphasized the necessity and necessity of the transition of global debates on democracy from the idea of representation or prosecution to partnership or partnership. With the aim of rationalizing the state's public policies and building a good model of governance and rationality. This has raised many question marks, especially regarding the idea of reforming democracy.

***Keywords:*** Participatory democracy, Local democracy, rational policies, Good governance.

# الانتقال من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية ا/لتشاركية ( المحلية )
# مفتاح السياسات المحلية الرشيدة.

**الدكتور ابرادشة فريد**

**جامعة محمد بوضياف المسيلة . الجزائر.**

**مقدمة:**

ينطلق مجموعة من علماء الاجتماع والسياسة من أمثال العلامة غابريال ألموند، ديفيد إيستون، هارولد لازويل...الخ من فكرة أنّ النظام الاجتماعي هو عبارة عن نظام كلي تتفرع منه باقي الأنظمة من سياسة واقتصاد ومجتمع وثقافة... الخ. (جندلي، 2005، ص 227). ولهذا فإننا من دون أدنى شك سوف نلحظ الأهمية القصوى التي يوليها هؤلاء وغيرهم كثير نحو فكرة تمجيد و تقديس مكانة النظام الاجتماعي في الدولة والمجتمع، والذي لا يكون حركيا أو متقدما إلاّ إذا أعطيت له الحرية اللازمة والاستقلالية الملائمة لاستمراره، تلك الحركية التي بدورها لن تكون فعالة إلاّ إذا تم إسناد الدور الأساسي فيها الى تلك الجماهير الشعبية حتى تمارس شؤونها بنفسها، وذلك لأنها هي التي تمثل النظام الكلي للدولة وبدونها لا فائدة من وجود نظام في الأساس، وهو ما يقودنا اليا الى التطرق الى فكرة الديمقراطية في الفضاء المحلي أو الديمقراطية التشاركية، مع ضرورة تحليلها وتفسيرها تفسيرا معاصرا يتماشى مع الموجة الجديدة للديمقراطية المحلية الجوارية.

يتفق معظم علماء الغرب حين ينظرون إلى علم السياسة على أنه العلم الذي يدرس عملية صنع القرار، وطبعا عملية صنع القرار التي لا يكون الشعب طرفا فيها، هي في الحقيقة عملية لا علاقة لها بالديمقراطية، بينما يذهب ألموند G. Almond الى أكثر من ذلك حينما يرى بأنّ الممارسة السياسية في حد ذاتها هي عملية صنع القرار، من خلال ضرورة إشراك أكبر عدد من الفاعلين فيها، وفي مقدمة هؤلاء الفاعلين المواطنين طبعا. ( الفقيه،

https://abuyemen.wordpress.com ). وعلى هذا الأساس فإنّ الجماعات المحلية هي أفضل وأنسب مجال لإشراك أكبر عدد من الناس في شؤون الحكم، وهؤلاء الناس بالتأكيد سوف يشكلون بالدرجة الأولى مجموع مواطني تلك الوحدة المحلية سواء كانت بلدية أم مدينة أم مقاطعة أو ولاية.

إنّ هذه الحرية في الحقيقة تعني مدى قدرة تلك الجماهير على المشاركة في شؤون الحكم واتخاذ القرارات في الجماعة المحلية التي ينتمون إليها وفي الدولة ككل، وليس بمجرد المشاركة في الانتخابات سيتم اعتبار ذلك تجسيدا لفكرة الديمقراطية، لأنّ هذه المشاركة التي يراها البعض من الذين يدافعون عن هذا النوع من الديمقراطية الشكلية، ليس مجال البحث الذي نحن بصدد الخوض فيه، إنها في الحقيقة ديمقراطية من نوع أخر، إنها ديمقراطية تعنى باللب ( الجوهر) لا بالقشور، فالمشاركة الجديدة كما يصورها لنا المدافعون عن هذه الموجة الرابعة إن صح التعبير من التحول الديمقراطي. لأنه في الواقع الجميع يعتبرون المشاركة في حد ذاتها القلب النابض للديمقراطية وبدونها لا وجود لشيء اسمه حكم شعبي على الطريقة اليونانية ديموس كراتوس.

**أولا: مفهوم الديمقراطية التشاركية**

ينطلق العديد من الدارسين لنظرية الديمقراطية من أنّ مفهوم التشاركية إنما ظهر في الأساس نتيجة لعدم قدرة النظام النيابي على تلبية مختلف تطلعات وآمال المواطنين الذين بدرهم أيقنوا وتيقنوا دائما بأنّ العلاقة بينهم وبين ممثليهم في مختلف المجالس عادة ما تنتهي مباشرة بانتهاء العملية الانتخابية. (مغربي، 2018، ص 555 ). إنّ هذا الاتجاه أو الرأي في الحقيقة لم يعد مجرد كلام أو طرح نظري، فهو واقع تعيشه جميع شعوب العالم خاصة النامية والمتخلفة منها، إذ وبمجرد انتهاء العملية الانتخابية وظهور نتائج الاقتراع ، فإنّ العلاقة الوطيدة التي كانت بين الناخب والمنتخب تنتهي الى طريق مسدود، وأنه عادة أو غالبا ما

تؤول تلك العلاقة الحميمة بين الطريفين إلى طلاق دون سابق إنذار. إذن ففكرة الديمقراطية التشاركية على هذا المنوال هي أرقى من فكرة الديمقراطية التمثيلية أو النيابية، أو أنها على الأقل المسار التطوري الحتمي الذي لابد أن تؤول إليه فكرة النيابة، تلك النيابة التي في الواقع قد نفعت لزمن معين، و لهذا فعندما احتاج المواطن لتحسين ظروف حياته، ظهرت فكرة الديمقراطية التشاركية التي أصبحت تراهن على المواطن في رسم وصنع قراراته وسياساته وتقرير متطلباته وحاجياته بنفسه باعتباره الأدري بها، عكس النائب أو الممثل الذي يختاره المواطن والذي قد لا يتفهم متطلبات الجماهير أبدا، وهذا الأمر واضح بيّن ومجرب، كون الشخص الذي يشعر بالألم ليس كمن يوصف له ذلك الألم.

يؤكد الدكتور عبد المجيد رمضان، بأنّ الديمقراطية التشاركية تراهن على أسبقية المواطن وضرورة منحه القيمة الفعلية الذاتية الحقيقية بنفس القدر الذي تتمتع به سلطات الدولة، وذلك لأنّ عمل كل طرف لوحده لا يصنع الحضارة ولا التنمية، وبالتالي فإنّ مشاركة هذا المواطن في صنع حاضره ومستقبله هو الجوهر الذي تنطلق وتصبو اليه الدمقراطية التشاركية. (رمضان، 2017، ص 77 ).

زد على ذلك فإنّ التجربة التاريخية تبين بأنّ أحد أهم الأسباب التي أدت الى ظهور فكرة الديمقراطية التشاركية مكان الديمقراطية النيابية، هي فكرة احتجاج المواطنين المحليين على عدم قدرة ممثليهم في مختلف المجالس على تمثيلهم، ولهذا فقد كانت البرازيل أول دولة تقرر هذا الأمر ميدانيا في مدينة مونتو أليغري ثم من خلال إصدارها في دستور 1988، لتنتقل هذه الفكرة فيما بعد وبالتحديد في مرحلة الثمانينيات إلى كل من بريطانيا وألمانيا ثم فرنسا التي رأت أن تطلق عليها تسمية الديمقراطية الجوارية بدل التشاركية. ( مغربي، ص 555) لقد ورد في في هذا الصدد تقرير لصندوق الأمم المتحدة للديمقراطية يتطرق الى وضع الديمقراطية التشاركية للعام 2014، وقد لخص مقومات تلك الديمقراطية المستحدثة وفق الآتي: ( صندق الأمم المتحدة للديمقراطية، 2014، ص 3).

. هو نظام بلامركزية أكبر ( الحكامة المحلية) فسح المجال أمام المواطن المحلي في مواجهة الممثل أو النائب مع عدم إلغاء دوره فالكل حسب هذا النموذج يكمل بعضه.

. تخصيص استثمارات أكبر لبناء القدرات المحلية

. تأهيل عدد أكبر من النساء القياديات، لأنه معلوم بانّ المرأة تمثل نصف المجتمع وبالتالي تمثل نصف الهيئة الناخبة ولذلك فمن منطلق العدالة الديمقراطية أن يكون لها نفس التمثيل ونفس الحقوق ونفس الواجبات، مع بعض الاستثناءات ، إذا تحدثنا عن نسبية فكرة المساواة، وذلك لوجود بعض الفروق الموضوعية التي لا يجب إنكارها مثلما يفعل الغرب.

. تسهيل الولوج إلى التكنولوجيا و شفافية الحصول على المعطيات وجودتها ومصداقيتها

. مزيد من الاعتراف على المستوى العالمي من خلال نشاطات المجتمع المدني ومنظمات حقوق الانسان والدفاع عن البيئة.

. إشراك أكبر عدد من المواطنين في شؤونهم العامة والمحلية، مما سيدفع نحو إعادة بعث الديمقراطية التمثيلية من جديد فالديمقراطية المشاركاتية هي بمثابة إنذار أحمر للمنتخبين المحليين والوطنيين حتى يكونوا في مستوى تطلعات الجماهير المتعطشة للإصلاح والتنمية.

**ثانيا: أهمية الديمقراطية التشاركية في عملية رسم السياسات العامة**

على الرغم من أنّ الجزائر تتبنى نظاما ديمقراطيا تمثيليا في عديد المجالس الشعبية المحلية، إلاّ أنّ تلك الديمقراطية التمثيلية عادة لم تكن تسمح للمواطنين حقيقة ولا عمليا بإبداء أراءهم ولا بطرح انشغالاتهم بالشكل الصحيح، ولذلك كثيرا إن لم نقل غالبا ما تجد العديد من تلك القوانين الصادرة عن تلك المجالس تعرف مقاومة شرسة وكبيرة من طرف أولئك المواطنين، الذين من المفترض أنها قوانين موجهة في الأساس لهم لخدمتهم ولمصلحتهم، ومن هنا جاءت

الأهمية الى التحول نحو فكرة الديمقراطية المباشرة التشاركية التي تتيح وتفتح المجال أمام المواطن حتى يتحمل جزء من المسؤولية نتيجة اختياراته. (برابح، 2012، ص ص 105 . 106). وبهذا الشكل المعاصر للديمقراطية سوف تقل الكثير من الضغوطات على السلطات المركزية، التي عادة ما تواجه مثل هذه الانشغالات والمشاكل في كل زيارة لمسؤول مركزي سواء كان هذا المسؤول وزيرا أو مديرا أو حتى الرئيس ذاته، مع أنه من المفروض أن لا تتعدى هذه المشاكل مكتب رئيس البلدية أو رئيس الدائرة ( بصفته وسيطا بين البلدية والولاية) أو الوالي على أكثر تقدير.

**ثالثا: معايير المقارنة بين الديمقراطية التشاركية و التمثيلية**

طبعا من خلال تسمية كل ديمقراطية بمسمى معين فإنّ هناك فرقا بين التسميتين ، ولهذا فحينما نقوم بمقارنة فكرة الديمقراطية التمثيلية (الكلاسيكية ) مع الديمقراطية التشاركية أو الجوارية ، فإنّنا نجد أنّ الديمقراطية الحديثة تتسم بأهمية بالغة وفق ما يلي:

. الديمقراطية التشاركية نابعة من الاسفل ( المحليات) عكس الديمقراطية التمثيلية نابعة من الأعلى ( المركز ) أي انها خيار شعبي وليست مفروضة من السلطات المركزية، والتي قد لا تدرك طبيعة تلك المجتمعات ولا مشاكلها، وهذا شيء طبيعي، فهي كالشخص الذي يتألم و لا أحد يستطيع إدراك مكان الألم إذا لم يدل هو عليه، بل أنّ الطبيب على خبرته ودراسته ومعرفته بخبايا جسم الانسان، إلاّ أنه يبادر المريض دائما بسؤال ماذا تحس أو ماذا تشعر، أو أين مكان الألم الذي تعاني منه، كما أننا لم نجد طبيبا يشخص مريضه دون سؤاله بعض الأسئلة التي تعتبر أساسيات لا يمكن الاستغناء عنها في أي تشخيص.

. تتيح التفاعل البناء والخلاق بين المواطن والادارة المحلية، التي تضطلع بحرية تنفيذ تلك المتطلبات، بالإضافة الى أنها مكملة للديمقراطية التمثيلية ومساعدة لها، وليست كما يعتقد البعض بأنها مقوضة لها. وهنا كذلك يجب أن نفهم فهما أكيدا أنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال إلغاء فكرة النيابة أو التمثيل الشعبي في المركز أو حتى في المحليات، لأنّ هذا سيدفع نحو التسليم بنظرية الفوضى الخلاقة التي ترى بإمكانية وقدرة الشعوب على تنظيم نفسها بنفسها ومن دون حاجة الى مؤسسات، وهو ربما نفس ما يصوره كارل ماركس في نظريته لتطور التاريخ خاصة في المرحلة التي تزول فيها الدولة بعد بلوغ الاشتراكية مبلغها التاريخي المسطر لها، فاسحة المجال بعد ذلك للمرحلة الحاسمة من التطور الانساني وهي مرحلة الشيوعية التي نادى بها كارل ماركس في كتاباته . طبعا هذه الأفكار بقيت مجرد خيال في فكر ماركس الذي لم يكن يعير أي اعتبار للطبيعة الانانية في الكائن البشري، هذه الأنانية التي نجحت الرأسمالية في توجيهها وتكييفها مع متطلبات كل مرحلة من مراحل تطور البشرية، في إطار ما نسميه اليوم بالواقعية السياسية.

ففكرة التشارك حسب الواقعية السياسية تعني ضرورة إشراك جميع المواطنين المحليين في تشخيص وتحليل مشاكلهم الحقيقية، ومشاركتهم للمنتخبين المحليين في رسم السياسات العامة التي تهمهم، وبالتالي كمحصلة لهذه العملية سوف يتحملون جزء كبيرا عن مسؤولية اختيارهم بما في ذلك مسؤوليتهم عن المسؤولين الذين انتخبوهم. وبالتالي هذا ما يعتبر شبه منعدم في نظرية التمثيل التي تجعل المواطن يعيش حالة أشبه بحالة السلطة الأبوية على الأولاد.

. استثمار جميع المعارف المحلية وجعلها متوافقة مع إمكانيات الواقع، فالمعرفة هي الزاد الأساسي للمواطن المحلي حتى يستطيع المشاركة في عملية صنع القرار وتنفيذه ومراقبته، وتقويمه إن اقتضت الضرورة ذلك. (عقبوبي، 2016، ص ص ، 105 . 108).

**رابعا: ركائز الديمقراطية التشاركية لبناء سياسات عامة عقلانية**

يقول الدكتور أسامة خضر صالح: " إنّ هناك علاقة طردية ومباشرة بين مصطلحي المشاركة والديمقراطية، بحيث كلما زادت المشاركة أو ارتفعت نسبتها، فإنّ الديمقراطية بدورها تعرف اتساعا بقدر اتساع نسبة تلك المشاركة، وبالعكس كلما انخفضت نسبة المشاركة كلما انحصرت الديمقراطية وتراجعت. (صالح، 2005، ص 09). ولهذا لا يجب أن نتفاجأ على تركيز القوى العظمى في العالم والأمم المتحدة على ضرورة نشر فكرة التشاركية في الحكم، والتي تعتبر عماد الحكم الديمقراطي الحديث، حتى وإن كان في طياته يطعن في مصداقية الديمقراطية التمثيلية النيابية، لأنه يهدف أولا وقبل كل شيء الى فكرة إصلاح الديمقراطية في الأساس. بطبيعة الحال هذا المنطق يعتبر أقرب للصحة منه الى الخطأ خاصة حينما تتوفر مجموعة من الشروط التي يراها المتخصصون لازمة وضرورية في كل مجتمع ودولة، حتى يتم الحكم بالإطلاق على الفرضية السابقة ، وفي مقدمة هذه الشروط الواجب توفرها حتى تصلح وتستقيم الديمقراطية التشاركية ما يلي:

. ضرورة توفر نسبة عالية من الوعي الجماهيري حتى تتم المشاركة.

. ضرورة توفير انتخابات حرة ونزيهة وشفافة، مع مترشحين معروفين وبأعلى المواصفات العلمية والخبرة والتخصص والممارسة.

. ضرورة توفير هياكل كافية للاجتماعات والتشاور والاستفتاء والاستشارات، كالقاعات ومقرات الاجتماع والاستفتاء، ووسائل الإعلام المحلية والوطنية المستقلة...الخ، لكن من دون أي توظيف للأطراف أو الفواعل الخارجية في هذه العملية التي تعتبر شأنا داخليا محضا.

إذن فتوافر كل تلك المؤشرات وغيرها ستؤكد مستقبلا على أنّ هناك تقدما في موضوع الديمقراطية، خاصة النقلة النوعية التي عرفتها عملية التحول الديمقراطي من فكرة التمثيل

والنيابة التي تكون فيها الجماهير أو المواطنين مشاركين فيها في أيام الحملات الانتخابية ويوم الانتخاب بالتحديد، لتنقطع بعدها العلاقة مباشرة بين الناخب والمنتخب، الى فكرة ديمقراطية شبه مباشرة يشارك فيها الشعب جميع المنتخبين والإداريين المحليين عملية صناعة القرار، لأنّ واقع الأمر يؤكد بأنّ نظرية النيابة حين يساء استخدامها أو توظيفها ستكون سببا في صعود هذا أو سقوط ذاك من سدة التمثيل الديمقراطي في أي مستوى من المستويات المحلية الجهوية أو الوطنية، ولذلك فمن المفروض بل من اللازم أن يكون المواطن هو السيد وصاحب القرار وليس النائب الذي لم يخدم في تلك المجالس إلاّ مصالحه الخاصة.

لكن تبقى هذه قوانين اللعبة الديمقراطية، وهذا هو ثمن الاحتكام الى الصندوق في ظل غياب ثقافة جماهيرية عن حقيقة المترشحين والممثلين الذي يقدمون أنفسهم كمفاتيح نادرة في حالة لأزمات، وعلى هذا الأساس فإنّ فكرة رد الاعتبار والمكانة الى هذا النظام الاجتماعي العام وذلك من خلال ما سميناه بالديمقراطية الجماهيرية التي يتحول فيها الناخب من مجرد وسيلة لإرساء وضع أو نظام الى هدف في حد ذاته، بمعنى يشارك المواطن في صناعة القرار لتحقيق التنمية التي ينشدها في الأساس، وبالتالي فإنه بهذه الصيغة هو الهدف الذي تسعى له كل التأسيسات الديمقراطية، طبعا بما في ذلك النائب أو المنتخب الذي سيكون هدفه الأخلاقي والقانوني خدمة المواطنين ، وبهدف إعادة انتخابه مرات أخرى، كما هو معمول به في الثقافة النيابية لدى رجال السياسة في الغرب.

إنّ هذا الموطن الذي كان بالأمس مجرد أداة بريئة يمتطيها البعض لتحقيق مآرب شخصية ضيقة، تحول اليوم بفضل مجهودات العلماء والساسة النزهاء وقوانين الدولة العقلانية المعاصرة، الى أحد أهم الغايات التي يسعى الجميع لإرضائه وتحقيق أمنياته التي لطالما حُرِمَ منها لردح من الزمن، وبهذا ستصبح الديمقراطية التشاركية في الواقع الأداة أو الوسيلة الفعالة والفاعلة لتمكين المجتمعات من تحقيق التنمية المستدامة في أسمى معانيها، وهنا تصدق مقولة الرئيس

الأمريكي أبراهام لينكولن الشهيرة " حكم الشعب بالشعب ولأجل الشعب، هي حكومة لا تزول أبدا ".

يرى أنصار الاتجاه النسقي النظمي في العلوم السياسية وفي مقدمتهم ديفيد إيستون وومورتن كابلان: أنّ التغيرات الحاصلة على مستوى أي نظام سياسي في العالم لا يمكن التحكم فيها أو اكتشافها إلاّ من خلال وجود وتوافر ثلاثة معايير، هي في الحقيقة التي تدفع نحو هذا التطور وبدونها لا مكانة ولا مجال للتحدث عن هذه المقاربة التشاركية في الأساس:

1 . علاقة النظام بمحيطه

2 . علاقة النظام بأجزائه الفرعية المختلفة

3 . وظيفة النظام في إدامته وتكيفه ذاتيا. ( العاني، 1986، ص 16).

إذا رجعنا الى الواقع وهو ما تفترضه دراستنا هذه، وقبل ذلك ما تفترضه علينا شروط البحث العلمي الأصيل أن نبحث في ما هو كائن وممكن، لا أن نبحث فيما يجب أن يكون وغير ممكن، ولهذا فإنّ التطور الذي عرفته ومازالت تعرفه فكرة الديمقراطية من ديمقراطية تمثيلية إلى ديمقراطية تشاركية، أو جوارية كما يحبذ الفقه الإداري الفرنسي تسميتها، وذلك من خلال فكرة الاستقلالية الواسعة التي تمنح للمحليات في إطار نسق جديد من لا مركزية واسعة الصلاحيات، فهي تتيح للفروع ممارسة معظم المسؤوليات بعيدا عن تدخلات المركز أو الأصل، باعتبار أنّ جل السلطات المركزية في العالم صارت تنادي بأقصى صوتها: لم أعد قادرة على إدارة الأمور المتشعبة منفردة، ولذلك لابد على الجميع أن يتحمل مسؤولياته، هذا دون أن ننسى أو نهمل المحيط الذي يتعامل مع النظام بما فيها المنظمات والهيئات غير الرسمية التي يمكن أن تشارك مشاركة فعالة في هذا المسعى الإنقاذ الذي تدعمه السلطات الرسمية، بل يجب على الجماهير أن تشارك وتبدي برأيها في هذا المسار، فالتنمية كما هو معلوم تنطلق

من الجماهير وتعود في النهاية إليها وعليها، ولهذا فلماذا لا يكون المواطنون الطرف الأقوى في معادلة التشاركية، كما هو الحال في بلاد الغرب والشرق .

إنّ هذه العلاقة الكبيرة والمعقدة لطبيعة عمل النظام السياسي في الدولة، و مختلف التفاعلات الاجتماعية والتطورات الجديدة الحاصلة في نسقه العام، لتذكرنا بتلك العلاقة التي تربط بين الأب وأبنائه، أو ما نسميه بالسلطة الأبوية، فالإبن في نظر الأب بمجرد زواجه يجب أن يتحمل المسؤولية، بل ويجب أن يتحملها أكثر حينما يكون لديه أبناء، الذين بقدر ما يتزايد عددهم تتزايد مشاكلهم، لكنهم بمجرد أن يصيروا في مستوى تحمل المسؤولية، سيمارس الأب سلطته الأبوية، كأن يفرض عليهم نمطا جديدا من التضامن الأسري في المعيشة؛ يطالبهم إما بمساعدته أو بالاستقلال بحياتهم، وبالتالي توفير تلك المصاريف التي كان يصرفها عليهم، وربما هذا تماما ما وصلت إليه الدول التي بدأت مؤخرا تتيح نوعا من الاستقلالية لجماعاتها المحلية، حتى تتفرغ السلطات المركزية لمواجهة مهام ومسؤوليات أكثر أهمية وتعقيدا.

**خامسا: الديمقراطية التشاركية: حتمية النقاش العمومي في مواجهة جمود المنتخبين**

لعل موضوع التشاركية الحديثة في شؤون التسيير المحلي، أضحى من المواضيع التي تعرف تطورا مستمرا وحركية غير معهودة ، لدرجة أنّ النقاش العام في هذه المسائل وصل الى مستويات جد متقدمة من التغيير والتجديد، إذ بفضل تلك النقاشات تقلصت المسافة بين السياسي والاداري من جهة، وبين المنتخب والمواطن من جهة أخرى، وذلك لأنّ فكرة المواطنة في حد ذاتها قد تعرضت الى تطور لا يستهان به، أين انتقل المواطن في الجزائر من ذلك الشخص المستعمل والمدار في ظل اللامركزية الإدارية المقيدة، إلى شخص اخر مشارك وفعال في ظل سيادة المبدأ الديمقراطي في المحيط السياسي الاداري. ( عيساوي، 2015،

ص 220 ). الذي يتيح له بقوة القانون حسب المادة 15 أن يساهم ويشارك في تنمية وإنعاش ذلك المحيط. ( التعديل الدستوري الجزائري، 2016، ص 8 ). كما كرّس المشرع الجزائري منذ الاعلان عن قانون البلدية 11 . 10 الصادر في سنة 2011 كل أليات أو ميكانيزمات رد الاعتبار لحرية اختيار المواطن، كذلك قانون الولاية 12 . 07، الصادر في سنة 2012، بل وقد زاد من تأكيد جدية هذا المسعى التعديل الدستور 6 مارس 2016 الذي ينتظر في القريب العاجل أن يتم تكييف العديد من تلك القوانين وفق قاعدة الديمقراطية التشاركية.

**سادسا: الديمقراطية التشاركية كميكانيزم لإصلاح و ترشيد السياسات**

ورد في تقرير المنظمة الدولية عن الديمقراطية DRI مكتب تونس الإقليمي، أنّ الديمقراطية التشاركية إنما ولدت في الأساس من أجل سد ثغرات الديمقراطية التمثيلية، ولهذا فإنها يجب أن تسعى أو تتجه أليا نحو إصلاح ما يمكن إصلاحه من جذور تلك الديمقراطية التمثيلية التي لم تطبق كما نصت عليه الأعراف الدولية، وبمعنى أدق وفق ما يؤكده ذات التقرير ففكرة التشاركية الجديدة جاءت لدمقرطة الديمقراطية بمعنى إصلاحها Démocratisation de La Démocratie، أي أنها كانت تعاني من عيوب ولذلك يجب إصلاح هذه العيوب. ( المنظمة الدولية للتقرير عن الديمقراطية، www.democracy-reporting.org ، ص 6 ).

في حقيقة الحال لا يجب أن يفهم من هذا التطور الجديد الذي طرأ على فكرة الديمقراطية، ولا حتى على الانتقادات الواسعة التي وجهت للديمقراطية التمثيلية على أنه إلغاء لمختلف المسارات التي عرفتها الديمقراطية النيابية سابقا، وإنما في الواقع هو عملية إصلاح لبعض التطبيقات الميدانية والعملياتية للديمقراطية ، ومن ثمة تقويم شامل لمساوئها، وبالتالي فهذا الإلغاء إن صح التعبير ليس إلغاءً بصفته المطلقة، ذلك لأنّ هذا الأمر لا يقول به عاقل،

ذلك لأنه في حال إلغاء الديمقراطية التمثيلية سوف يعيدنا هذا الوضع كما أشرنا سابقا الى مرحلة الإنسان البدائية التي لم تكن فيها لا مؤسسات ولا دولة ولا نظام ولا قانون، وهذا ما يعتبر ترويجا لطروحات أصحاب الفكر الفوضوي الذين يتصورون قيام مجتمعات تغيب فيها الدولة ومؤسساتها المنظمة و الضابطة، ومنه فإنّ هذا الإلغاء هو مجرد إلغاء جزئي partiel وليس كلي Total لبعض الأليات أو الإجراءات التي لم تعد في الحقيقة مواكبة لتطلعات وامال الجماهير المتعطشة للحرية ولبناء مستقبل زاهر ولأولادها وأحفادها، وتعويضها بمبادئ وأليات جديدة تكرس فكرة التشاركية الى جانب قاعدة التمثيل أو النيابة.

و لعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأنّ وضع المنتخبين في البلاد العربية قد أصبح على المحك نظرا للقطيعة الموجودة بين الجماهير وأولئك المنتخبون، الذين في الحقيقة قدموا نماذج سلبية عن أدائهم البرلماني و كذلك المحلي الى درجة أن صار المنتخب في بعض الدول مجرد جامع للأموال و باحث عن المصالح والامتيازات، والتي هي حقيقة لا يمكن إخفاؤها ، نظرا للطبيعة البشرية التي تميل نحو هذا الطبع. كذلك تستند العديد من التشريعات الغربية على اعتماد مؤشر الرأي العام و قياس اتجاهه كمصدر هام من مصادر رسم السياسات العامة واتخاذ القرار، وبالتالي فإنّ المواطنين في حقيقة الحال يلهمون المشرع ببعض الحلول والقرارات وربما سلوك مسالك لم تكن في أجنداته، لكن على العموم لا يمكن الحكم على هذه الآلية بالدقة ، خاصة إذا علمنا أنّ نقص درجة الوعي وارتفاع نسبة الأمية قد تشكلان عاملان في تراجع درجة الإلهام، ولذلك فلا يمكن الاستغناء عن الديمقراطية النيابية تحت مسمى الديمقراطية التشاركية. (ناجي و ساحل ، 2014، ص ص 50 . 51).

أيضا لا يجب أن نغفل ميكانيزم حقيقي لا تقوم للديمقراطية التشاركية المعاصرة قائمة بدونه، إنه ميكانيزم التكنولوجيا الرقمية وجميع وسائل الاعلام والاتصال خاصة الانترنت، هذه الوسائل الرقمية التي بفضلها ارتقت الديمقراطية التشاركية من مجرد المشاركة العادية التقليدية

الى المشاركة الرقمية المعاصرة في أسمى معانيها، La Démocratie Numérique وهو ما بدأت فعليا الكثير من الدراسات في العالم وحتى في الجزائر تروج لها. ( رمضان، 2017، ص 76). وهذا الأمر أضحى ملاحظا ومعيشا وكذلك مطبقا في جميع السياسات العالمية، وفي معظم النظم السياسة المقارنة في العالم، و هذا كذلك حتى بالنسبة للأنظمة الملكية، التي لم تعد قادرة على تحمل كافة الأعباء والمسؤوليات فاضطرت إلى التخلي عن جزء من مسؤولياتها كخطوة أولى لتليها فكرة فرض إجراءات قانونية على تلك الأقاليم المحلية لتشارك مواطنيها ومختلف الفواعل غير الرسميين في صناعة واتخاذ القرار . أضف الى ذلك أنّه لولا حركة العولمة الواسعة والانتشار الرهيب الذي تغذيه وسائل الاعلام والاتصال، والاستعمال المفرط للأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، لما أمكن تحويل العالم إلى قرية صغيرة، هذه القرية التي لا يتطلب انتشار الخبر فيها إلاّ ثواني معدودة ليكون في كل بيت بل في كل هاتف نقال أو كمبيوتر ، ولهذا فإنّ هذه الوسائل من حيث لا ندري قد ساهمت بشكل كبير في ارتقاء المواطن من مرتبة فضول الاطلاع والاستكشاف الى مطالبة المشاركة في صناعة القرار وتقرير التنمية طبعا الى جانب السلطات المحلية، وفي مقدمتهم المنتخبون المحليون الذين انتخب عليهم، ولكن هذه المرة تتيح لهم الديمقراطية التشاركية أن يراقبوا المنتخب ويُقَوِمُوا عمله وعهدته الانتخابية، خاصة وأنّ معظم المواطنين ومختلف الهيئات غير الرسمية من مجتمع مدني وحركة جمعوية وقطاع خاص قد أدركوا بأنّ الكثير من هؤلاء المنتخبين المحليين لم يعودوا في مستوى تطلعاتهم بقدر ما هم بمستوى مصالحهم الشخصية للأسف ( الواقع هو الذي يقول هذا وليس الافتراض).

**سابعا: مقاربة التشاركية الانتقال من الحكم إلى الحوكمة**

يؤكد العديد من الخبراء والمختصين على أنّ طبيعة هذه الديمقراطية التشاركية هي نقلة نوعية في شؤون الحكم، لأنها انتقال من مجرد الحكم إلى الحوكمة، ومن التسيير العشوائي غير المنظم

الى التسيير الجيد المحكم والمنظم. ( عيساوي، 2015، ص 226 ). وربما وللتوضيح أكثر لابد من أن نسقط هذا الرأي على واقع المشاريع التنموية والاقتصادية التي يتم إنجازها في الجزائر ، بحيث كثيرا ما نلاحظ ونقرأ عن أنّ تلك المشاريع قد استهلكت أكثر مما هو مخطط لها، بل و مما هو منتهج عالميا، ولهذا حتى ولو تم إنجاز المشروع فإنه من حيث معيار الحوكمة هو مشروع غير كفؤ، وذلك لأنه استهلك وقتا أكبر وأموالا أكثر من اللازم، وعلى ذلك الأساس، حتى وإن تم إنجاز المشروع وعلى أحسن وأكمل وجه، إلاّ أنّ فكرة عدم الالتزام بمعايير الوقت والمصاريف، قد حولاّ تلك المشاريع إلى مجرد مشاريع مفتقدة لمعايير الحوكمة الجيّدة، ولهذا فإنّ هذه الديمقراطية التشاركية الجديدة التي لم يعد في مقدور الديمقراطية التمثيلية أن تجاريها، باستثناء أن تتكيف معها.

إنّ الديمقراطية التشاركية بهذا المعنى الحوكماتي العقلاني سوف تتيح المجال نحو إرساء أهم قواعد الحوكمة و في أعلى مستوياتها، وذلك من خلال المشاركة الفعلية الحقيقية لا الشكلية في شؤون الإدارة والتسيير والتخطيط، بداية من التخطيط لمختلف برامج التنمية، ثم وصولا الى إعداد الميزانية والمشاركة فيها، وفي تنفيذها، وفي الختام مراقبة إنجاز تلك البرامج والتدخل لتقويمها ومحاسبة المسؤولين عن كل التجاوزات التي سيتم تسجيلها، من منطلق لا ديمقراطية تشاركية دون رقابة محاسبة و عقاب. فالميزانية التشاركية مثلا تقوم على فكرة إشراك أكبر عدد من المواطنين القاطنين فعليا في إقليم البلدية أو الولاية، في إعداد الميزانية، وبالتالي بإمكانهم وفق هذه الالية مراقبة تنفيذ ومتابعة الميزانية على أرض الواقع، بل وقد خطت بعض النماذج العالمية في الديمقراطية التشاركية إلى حد تخصيص مخصصات مالية لفائدة السكان المحليين وذلك لاستخدامها في تنفيذ بعض احتياجاتهم التي يمكن أن يقوموا بها لوحدهم، وتنفيذها فرديا أو حتى جماعيا، دون الرجوع الى الهيئات الرسمية والمجالس المنتخبة.( المنظمة الدولية للتقرير عن الديمقراطية، www.democracy-reporting.org ، ص 6)

وللتوضيح أكثر لابد من تقديم مثال عملي أو واقعي حتى نشرح كيفية مشاركة المواطن المحلي في إعداد الميزاينة المحلية، لو افترضنا أنّ في خزينة البلدية ( خمسة ) 5 مليار دينار، بداية يجب أن تتاح هذه المعلومة ونشرها للاطلاع العام عبر جميع وسائل الاتصال والإعلام، بما فيها القنوات التلفزيونية المحلية والاذاعات والانترنت والجرائد وغيرها، وبهذا تكون هناك شفافية عالية جدا من حيث إتاحة البلدية للمعلومة وتحيين موقعها الالكتروني يوميا، حينما يجتمع أعضاء المجلس الشعبي البلدي أو الولائي، مع التزامهم بإشراك مجموعة من المواطنين وممثلي الحركة الجمعوية وممثلين عن القطاع الخاص، ويكون النقاش حول تحرير الميزانية على أساس المبلغ الموجود في خزانة البلدية، ثم التطرق الى أهم مصادر الايرادات والضرائب وقيمتها...الخ، وعموما تكون تلك النقاشات في شكل حوار ديمقراطي مستند الى قوانين الجمهورية والأعراف العالمية.

هذا الأمر في الحقيقة بديهي جدا وذلك لأنّ تلك البرامج التنموية المختلفة هي في الحقيقة موجهة لفائدة وخدمة هذا المواطن بالأساس ولذلك فليس غريبا أن يتم إشراكه، وقد أتاح الدستور الجزائري المعدل في 6 مارس 2016 في مادته 15 ضرورة إشراك المواطنين، وهو نفس ما دعمه قانون البلدية 11 ـ 10 قبل ذلك من خلال المادة 2 التي تقول صراحة أنّ البلدية هي القاعدة الإقليمية للامركزية ومكان لممارسة المواطنة، بحيث تشكل إطار مشاركة المواطن في تسيير الشؤون العمومية ، بل الأكثر من هذا ان فقرة من المادة 11 من نفس القانون تؤكد على أنّ : " يتخذ المجلس البلدي كل الوسائل والإمكانيات لإعلام المواطنين بشؤونهم واستشاراتهم حول خيارات وأولويات التهيئة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حسب الشروط المحددة في هذا القانون. طبعا هذا هو الامر الذي لم يرد في قانون البلدية 90 ـ 08 الذي اكتفى بالإشارة الى أنّ البلدية تدار من طرف مجلس منتخب هو

المجلس الشعبي البلدي وهيئته التنفيذية، وبالتالي غياب أي إشارة لإشراك المواطن، وهو طبعا الأمر الذي يمثل انتصارا حقيقيا لصالح المواطن في الجزائر.

كما خصص المشرع الجزائري في قانون البلدية الجديد 11 ـ 10 بابا كاملا ( الباب الثالث) من المادة 11 الى المادة 14 تحت عنوان : **مشاركة المواطنين في تسيير شؤون البلدية،** لاسيما المادتين 11 و 12 حيث تقولان على التوالي المادة 11 : " تشكل البلدية الإطار المؤسساتي لممارسة الديمقراطية على المستوى المحلي والتسيير الجواري" ثم المادة 12 والتي تقول هي الأخرى صراحة: " قصد تحقيق أهداف الديمقراطية المحلية ( التشاركية) في إطار التسيير الجواري المذكور في المادة 11 أعلاه يسهر المجلس البلدي على وضع إطار ملائم للمبادرات المحلية التي تهدف الى تحفيز المواطنين وحثهم على المشاركة في تسوية مشاكلهم وتحسين ظروف معيشتهم. ويتم تنظيم هذا الاطار طبقا للتشريع والتنظيم المعمول بهما، ( لكن هذا لا يزال مجرد فكرة نظرية لم ترى النور وبقيت مجرد شعارات براقة تستعمل في غير ما أريد لها.) وبالتالي فمن هذا المنطلق يجب على المنتخبين المحليين أن يكيفوا جلساتهم ونقاشاتهم مع هذه المتغيرات الجديدة، ونظرا لعدم إمكانية حضور الجميع واستحالة تطبيق الديمقراطية المباشرة، ولا حتى الديمقراطية النيابية لعدم ثقة الجماهير في المنتخبين خاصة الذين تم التصويت عليهم بالقائمة وربما لم يكونوا راضين عن المرشحين الثلاثة الأوائل في حين كان هدفهم المرشح الخامس أو السادس مثلا، هنا لابد من تنظيم المواطنين لأنفسهم من خلال اختيار مجموعة من الممثلين من ذوي الخبرة والكفاءة والتجربة وبعض نشطاء الحركة الجمعوية وممثلي القطاع الخاص حتى يساهموا بقدر جيد في إثراء النقاش وإعلام المواطنين بكل جديد يتعلق باحتياجاتهم سواء في مجال؛ المياه ، الطرق ، التعليم ، الصحة، السكن ،الرياضة والترفيه، الفلاحة والري، خلق مناصب الشغل، ...الخ. وفي اعتقادنا المتواضع أنّ المواطن في الجزائر أو غيرها لا يريد أكثر من هذا، وربما هذا ما يفتح المجال للتطرق الى نظرية الحاجات لعالم النفس

الأمريكي أبراهام ماسلو مثلث الحاجات الذي لا يُستغنى عنه في بناء أي مسيرة للتنمية. ( بلوط، 1998، ص 78. 79 ).

**ثامنا: واقع وتحديات الديمقراطية التشاركية في تسيير البلديات في الجزائر**

يجب أن نعلم ابتداءً أنّ الديمقراطية ليست مادة غذائية جاهزة في معلب محفوظ، متى احتاج لها الانسان استعملها بكل بساطة، كما أنها ليست نظاما اجتماعيا يولد من البداية مكتملا، أو يمكن تطبيقها في أي بيئة شئنا أو نظام أخر، إنها في الحقيقة مسألة جد معقدة لأنها عملية دقيقة تخضع لتحول تدريجي ومستمر ومتواصل، لاسيما وأنها عبارة عن مشروع لتحسين وتطوير الحياة الاجتماعية للناس، ولهذا يستحسن القول بأنه لا توجد ديمقراطية مثالية أبدا. ( بلعيور، 2007، ص 104 . 106 ). في حين يرى البروفيسور: أحمد محيو بأنّ المركزية وعدم التركيز الإداري لا تتضمنان أي قيمة ديمقراطية، لكن اللامركزية على العكس من ذلك، فإن لها قيمة ديمقراطية كبيرة، وذلك لأنها تهدف الى توفير وإرساء الحد الأقصى من إدارة الشؤون المحلية بواسطة المعنيين أنفسهم ( الشعب ديمقراطية مباشرة) أو بواسطة ممثليهم ( النواب والمنتخبين كديمقراطية نيابية أو تمثيلية). ( محيو، 2006، ص 107 ).

و لنتمعن في حقيقة التطور التاريخي الذي عرفته فكرة الديمقراطية منذ العصر اليوناني والى أيامنا هذه، فإننا سنجد عثرات ونكسات وهزائم عرفتها هذه الفكرة، بل إنّ القارة الأوربية الى غاية الحرب العالمية الثانية لم تكن دولها ديمقراطية لدرجة أنّ أغلب رؤساء تلك الدول كانوا من المؤسسة العسكرية وفي مقدمتهم فرنسا ، إسبانيا، البرتغال، ألمانيا، ...الخ، ولهذا نقول بأنّ الديمقراطية كما تطورت في الفضاء الغربي عبر عصور طويلة لا يمكن أن تنجح في فضاءات أخرى دون وجود تلك العثرات والمطبات، ومن دون توفر المدة الكافية لحدوث

التحول بالسلاسة التي حدثت في دول أوربا الشرقية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي و من قبله جدار برلين المشؤوم. وكغيرها من الدول النامة فإنّ الجزائر مازالت تناضل من أجل الخروج من دائرة الازمات التي تعاني منها، خاصة تلك المتعلقة بمجالات التنمية بصفة عامة والمحلية منها بصفة خاصة، وطبعا وبعد مرور ما يقارب 30 سنة على تبني مسار التحول الديمقراطي فإنّ الفكرة الديمقراطية التي كانت في سنة 1989 ليست هي ذاتها التي في سنة 2018، وذلك لأنّ المشرع الدستوري الجزائري قد تطور بدوره مع ما شهدته الساحة الوطنية والعالمية من حراك ومن تطور، لاسيما و أنّ هناك اتجاها عاما الى تبني فكرة الديمقراطية المحلية التشاركية بعدما لم تكن واردة قبل سنة 2011، ولذلك فلا يمكن ان يتجاهل هذا أي أحد، ولهذا فمن الإجحاف أن يتم تجاهل كل هذه الانتصارات في العالم النامي.

رغم هذا يجب علينا أن لا نتجاهل ما قاله السيد رئيس الجمهورية وصرح به في العديد من المناسبات والخطابات التي كان يلقيها في خرجاته التفقدية للولايات، حيث تحدث صراحة عن فكرة الديمقراطية التشاركية، وذلك في قوله: " ... لا يمكن أن يقوم حكم راشد إطلاقا بدون رقابة شعبية. " ( بلعيور، 2007، ص 106 ). هذه الرقابة الشعبية التي لا تكون فعالة إلاّ في ظل الفضاء المحلي الذي يعتبر بدوره المجال الخصب لتطبيق ونجاح الديمقراطية، ولهذا فلا ننتظر نجاح الديمقراطية المركزية دون الديمقراطية اللامركزية أو الجوارية، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، ولذلك لا نتصور وجود ديمقراطية على المستوى المحلي إذا كانت غائبة على المستويات المركزية.

إنّ ما نتأسف له في واقعنا العربي عموما هو تلك الديمقراطية العرجاء التي تعتبرها النخب الحاكمة في العالم النامي عبارة عن وصفات خارجية دخيلة، هدفها ضرب استقرار المجتمعات ، ووسيلة هدامة لضرب المصالح العليا للأمة، ولذلك فإنها تمثل خطرا على مستقبل النخب الحاكمة، ولكن الغريب في الأمر هو المناداة الرسمية بضرورة انتهاج الديمقراطية، وفي ذات

الوقت تعمل بعض تلك الأنظمة على خلق أليات و ميكانيزمات لعدم تحقق أو تجسيد هذه الديمقراطية على أرض الواقع، حتى وإن ظهرت بعض الملامح الشكلية كوجود تعددية ومنظمات جماهيرية وصحافة وحرية تعبير ...الخ. ( معراف، 2009، ص 433). وبطبيعة الحال هذه النظرة التي ساقها وأمن بها الكثير من الكتاب العرب غير دقيقة مائة بالمائة، لأنّ الواقع العربي ودرجة الثقافة الشعبية تؤكد على صعوبة نجاح المسعى الديمقراطي كما أراده الغرب للمنطقة العربية تحديدا، ولذلك فإنّ الديمقراطية التي ستعمل النخب العربية على تطبيقها لن تكون بنفس الطريقة التي طبقت في الغرب. لأنّ ثقافة المواطن في الغرب لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تقارن بنظيرتها عند الفرد العربي، وكذلك قوة التجذر الزمني لفكرة الديمقراطية عند الغرب وحداثتها في الفضاء العربي، وهو أمر مفروغ منه، إذ كيف نتصور مقارنة الديمقراطية عند من أوجدها ومن يريد استيرادها.

## تاسعا: معوقات و تحديات الديمقراطية التشاركية ( مشروع كابدال Capdel الجزائر 2017 . 2020)

على الرغم من جدية الطرح الذي ورد في مشروع كابدال ( وهو مشروع جزائري بشراكة مع الاتحاد الاوربي والأمم المتحدة لدعم قدرات التنمية المحلية في الأقاليم الجزائرية )، إلاّ أنّ المقاربة الواقعية في تحليل مثل هذه المواضيع تفرض علينا أو تحتم علينا التطرق الى العديد من الصعوبات والمعوقات التي قد تعترض سبيل نجاح هكذا مشاريع واردة، كيف لا والجميع يعلم أنّ في إدارة المنظمات هناك دائما ما يسمى بعناصر مقاومة التغيير، وبالتالي وجود العديد من العقبات التي تعتبر عوامل موضوعية ومتوقعة دائما في مثل هذه المحاولات الإصلاحية، وبدون إطالة أو إطناب سوف نتعرض إلى بعض تلك العقبات وفق الترتيب الآتي:

1 . غياب الإطارات الفنية والتقنية في تسيير الإدارات المحلية في الجزائر، والتي تمثل الجهاز الحساس القادر على تنفيذ مثل تلك المشاريع، لأنّ مشروع كابدال كما هو معلوم يتطلب وجود كوادر وأشخاص على مستوى عال من التكنوقراطية والذين بإمكانهم أن يقودوا هذه الديمقراطية التشاركية الفتية في الجزائر إلى بر الأمان، والى أهدافها الحقيقية التي وجدت من أجلها، لأنّ الإطارات الموجودة اليوم في جماعاتنا المحلية هي غير مؤهلة، والدليل الدورات التكوينية التي أجرتها وزارة الداخلية للعديد من الخبراء حتى ينقلوا التجارب الغربية الى الكوادر الجزائرية وفي الواقع ذلك التكوين وعدد الخبراء الذين يتم تكوينهم يعتبر ضئيلا جدا بالمقارنة مع عدد الجماعات المحلية في الجزائر أكثر من 1541 بلدية 28 ولاية و أكثر من 20 ولاية منتدبة وبالتالي التحدي يعتبر كبيرا جدا، في دولة بحجم قارة كالجزائر، ولهذا فتضافر جهود الجميع؛ جميع أركان معادلة الحكم الراشد من مواطنين ومجتمع مدني وقطاع خاص ومنتخبين محليين ومركزيين...الخ، أصبحت مسالة لا مفر منها.

2 . غياب الإصلاح القانوني الملائم الذي يعطي دفعة قوية للديمقراطية التشاركية في الجزائر، بحيث لا يكفي برنامج التكوين لوحده في حل هذه المعضلة، إذ يجب أن يتم إدخال أليات جديدة على قواعد اللعبة الديمقراطية في الجزائر ، وخاصة فيما يتعلق بمستوى المنتخبين المحليين ومدى كفاءتهم وخبرتهم في مجالات التسيير والإدارة ، لأنه كثيرا بل الشائع عندنا في الجزائر كما هو الحال في العديد من دول العالم النامي أنّ أغلب المجالس الشعبية المنتخبة يعتليها أشخاص لا يتمتعون لا بالمستوى التعليمي ولا بالخبرة التسييرية في الإدارة، كما أنهم لا ينتمون الى فئات من فئات التي تتحكم في الاقتصاد الخاص، ولعل المستوى التعليمي المتدني للمنتخبين المحليين في الجزائر يبين ذلك، فمثلا بلغت نسبتهم في الانتخابات المحلية للـ: 23 نوفمبر 2017 ما نسبته 26 بالمائة من ذوي المستويات الابتدائي والمتوسط، وهو

الأمر الذي يدفع نحو مزيد من التعديلات على قانون الانتخابات وشروط الترشح بالتحديد. ( جريدة النهار، 2017، ص 3).

مما تقدم يجب على المشرع الجزائري أن يضع في الحسبان أو يحدد مجموعة من الشروط على كل من يتقدم الى الترشحات كما يجب على الهيئة الناخبة ممثلة في المواطنين استشارة الخبراء والمختصين حول طبيعة من ترشحوا حتى يتم الاختيار الصائب فيما بين المرشحين، أما أن يبقى الحال على ما هو عليه دون انضباط فسوف لن يؤدي الى نجاح المشروع في الأساس، بل قد تزيد الأوضاع تدهورا لقدّر الله.

3 . غياب مراكز للتكوين الاداري في جميع أنحاء الوطن، وكذا معاهد مستقلة مهمتها تكوين الكفاءات الجامعية بعد تخرجها من الجامعة على برامج متطورة وعالية المستوى خاصة في مجالات الديمقراطية التشاركية وتحديدا في مسألة خلق الثروة حتى وإن كانت هذه الثروة سوف يتم خلقها من العدم، وهذه في الحقيقة ليست معجزة لأنّ هناك نماذج في العالم المعاصر وحتى القديم قد نجحت في تحقيق هذا المسعى، وخير مثال على ذلك اليابانيين الذين حققوا ذلك في ظرف 18 سنة من 1845 الى 1968. والماليزيين كذلك من1970 الى 1990 حينما أصبحوا القوة رقم 10 عالميا في قوة الاقتصاد، والصين هذا العملاق الذي كان نائما ولكنه استيقظ محاولا ابتلاع العالم بمنتوجاته واقتصاده الذي يأتي اليوم في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الامريكية، ومن المتوقع ان يصبح في غضون 2021 في المرتبة الأولى، وهو ما يتضح في تلك الحرب الاقتصادية بينه وبين أمريكا، وذلك طبعا لم يكن ليحدث إلاّ في ظل وجود رجال أكفاء واعين بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

4 . التعارض والتناقض الذي قد يبرز بين المواطنين أنفسهم، وذلك من خلال تصادم متطلبات واحتياجات بعض المواطنين مع البعض الأخر، أو عدم ملائمة متطلبات هؤلاء مع

أولئك، وبالتالي سوف يكون هذا التعارض بمثابة الكابح الذي سيوقف عملية التنمية المحلية في الأساس، بل قد يؤدي الى تعطل العديد من البرامج نتيجة هذا الانسداد الذي يشبه الى حد كبير الانسداد الذي عرفته الكثير من المجالس الشعبية البلدية في الجزائر نتيجة عدم وجود رؤساء لتلك المجالس المسدودة، أو لعدم الاتفاق على من يتولى رئاسة البلدية،. وعلى هذا الاساس يجب على المشرع الجزائري أن يتفطن إلى تلك العقبات من خلال إيجاد أليات وحلول مناسبة وملائمة لفك تلك الاشكالات ، وهذا كذلك ليس بجديد بحيث أشارت له مختلف التجارب الدولية من خلال اعتاد آلية الاستفتاء التقريري المحلي الذي يتم فيه استشارة القاعدة الشعبية المحلية على مسألة تهمهم وتدخل في صميمهم، وعلى الرغم من تعارض هذا الاستفتاء مع المستند القانوني الذي يقر بأنّ المجالس الشعبية البلدية تدار تحت سلطة منتخبين، وبالتالي فما الجدوى من وجودهم إذا كانت هناك عملية استفتاء شعبي محلي دورية أو مستمرة، وربما هذا الأمر الذي تزال فيه نقاشات حادة في قوانين الجمهورية التونسية التي تبنت بقوة طرح الديمقراطية التشاركية بعد سقوط نظام بن علي واعتماد دستور جديد للجمهورية الديمقراطية التونسية .

**الخاتمة :**

بعد كل هذا التحليل لم يعد جديدا أو غريبا أنّ الدولة ومؤسساتها الرسمية لم تعد الفاعل الأساسي في رسم السياسات واتخاذ القرارات ، وذلك لبروز العديد من الفواعل التي لا تقل أهمية عن الفواعل الرسمية ، بل في كثير من الاحوال تتعدى سلطة وقوة تلك الفواعل غير الرسمية حتى سلطة الدولة، ولعل هذا ما دفع بالعملية الديمقراطية دفعا قويا نحو المزيد من إشراك المواطن في شؤونه العامة، خاصة المواطن المحلي الذي يعتبر حقيقة الركيزة الأساسية لتطبيق الديمقراطية التشاركية . طبعا لقد أضحى جليا أنّ الديمقراطية التمثيلية او النيابية قد واجهت خللا كبيرا في تطبيقاتها العملية نظرا لغياب العلاقة بين الناخب والمنتخب من جهة،

ولصعوبة التعبير عن أحاسيس ومتطلبات المجتمعات المحلية من طرف ممثليهم في مختلف المجالس المنتخبة المركزية واللامركزية، ولهذا فقد جنح المشرع الجزائري جنوحا كبيرا نحو احلال فكرة الديمقراطية التشاركية الى جانب الديمقراطية النيابية ، وذلك عبر إعطاء فرصة للجماهير المحلية لإسماع صوتها ولإيجاد منبر رسمي يشار من خلاله المجتمع المحلي في شؤونه العامة، وفي مقدمتها عملية رسم السياسات العامة التي تعتبر اولا وقبل كل شيء الغاية من الديمقراطية التشاركية محل الديمقراطية النيابية أو على الأقل كمقوم لها.

**قائمة المراجع:**

**أ . الكتب:**

. العاني حسان محمد شفيق، **الأنظمة السياسية والدستورية المقارنة**، جامعة بغداد، العراق، 1986.

. جندلي عبد الناصر، **تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 2005.

. حسن ابراهيم بلوط، **إدارة المؤسسات**، ط1، دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1998.

. صالح أسامة خضر، **المشاركة السياسية والديمقراطية، اتجهات نظرية ومنهجية حديثة تساهم في فهم العالم من حولنا**، جامعة عيس شمس، منشورات الجامعة، 2005.

. ناجي عبد النور و ساحل مبروك، **مقدمة في دراسة السياسة العامة**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2014.

. محيو أحمد، **محاضرات في المؤسسات الإدارية**، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2006.

. معراف اسماعيل، **الوضع الإقليمي العربي في ظل المتغيرات الدولية ( مع التركيز على قضايا الإصلاح والتحول الديمقراطي**، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2009.

**ب . القوانين والنصوص التشريعية:**

. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، القانون 16 . 01 ، عدد 14، ليوم 07 مارس 2016، المتضمن نص تعديل الدستور، المؤرخ في 06 مارس 2016.

. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، قانون 11 . 10، المتعلق بالبلدية، المؤرخ في 22 جوان 2011، العدد 37،الصادرة بتاريخ 03 جويلية 2011.

. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، متعلق بقانون الولاية 12 . 07 مؤرخ في 28 ربيع الأول عام 1433 الموافق 21 فبراير 2012.

**ج . المجلات والدوريات والملتقيات:**

. برابح عبد المجيد، الديمقراطية التشاركية، مجلة القانون، **المجتمع و السلطة**، عدد خاص رقم 1، 2012، من خلال أشغال الملتقى الوطني حول : مؤشرات الحكم الراشد وتطبيقاتها، يومي 6 و 7 أفريل 2011 ، جامعة وهران.

- بلعيور الطاهر، " الديمقراطية كأداة لترشيد الحكم "، **الملتقى الدولي حول الحكم الرشيد واستراتيجيات التغيير في العالم النامي، الجزء 1**، المنعقد يومي 08 ، 09 ، أفريل 2007، جامعة سطيف.

. رمضان عبد المجيد، الديمقراطية الرقمية كآلية لتفعيل الديمقراطية التشاركية، حالة الجزائر، **مجلة دفاتر السياسة والقانون**، عدد 16 ، جانفي 2017.

. عقبوبي مولود، الديمقراطية التشاركية في المجالس المحلية المنتخبة في الجزائر، **مجلة القانون**، عدد 06، جوان 2016.

. عيساوي عز الدين، الديمقراطية المحلية من الديمقراطية التمثيلية الى الديمقراطية التشاركية، **المجلة الأكاديمية للبحث القانوني**، المجلد 12، العدد 2، 2015.

. مغربي فريال، الديمقراطية التشاركية كآلية لتحقيق التنمية المحلية . المملكة المغربية نموذجا، **مجلة المفكر**، عدد 17 . جوان 2018، جامعة محمد خيضر بسكرة.

. جريدة النهار الجزائرية ، عدد 3098 ، يوم 25 نوفمبر 2017.

**ج . المراجع الالكترونية:**

. تقرير الديمقراطية التشاركية على المستوى المحلي، المنظمة الدولية للتقرير عن الديمقراطية، DRI، مكتب تونس، .. موقع انترنت: www.democracy-reporting.org

. عبد الله الفقيه، مفهوم علم السياسة، مدونة، تصفح الموقع يوم 31 / 08 / 2018.
https://abuyemen.wordpress.com/2009/10/13

. تقرير عن وضع الديمقراطية التشاركية لعام 2014، **صندق الأمم المتحدة للديمقراطية**، نشر The HUNGER PROJECT، نيويورك 2014.

# العنف الأسري وعلاقته بالصحة النفسية لدى المرأة المعنفة

**الدكتور عداد وسام الدكتور بخوش وليد**

**الدكتور جغلول زغدود**

**جامعة العربي بن مهيدي _أم البواقي**

**تاريخ الإيداع: 2019/02/19 م تاريخ التحكيم: 2019/02/25م تاريخ القبول: 2019/02/27م**

**ملخص:**

تندرج هذه الدراسة ضمن مقاربة نفسية اجتماعية، وتتناول موضوع الحال والمتمثل في العنف الأسري وعلاقته بالصحة النفسية لدى المرأة المعنفة حسب رأي عينة من الزوجات، واعتمد الباحثون على المنهج الوصفي التحليلي، واستعمال الاستبانة كوسيلة وأداة لجمع البيانات المتعلقة بهذه الظاهرة، حيث طبقت ووزعت الأداة على مجتمع الدراسة والمتكون من 83 امرأة معنفة بولاية الشلف. وانطلقت هذه الدراسة من ثلاثة أسئلة رئيسية وهي:

– ما هي أكثر أنواع العنف استخداماً أو شيوعاً ضد الزوجة لدى أفراد عينة البحث؟

– ما هي العلاقة بين العنف والصحة النفسية لدى النساء المعنفات المقيمات في مدينة الشلف من أفراد العينة؟

– ما هو البعد النفسي الأكثر ارتباطاً بالعنف من أبعاد المقياس المستعمل؟ سنحاول من خلال هذه الورقات البحثية الإجابة على هذه التساؤلات.

**الكلمات المفتاحية:** العنف الأسري، الصحة النفسية، المرأة المعنفة.

# Family violence and its relation to the psychological health of abused women

**Dr. addad wissam** **Dr. bakhouch walid**

**Dr djeghloul zaghdoud**

**Arabi Ben Mehdi University, Algeria**

**Abstract:**

The present paper goes under a social and psychological approach. Thus, it rises up the actual problem which is "familial violence" and its effects on the psychological health of the woman being subject to violence, taking into consideration the opinion of a sample of women. The authors of this study make use of a methodology based on description and analysis, as well as the survey which constitutes the tool of gathering the data relating to this phenomenon.They therefore submit a society of 83 women, being victims of violence, to the study. This society is taken in the district of Chlef.

The present study aims to answer the following main questions:

– What is the type of violence mostly common or widely seen against the spouse amongst the society being examined?

– What kind of relation does it exist between violence and the psychological health of the women being victims of violence amongst the society being examined which taken from Chlef?

– Which psycological dimension is mostly related to violence amongst the dimensions being used in that tool? We tend to answer these questions in this paper

. **Keywords:** Domestic violence. Psychological health. Wounded women.

# العنف الأسري وعلاقته بالصحة النفسية لدى المرأة المعنفة

الدكتور عداد وسام الدكتور بخوش وليد
الدكتور جغلول زغدود
جامعة العربي بن مهيدي _أم البواقي

**مقدمة:**

تعد ظاهرة العنف ضد المرأة ظاهرة عالمية لا تقتصر على مجتمع بعينه أو على شريحة اجتماعية بعينها، وقد بدأ الاهتمام بقضية العنف ضد المرأة منذ عام (1980)، عندما أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة ذلك العام السنة الدولية للمرأة، فأصبحت بذلك نقطة تحول في مسيرة المرأة وقضاياها، وفي عام (1993) بدأت المنظمات النسائية تهتم بهذه القضية ففي مؤتمر فينا الدولي لحقوق الإنسان، صدور الإعلان العالمي لمناهضة العنف ضد النساء في كل بلدان العالم ، والذي نص على أن العنف ضد النساء هو"" أي فعل عنيف قائم على الجنس، ينجم عنه أذى أو معاناة بدنية أو نفسية للمرأة بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل.... سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة"".(الأمم المتحدة 1995).

ولاشك أن الصحة النفسية للأسرة تتحدد بالدرجة الأولى بمدى نجاح الزواج والسعادة في الحياة الزوجية، ولعل ذلك ما يفسر الاهتمام بالتنظير في قضايا ومشكلات الأسرة من هذا المنظور، وتكمن خطورة العنف الأسري بشكل عام، والعنف الزوجي بشكل خاص بأنهما ليسا كغيرهما من أشكال العنف ذات النتائج المباشرة، والتي تظهر في إطار العلاقات الصراعية بين السلطة، وبعض الجماعات السياسية أو الدينية، بل أن نتائجه غير المباشرة المترتبة على علاقات القوة غير المتكافئة داخل الأسرة وفي المجتمع بصفة عامة. غالباً ما يحدث خللاً في نسق القيم، واهتزازاً في نمط الشخصية خاصة عند الزوجات والأطفال مما

يؤدي في النهاية، وعلى المدى البعيد إلى خلق أشكال مشوهه من العلاقات والسلوك، وأنماط من الشخصية المتصدعة نفسياً وعصبياً. (عبد الوهاب، 2000: ص6).

وبناءً على ما سبق، وبالنظر إلى البيئة الزوجية باعتبارها أقرب البيئات المحيطة بالمرأة، فإنها قد تسهم في حالة اضطرابها في التأثير سلباً على الصحة النفسية للزوجة، وفي حالة سوائها فقد تسهم في التأثير إيجابياً على الصحة النفسية لديها، كما قد تؤثر أيضاً على مستوى الرضا الزواجي لدى الزوجات على اعتبار أن العلاقة الزوجية التي تتسم بالعنف الزوجي هي علاقة غير مشبعة للحاجات النفسية الأساسية للزوجة، وأهمها على الإطلاق الإحساس بالأمن. (Mcshane ,1998, P4 ). أن ما تتعرض له المرأة من عنف يحتمل أن يؤثر على صحتها النفسية بشكل واضح.

ويمكننا التأكيد بوجود مشكلة تعاني منها النساء على مستوى العالم اسمها ''العنف الذكوري''، سواء أكان الذكر الذي يمارس العنف أباً أو أخاً أو زوجاً ، تشير إحصائيات عام 2012، إلى أن حوالي نصف النساء ضحايا القتل العمد، في جميع أنحاء العالم، قد قُتلن بيد شركائهن الحميمين أو أحد أفراد أسرهن ففي قارة أروبا أشار موقع "يوروستات" بأن أنماط الجرائم ضد المرأة لعام 2015 جاءت ضمن ثلاث فئات هي العنف الجنسي، الاغتصاب، والاعتداء الجنسي وتصدرت ألمانيا هذه القارة بواقع أكثر من 30 ألف حالة، وأكثر من 25 ألف حالة اعتداء جنسي، وحوالي سبعة آلاف حالة اغتصاب (https://arabic. euronews.com). ليلها بلد حرية المرأة – فرنسا– حيث أشار تقرير وزارة داخليتها لعام 2016 أن 123 امرأة لقين مصرعهن على أيدي أزواجهن، كما أن هناك نحو 225 ألف حالة اعتداء جسدي وجنسي كل عام في فرنسا، بمعدل اعتداء واحد كل دقيقة، ووفاة امرأة كل ثلاثة أيام. فيما لم تسجل أي حالة عنف جسدي في كل من إيطاليا وسكوتلندا وآيسلندا وإنجلترا (http://www.aljazeera.net)

أن معدلات الإساءة في المجتمعات الأوروبية مشابهة لما هو موجود في باقي قارات العالم وهي معدلات مرتفعة، حيث تشير إحصائيات المنظمة الصحة العالمية لعام "2017" أن 35% من النساء في أنحاء العالم كافة تعرضن في حياتهن للعنف على يد شركائهن الحميمين أو للعنف الجنسي على يد غير الشركاء (http://www.who.int).

أما في المنطقة العربية فقد أكد موقع هيئة الأمم المحتدة للمرأة إلى أن نسبة (37%) من النساء في العالم العربي تعرضن لعنف جسدي أو جنسي لمرة واحدة في حياتهن على الأقل (https://bushra.an nabaa.org) كما أكدت العديد من الدراسات والأبحاث تنامي هذه الظاهرة فحسب دراسة المجلس الوطني لشؤون الأسرة في الأردن فإن أكثر أنواع العنف الأسري ممارسة هو العنف الجسدي الذي بلغت نسبته (86%) وفي المغرب (50%) من النساء المتزوجات يتعرضن للعنف أما في مصر (99%) من النساء يتعرضن للتعنيف (www.skynewsarabia.com) ومن بين ما توصلت له الأبحاث والدراسات الأكاديمية دراسة كل من (حمدان، 1996) التي أجرتها على المجتمع الفلسطيني وتوصلت إلى أن نسبة النساء المعنفات في مدينة طولكم تصل إلى 35.9% من حجم عينتها البالغة (421) أسرة، وفي المجتمع المصري أظهرت دراسة (عبد الوهاب، 1994) أن النساء المصريات يتعرض للعنف الجسدي والمتمثل في الضرب والحرق والطعن بالسكين، والقتل بالرصاص، أو الذبح تختلف باختلاف البيئة الاجتماعية والثقافية لعينة الدراسة، أما في المجتمع اللبناني فإن المرأة تتعرض للعنف الجسدي والنفسي من الزوج في مختلف الطبقات الاجتماعية، وحسب التقارير والإحصاءات أظهر المجلس الوطني لشؤون الأسرة مؤخرا في تقرير له أن أخر إحصائية لإدارة حماية الأسرة كشفت عن وقوع (1743) حالة اعتداء في عام 2007، أما وزارة التنمية الاجتماعية فتعاملت مع (1200) حالة عنف خلال العام نفسه، في حين استقبلت دار الوفاق التي تعمل تحت مظلة الوزارة (290) سيدة منذ بدء عملها في 17 كانون الثاني 2007.

أما في الجزائر وفي الفترة الممتدة من جانفي 2017 إلى سبتمبر 2017 حسب رئيسة المجلس الوطني لحقوق الإنسان "فافا سيد لخضر بن زروقي" إن المديرية العامة للأمن الوطني أحصت "7586" حالة عنف واعتبرت وزيرة التضامن الوطني "غنية إداليا" أن "هاته الأرقام لا تعكس ما يحدث على أرض الواقع وأن هناك كثيرا من النساء المعنفات الآئي لا يصرحن بالعنف نظرا لاعتبارات عديدة منها اجتماعية وثقافية" (www.radioalgerie.dz).

ومن خلال ما تم عرضه يمكن القول أن المرأة المعنفة تظهر لديها اضطرابات واضحة في صحتها النفسية الجسدية، وهذا حسب ما جاء في التقرير الذي نشرته وزارة الصحة الألمانية بمناسبة اليوم العالمي للمرأة أن الآثار التي يتركها العنف على النساء تتلخص في الخوف والارتجاف وضيق التنفس والصداع كما يؤدي استمرار العنف ضد النساء إلى الشعور بفقدانهن أهميتهن، وإدمانهن على المهدئات وتتطور الرغبة لديهن في إيذاء أنفسهن، فالمعاناة النفسية نتيجة التعرض للإساءة والعنف تشعرهن بأنهن مقهورات داخل أسرهن وكبت هذه المشاعر لفترة من الزمن، تتحول بلا وعي إلى معاناة جسدية. وانطلاقا من المعطيات المذكورة أعلاه وبالإضافة إلى أهمية الإحصائيات العالمية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة المسجلة نلاحظ أن أغلبية ضحايا العنف الأسري هن النساء المتزوجات وعليه تم اختيار هذه الفئة وتسليط الضوء عليها من خلال هذه الدراسة والموسومة بـ:" العنف الأسري وعلاقته بالصحة النفسية لدى المرأة المعنفة". وتحاول دراستنا الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي:

- **هل توجد علاقة بين العنف الأسري والصحة النفسية لدى المرأة المعنفة؟** والذي انبثقت منه جملة من

التساؤلات الآتية:

- ✓ **ما هي أكثر أنواع العنف استخداماً ضد أفراد عينة الدراسة؟**

✓ **ما هي العلاقة بين العنف والصحة النفسية لدى النساء المعنفات المقيمات في مدينة الشلف ضمن أفراد العينة؟.**

✓ **ما البعد النفسي الأكثر ارتباطاً بالعنف لدى النساء المعنفات المقيمات في مدينة الشلف ضمن أفراد العينة؟.**

**1 – أهمية الدراسة:** بناءا على ما تقدم يمكن أن نستدل على حجم المشكلة، وأهمية دراستها التي يمكن أن نلخص أهميتها فيما يلي:

– أن هذه الدراسة يمكن أن تعد أول دراسة – في حدود علم الباحثين– تجرى على النساء المعنفات المقيمات في ولاية– الشلف– وعلاقته بالصحة النفسية.

– أن هذه الدراسة يمكن أن تضيف معرفة نظرية، وميدانية جديدة إلى الأدبيات السابقة التي تناولت هذا الموضوع سواء باللغة العربية أو اللغات الأوروبية الأخرى، من خلال رصدها الميداني لمدى العنف ضد الزوجة الجزائرية.

– كما تكمن أهمية هذه الدراسة في المعرفة الدقيقة والمساعدة المقدمة للنساء الجزائريات المعنفات، من خلال معرفة القيم والتقاليد والعادات السائدة لديهن.

**2 – أهداف الدراسة:** تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

– تحديد البعد النفسي الأكثر ارتباطاً بالعنف لدى النساء المعنفات ضمن أفراد عينة الدراسة.

– تحديد أكثر أنواع العنف استخداماً أو شيوعاً ضد الزوجات المعنفات.

– التعرف على العلاقة بين العنف والصحة النفسية لدى النساء(الزوجات) المعنفات المقيمات في ضمن أفراد العينة.

**3– فرضية الدراسة:**

وللإجابة عن التساؤلات السابقة صيغت الفرضية العامة للدارسة والمتمثلة في:

- **توجد علاقة بين العنف الأسري والصحة النفسية لدى المرأة المعنفة.**

وانبثقت منها جملة من الفرضيات الآتية:

✓ **أكثر أنواع العنف استخداماً ضد أفراد عينة الدراسة العنف الجسدي**

✓ **توجد علاقة بين العنف والصحة النفسية لدى النساء المعنفات المقيمات في مدينة الشلف ضمن أفراد العينة؟.**

✓ **البعد النفسي الأكثر ارتباطاً بالعنف لدى النساء المعنفات المقيمات في مدينة الشلف ضمن أفراد العينة الاكتئاب النفسي.**

**4 – حدود الدراسة:** تقتصر الدراسة الحالية على عينة من النساء المعنفات، اللواتي يراجعن مركز الدرك الوطني، ومكتب الشؤون الاجتماعية في مدينة (الشلف)، بسبب قضايا العنف سواء كان عنفاً جسمياً أو نفسياً أو اقتصادياً أو جنسياً للعام2017.

**5 – مصطلحات الدراسة :**

**العنف:** من الصعوبة أن نحدد مفهوم العنف لتعدد دلالاته وتنوع مضامينه خاصة في مجال علوم الإنسان ونظرا لصعوبة تعريفه فإن الكثير من القواميس تتحاشى التعرض إليه مباشرة مفضلة الحديث عن مفهوم العدائية أو العدوانية أو مفهوم الصراع ، ولا نبالغ إذ قلنا أن دراسة العنف ومحاولة تفسيره وفهمه في الوقت الراهن تحديد كبيرا بالنسبة إلى علوم الإنسان التي تعرف انقساما كبيرا فيما بينها، كون دراسته تحتاج إلى مقارنة علمية منهجية جزئية وملتحمة قادرة على ضم جوانبه المتعددة والمتغيرة، حتى لا تتجاذب أطرافه العديد من العلوم كعلم الأعصاب وعلم الجينات والفيزيزلوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والقانون والتشريع وغيرها. (أحمد أوزي، 2014، ص20) وتعرفه القواميس على أنه يمثل العدوان أي الظلم بمعنى عدوانا أي ظلمت جاوز فيه القدر. (ابن منظور، 1980، ص545) وهو تلك القوة المفرطة التي تستخدم لإخضاع الغير من حيث كونها فعلا وحشيا يتصرف به الشخص اتجاه

غيره للتسلط والهيمنة. (Le robert.1993 p22.21) ومن الناحية السيكولوجية يعرف العنف على أنه ذلك الاستعمال المفرط للقوة من خلال نفي القانون ونفي حق الفرد (N.sillamy.1980.p1226)، أي انتهاك شخصيته بتجاهله ونكرانه. ونشير فقط أن مجمل التعاريف التي قدمناها تبقى نسبية لأن مفهوم العنف تتحكم فيه عوامل تاريخية وثقافية وسياسية خاصة بكل مكان وزمان.

**العنف الزوجي** "Le violence canjugale" : عرّف التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني العنف الزوجي على أنه :العنف الذي يوجّهه الشريك إلى شريكته، حيث يستأثر الرجل بالسلطة داخل المنزل في إطار علاقة قوة غير متكافئة مع زوجته وعدم الاعتراف بالمساواة بينه وبينها ومحاولة تطويعها بحسب صورته بهدف إلغائها. وهذا العنف يهدّد كيان الزوجة ويلحق بها أضراراً مادية أو معنوية أو نفسية، وتُعرّف "منظمة الصحة العالمية "WHOعنف الشريك الحميم على أنه :سلوك منتهج ضمن علاقة معاشرة او من قبل شريك سابق يتسبّب في حدوث ضرر جسدي أو جنسي أو نفسي، بما في ذلك الاعتداء الجسدي والعلاقات الجنسية القسرية والإيذاء النفسي وسلوكيات السيطرة .(http://www.who.int) وقد يمتد حتى إلى إرغام الزوجة على الإنجاب دون موافقتها، خاصة إذا كانت تعاني من ظروف صحية قاهرة وربما مانعة لحدوث الحمل، وما يترتب عنه من خطر قد يطال صحتها وصحة جنينها أو العكس الممثل في إجبارها على الإجهاض، وما يترتب عنه من أثار نفسية وجسدية (عبد اللطيف، 2011، ص208) وقد يأخذ مظهر الإبادة النهائية كما هو الحال في حالات الخنق أو الطعن بالسكين أو الذبح (أوزي، 2002 ص152). إن العنف الممارس على الزوجة أقوى وأشد تأثيرا ، ويكمن سر قوته في كونه موجها لنفسيتها مما يؤدي إلي شتاتها النفسي دون أن تكون هناك أعراض جسدية تدل على التعنيف، وهذا ما يجعل إثبات وقوع هذا النوع من العنف وتجريم الفاعل أمرا مستحيلا، حين يستخدم الزوج حقوقه الاجتماعية والثقافية كوسيلة يسعى من خلالها

لإخضاع الزوجة لرغباته كالتهديد بالطلاق أو الزواج عليها أو الطرد من البيت الزوجية، أو الحرمان من الأولاد. إن مفهوم العنف الممارس على المرأة يتوجب علينا أولا معرفة القوة النمطية التي يتسم بها الرجل ذو النمط العنيف، حيث يجمع العاملون في هذا المجال على أن أغلب العوامل التي تؤدي بالرجل إلى استعمال العنف ضد شريكة حياته، هي سيكولوجية المنشأ ومنها الانتفاض إلى تقدير الذات والاضطرابات الانفعالية والسلوكية وضعف الثقة في النفس، إضافة إلى التجارب والخبرات الأليمة المرتبطة بمرحلة الطفولة أو حتى التجارب الشخصية فكل هذه العوامل تبين معتقدات خاطئة حول الصورة النمطية للمرأة في المجتمعات الذكورية، عدا عن دور التنشئة الاجتماعية.

مما تقدم يتضح بأن العنف الزوجي، هو تلك الأفعال والممارسات العنيفة التي تقع على المرأة المتزوجة بشكل متعمد أو استثنائي من طرف الزوج، والتي تتسبب في حدوث أضرار نفسية أو جسدية أو جنسية بما في ذلك الاعتداء الجسدي والعلاقات الجنسية القسرية، والإيذاء النفسي وسلوكيات السيطرة.

**– مفهوم الصحة النفسية: الصحة النفسية ودلالاتها:** تعرف الصحة النفسية بأنها قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا يؤدي إلى التمتع بحياة خالية من التأزم والاضطراب. ( سهير كامل، 1999، ص16). أما تعريف الصحة النفسية حسب منظمة الصحة العالمية (WHO) فإنها ترى بأن " الصحة لا تعني غياب المرض لكي تعني الدرجة القصوى من الصحة الجسمية والعقلية والاجتماعية للكائن البشري " (محمود السيد، 1994، ص31 ).

تعد الصحة من المكونات المهمة للشعور بالهناء، وهي بحق أحد عناصره الموضوعية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسعادة، ويشيع النظر إليها على أنها واحدة من أسبابها الرئيسية. وقد تناولت بحوث كثيرة العلاقة بين الصحة والسعادة، وبين تحليل كمي لنتائج هذه الدراسات أشارت إلى وجود معامل ارتباط متوسطه بين الاثنين. هذا الارتباط كان أقوى لدى النساء

وذلك عند استخدام مقاييس الشعور الذاتي بالصحة، وتكشف رابطة وثيقة بين المشاعر السلبية ومشاعر العناء وكمية القلق وبين سوء الصحة. ( أراجيل، 1993 ص227)، فالصحة النفسية ترتبط بالسعادة والطمأنينة سواء لدى الفرد بمفرده أو في علاقته بأقرانه، أو علاقته بأفراد مجتمعه، وهو الحال نفسه في ما يتعلق بالمرأة. وإذا أردنا أن نستعرض بعض مفاهيم الصحة النفسية لوجدنا أنها حالة من الأحوال النفسية، فالصحة النفسية شأنها شأن الصحة الجسمية يجب النظر إليها على أنها منتهى ما يسعى إليه الفرد، من خلال سلوكه وتفاعله مع الحياة من حوله وعلى هذا فهي منتهى طريق طرفه الآخر هو المرض النفسي. (الشرقاوي، ب.ت، ص27) ويضيف ( الشرقاوي) بأن الصحة الجسمية لا تقرر إلا بالأداء الإيجابي للجسم وأعضائه، وبالقدرة على توظيف هذا الجسم لخدمة الفرد وتحقيق أهدافه مع الإحساس بالمتعة من جراء السيطرة على مقدرات هذا الجسم والاستخدام الإيجابي لها في الحياة اليومية.

**6 – الدراسات السابقة:**

**دراسات عربية :**

- **دراسة (الحلواني وآخرون،2001 )**: أجريت الدراسة في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية في العام 2001، وجدت الدراسة حالات العنف المسجلة في تقارير 6 مستشفيات حكومية، أو أهلية بالعاصمة الرياض من العام (1990 – 2000)، حيث ظهر أن 75 حالة عانت من العنف الشديد وتمثلت النسب في 76% عنف بدني ، 18% عنف جنسي، 12% إهمال، كما وجدت الدراسة أن الذكور المعرضين للعنف أقل من الإناث (44% ، 55% على التوالي).(عبد الرحمن، 2006، ص36)
- **دراسة قام بها حسين طاهر( 2003)** : وفي هذه الدراسة قام بكشف الأسباب والعوامل التي تدفع إلى ممارسة العنف ضد المرأة في الجزائر سواء في العمل أو في الشارع، وخاصة في المنزل ضد المرأة من طرف زوجها، وقد شملت عينة بحثه (445) مستجوب

ومستجوبة، وهذا المسح أو الدراسة كانت ترمي إلى تحقيق بعض أهداف الدراسة ومنها التوفر على معطيات وبيانات بالأرقام كفيلة بتبيان حجم العنف المنزلي ومدى اتساعه وتوضيح العواقب الرئيسية والنفسية والاجتماعية لهذا العنف واقتراح توصيات وحلول يمكن أن تساهم في الحد من ظاهرة العنف ضد المرأة، ومن نتائج هذه الدراسة أن 70% من النساء المستجوبات اللواتي تعرضن للعنف عمرهن ما بين20-39 سنة، و75% من اللواتي تعرضن للعنف مستواهن التعليمي ابتدائي ومتوسط، و37% من اللواتي تعرضن للعنف مطلقات وأرامل، و52%من اللواتي تعرضن للعنف ربات بيوت، و74%من اللواتي تعرضن للعنف لا يرفعن شكاوي للسلطات.(حسين طاهر، 2003: 05)

- دراسة عراقية قامت بها جمعية الأمل العراقية في منطقة كردستان العراق عام (2003) على عينة بحث تتألف من 2350 امرأة تبين أن 44%.15 منهن حصل على الزواج من دون موافقتهن، وأن من أسباب عدم أخذ رأيهن في الزواج يعود إلى 18.81% تزوجن بالإكراه وأن 46.77% بسبب الزواج التبادلي و22.04% عشائري، ونسبة10.77% دفع مهر غالي و01.12% إهداء أو عطية، وكذلك دراسة استبيانية أجراها مركز اليقين سنة2007 على عينة مكونة من1067 مواطن ومواطنة موزعين على عدد من المحافظات العراقية فطرح عليهم14 سؤالا حول ما إذا كان الحق للزوج في ضرب زوجته، رفض 63% من العينة هذا الأمر، في حين 16%منهم مترددين ما بين الرفض والقبول، أما 21% فقد أيدت ذلك، وقد تبين أن أكثر الرافضين هم من الإناث بنسبة71% بينما كان أكثر المترددين والمماطلين في الإجابة هم من الذكور، وعند سؤال العينة عما إذا تعرضت أنثى من أسرهم للعنف من قبل الأسرة أو إذا كانت الأنثى محل الدراسة قد تعرضت للعنف، فكانت نسبة الإجابة 33%بنعم و54%بلا، في حين أمتنع 13%عن الإجابة مع ملاحظة أن الاستبيان قد تم توزيعه على المنطق الحضرية، ولو كان على المناطق الريفية لكانت النسبة

أكبر بحسب المعلومات التي ترد عن كثرة تعرض الإناث في تلك المناطق للعنف كجزء من ثقافات وعادات سكانها.( العبيدي، 1969، ص07)

- **دراسة (أيمه جادو،2005 )**: أجريت الدراسة في جمهورية مصر العربية، وكان هدف الدراسة هو قراءة الواقع الخاص بالعنف المدرسي فيما يتعلق بمظاهره وأسبابه وعلاقته بالأسرة ودورها في التربية، وجدت الباحثة في نتائج دراستها أن العنف المدرسي ناجم عن عدة مشكلات أبرزها: الإهمال واللامبالاة في الأسرة تجاه أبنائها، الاعتداءات المتكررة بالضرب، شيوع حالات الممارسات الجنسية ( شقير،2005 ، ص 70).

***دراسات أجنبية:**

***دراسة** كارين "**Karin Larsson,2007**" بعنوان: " العنف الأسري وأثره على الصحة الجسمية والنفسية للمرأة المعنفة"، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الفروق بين النساء المعنفات جسمياً، وجنسياً، ونفسياً من قبل أحد أفراد الأسرة والنساء غير المتعرضات للعنف في سلامتهن الجسمية والنفسية وهي دراسة تجريبية . وهدفت أيضاً إلى معرفة الفروق بين النساء المتعرضات للعنف حسب سنوات التعرض له. وشملت عينة الدراسة مجموعة من النساء المعنفات المتواجدات في بيوت النساء، (بيوت خاصة تقيمها الدولة في السويد ) وعينة مكافئة لها من النساء غير المتعرضات للعنف، وذلك من خلال الإجابة على استبيان خاص أعد لهذه الدراسة. وبينت النتائج أن النساء المعنفات لديهن مشاكل نفسية، وجسمية أكثر من النساء غير المعنفات، كما أن هناك فروقاً بين النساء المعنفات تبعاً للفترة الزمنية التي تعرضن فيها للعنف، حيث كانت النساء المتعرضات للعنف لفترة ست سنوات أو أكثر لديهم ضغوط نفسية عالية، مع أعراض اكتئاب وآلام جسمية أكثر من النساء المتعرضات للعنف لخمس سنوات أو أقل (Larsson, 2007. p.:4-20-2)

* **دراسة (Grazyna Lenardt,2008 )**: أجريت هذه الدراسة في السويد في مدينة Uppsala وكانت بعنوان Invandrar Kvinnor i våldspräglde

relationer blir extra utsatta، وهدفت إلى معرفة نسبة ما يتعرض له النساء المهاجرات والسويديات من عنف من قبل الزوج، والمتقدمات بطلب المساعدة إلى مراكز الخدمات الاجتماعية المناوبة (مناوبة النساء Kvinnojour). شملت عينة البحث 139 امرأة من الذين طلبن المساعدة. استخدم فيها استبيان لمعرفة أسباب العنف ونوعه، وبينت النتائج أن 70% من الرجال المعنفين للنساء هم من المهاجرين والباقي كانوا من السويديين، وأظهرت النتائج أيضاً أن من الأسباب التي دفعت إلى سلوك العنف يتعلق في طباع المهاجرين في السويد وعدم قدرتهم على التكيف في هذا المجتمع. وأكثر أنواع العنف استخداماً هو العنف الجسدي، ومن نتائج الدراسة أيضاً أن هؤلاء النسوة يعشن في عزلة وليس لديهن أقارب أو أصدقاء، كذلك عدم قدرتهن على تعلم اللغة السويدية مما زاد من عزلتهن أكثر، وبينت الدراسة أن هؤلاء النسوة يقعن بين قوتين: عنف الرجل في البيت، والعزلة في المجتمع وشعورهن بالعنصرية من قبل المجتمع السويدي مما أثر سلباً على حالتهن النفسية والصحية. (Lenandet, 2008,p.201-350 )

**7 – الإطار المنهجي للدراسة:**

**أ – المنهج المستخدم:** اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي لأنه الأنسب لتحقيق الأهداف المرجوة من هذا الموضوع، الذي يدرج ضمن البحوث الوصفية التحليلية، والتي لا تقتصر على جمع البيانات والحقائق وتصنيفها وتبويبها، بالإضافة إلى تحليلها التحليل الكيفي الدقيق المتعمق، بل تتضمن أيضا قدرا من التفسير لهذه النتائج بالإضافة إلى استخدام أساليب القياس للوصول إلى التأكد من وجود دلالات إحصائية، ثم التعميم بشأن الظاهرة محل الدراسة. (صابر، 2002، ص87).

ب – **عينة الدراسة:** بلغ عدد أفراد عينة الدراسة (83) امرأة معنفة مسجلة رسمياً في السجلات الخاصة بالشؤون الاجتماعية تم اختيارهن بالطريقة العشوائية، وأثبتت من خلال الاطلاع على ملفاتهن الخاصة بالمركز بأنهن تعرضن إلى أحد أنواع العنف ( الجسدي،

الجنسي، النفسي، الاقتصادي)، وتراوحت أعمار أفراد عينة البحث من (19-55) سنة، وكان متوسط أعمارهن (28.7) سنة .

**ج – أداة جمع البيانات:** تم بناء أداة الدراسة الممثلة في استبيان من خلال الدراسة الاستطلاعية حيث قمنا بجمع المادة الأولية ثم صغناها في شكل عبارات توجه لأفراد العينة، تم تطبيق قائمة الأعراض المرضية المعدلة في صورته النهائية على عينة بلغت (83) امرأة من النساء المتزوجات (سابقاً)، والمعنفات واللاتي لديهن ملفات في دائرة الشؤون الاجتماعية والدرك الوطني، وبعد أخذ رأيهن وموافقتهن في الاشتراك بهذا البحث، وبعد طمأنتهن بأن هذه الإجابة هي لأغراض البحث العلمي، ولا توجد إجابة خاطئة وأخرى صحيحة، بقدر ما هو تعبير عن الحالة النفسية لأي امرأة تعرضت فعلاً للعنف، وتم اللقاء منفرداً بكل واحدة منهن، إذ استغرقت الإجابة على القائمة من 20 إلى 35 دقيقة، ولم تكن هناك أسئلة من أفراد العينة حول غموض أو عدم فهم فقرات الأداة. وهنا لابد من الإشارة انه سجل تفاعلاً واضحاً لدى هؤلاء النسوة وتعاونهن في الإجابة على فقرات الإستبانة الموجهة لهن، وكانت هناك بعض الإشارات من قبل بعض أفراد العينة يتساءلون فيها عن دقة الفقرات، ومدى قوة وضوحها في ما يتعلق بمشاكلهن الخاصة، وما تعرضن له من عنف، وتأثير ذلك على الحالة النفسية والصحية. حيث استنتجنا أن هذا التفهم لفقرات الأداة يعطي مؤشراً قوياً لاستجابتهن .

**د – الشروط السيكومترية للأداة:** حيث تم عرضها على مجموعة من المحكمين وعددهم 08بغاية حساب الصدق حيث بتطبيق معادلة لاوشي بلغ.0.75=CVR=42/19.75 وبغرض التعرف على قيمة الثبات تم حساب معامل الثبات بالطرق الآتية :

- **إعادة الاختبارM**: تم اختيار (20) معنفة سجلت أسماؤهن بغرض إعادة تطبيق القائمة عليهن مرة أخرى بعد أن تم تحديد موعد معهن بذلك . تم إعادة تطبيق القائمة مرة أخرى

عليهن بعد مرور أكثر من أسبوعين وحسبت قيمة معامل الارتباط بين درجاتهن في التطبيقين (الأول والثاني) وكانت قيمة معامل الارتباط المحسوب بهذه الطريقة (0.70) وهو معامل ثبات جيد .

- **معامل ألفا للاتساق الداخلي**: بلغت قيمة معامل الثبات المحسوب بهذه الطريقة للقائمة ككل (0.78) وهو معامل ثبات جيد ومقبول .

**8 – المعالجة الإحصائية ومناقشة النتائج:**

**الهدف الأول: ما هي أكثر أنواع العنف استخداماً أو شيوعاً ضد أفراد عينة البحث الحالي؟**

تحقيقاً للهدف الأول من البحث الحالي، والمتعلق بمعرفة نوع أو شكل العنف الأكثر ممارسة ضد الزوجة من بين أنواع العنف الأربعة (الجسدي، النفسي، الاقتصادي، الجنسي )، اعتمد في تحديد نوع العنف الأكثر انتشاراً أو شيوعاً لدى أفراد عينة البحث، والمتمثل بالنساء المعنفات في مدينة الشلف على الإحصائيات الرسمية المستخدمة والمعتمدة في مركز الدرك الوطني والشرطة، والتابع للشؤون البلدية فيها للعام 2015، وكذلك على ما تم الحصول عليه من خلال تطبيقهما على أفراد العينة المذكورة، حيث سجل لدى دوائر شرطة الشلف (60) دعوى عنف داخل الأسرة، كما أن إحصائيات مركز الأزمات توحي إلى التزايد المستمر في عدد النساء اللواتي طلبن الحماية، والمساعدة في العام 2016/2015 عنه في العام 2014. وكانت هذه النتيجة الموثقة في السجلات المختصة تتقارب بشكل كبير مع دراسة (Lundgren et,al 2001 ) في جامعة (أوبسالا بالسويد)، والتي أظهرت في نتائجها إلى أن:

- 16% من المشاركات في البحث تعرضن للعنف الجسدي .
- 28% تعرضن للعنف النفسي - 19% تعرضن إلى تهديد بالعنف .

وعند إجراء التطبيقات على عينة البحث الحالي من النساء المعنفات، تبين أن غالبية هؤلاء النسوة تعرضن للعنف الجسدي بشكل مباشر. وبلغت نسبة العنف الجسدي عندهن (68%) من مجموع النساء اللاتي طلبن الحماية، وتوزعت الأنواع الثلاث الأخرى من أنواع العنف (الاقتصادي، الجنسي، النفسي) بنسب متفاوتة، وهو كما موضح في الجدول الموالي رقم(01)

**جدول (01): يوضح النسب المئوية لأنواع العنف ضد النساء من عينة البحث الحالي**

| ت | نوع العنف المستخدم | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| 1 | العنف الجسدي | %68 |
| 2 | العنف الاقتصادي | %19 |
| 3 | العنف الجنسي | %13 |
| | المجموع | %100 |

من الجدير بالذكر أن العنف النفسي يشترك في وجوده بكل أنواع العنف. ويتضح بشكل جلي مع جميع الأنواع وأشكاله، وهذا يعني أن العنف الجسدي يشمل أيضاً تأثيرا مباشراً على الحالة النفسية، وكذا الحال بالنسبة للعنف الاقتصادي والعنف الجنسي، فالعنف النفسي يعد عاملاً مشتركاً بين جميع أنواع العنف ضد المرأة ويرى "**ستراوس** وزملاؤه" بأن العنف اللفظي والبدني خطوتان في عملية واحدة، وبينما لا يؤدي الشجار اللفظي دائماً غلى الإيذاء البدني إلا انه يعد مقدمة ضرورية للعنف البدني ( Gelles & Strause,1989. P.33) ونتيجة لخطورة العنف الجسدي الذي استخدم ضد المرأة في بعض الأحيان من قبل الرجل فإن ذلك يستدعي أن توضع الزوجة في مكان محمي.

**الهدف الثاني: ما هي العلاقة بين العنف والصحة النفسية لدى النساء المعنفات المقيمات في مدينة الشلف ضمن أفراد العينة؟**

بحساب الاختبارt-teste للفرق بين المتوسط الفرضي والمتوسط الحسابي لدرجات أفراد عينة البحث الحالي، وجدت قيمة الاختبارt-teste المحسوبة بهذه الطريقة (7.89)، وهي ذات دلالة إحصائية عند مقارنتها بالقيمة المجدولة المقابلة لها عند مستوى دلالة (0.01) ودرجة حرية (82)، كما هو موضح في الجدول التالي:

**جدول (02): نتائج اختبار "t-teste" الفروق لعينة واحدة**

| عدد الأفراد | متوسط الدرجات | المتوسط الفرضي | الانحراف المعياري | ت المحسوبة | قيمة المجدولة |
|---|---|---|---|---|---|
| 83 | 66 | 63 | 31 | 7.89 | 2.58 |

هذه النتيجة تشير إلى أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين المتوسط الفرضي للمقياس ومتوسط درجات أفراد عينة البحث، أي أن النساء المعنفات بعانين من اضطراب في صحتهن النفسية. وتتفق هذه النتيجة مع الأدبيات التي ترى أن العنف الذي يصدر من الإنسان تجاه الإنسان هو "اختلال في موازين الصحة النفسية، وبنفس الوقت هو سوء توافق داخل الفرد أولاً، ومع المجتمع ثانياً، لاسيما أن العنف هو سلوك اجتماعي تحكمه دوافع نفسية، وهو أيضاً ظاهرة اجتماعية تمثل الخلل الاجتماعي بالشخصية، وهو كما عبر (أحمد فائق) بأنه خلل اجتماعي معروف عنه في علم الأمراض الاجتماعية" ويؤكد (أراجيل) أيضاً أن التوافق هو الشعور بالرضا عن الحياة مضافا له التلاؤم والتفاعل، ثم فاعلية الفرد في العلاقات الزوجية والأسرية ثم الاجتماعية، وبذلك تتحقق في الفرد الصحة النفسية في أحد جوانبها المتمثلة في السواء. وأظهرت دراسة ( Grazyna Lenardt ) في العام 2008

في السويد على أن النساء المهاجرات من المتزوجات والسويديات أن هؤلاء النسوة يقعن بين قوتين: عنف الرجل في البيت، والعزلة في المجتمع وشعورهن بالعنصرية من قبل المجتمع السويدي، مما أثر سلباً على حالتهن النفسية والصحية وهو استنتاج مفاده أن العنف مهما كان نوعه أو شكله على المرأة المتزوجة أو غير المتزوجة أو على الأطفال أيضاً حيث تبدو بعض مظاهر السلوك غير السوي، وينعكس ذلك على سلوك الفرد. وتوصلت دراسة Karin Larsson في العام 2007 في السويد في مدينة (أوريبرو)، إلى أن النساء المعنفات لديهن مشاكل نفسية وجسمية أكثر من النساء غير المعنفات، كما أن هناك فروقا بين النساء المعنفات تبعاً للفترة الزمنية التي تعرضن فيها للعنف، حيث كانت النساء المتعرضات للعنف لفترة ست سنوات أو أكثر لديهن ضغوطاً نفسية عالية مع أعراض اكتئاب، وآلام جسمية أكثر من النساء المتعرضات للعنف لخمس سنوات أو أقل.

**الهدف الثالث : التعرف على البعد النفسي الأكثر ارتباطاً بالعنف من أبعاد المقياس (مشاعر النقص وعدم الثقة بالنفس، القلق الاجتماعي، اضطرابات النوم، القلق حول الصحة، التعب والإرهاق، الأعراض الجسدية)** ؟ لمعرفة أي بعد نفسي أكثر تأثراً بالعنف تم حساب متوسط درجات كل بعد على حدة، ومن ثم جرى ترتيب الأبعاد حسب قيم المتوسطات، ورتبت المتوسطات الممثلة للأبعاد ترتيبا تنازلياً كما في الجدول الموالي رقم (03) .

**جدول (03): يوضح ترتيب الأبعاد السبعة للمقياس حسب قيم المتوسطات**

| ت | البعد | المتوسط |
|---|---|---|
| 1 | أعراض اكتئابية | 21 |
| 2 | تعب وإرهاق | 18 |
| 3 | القلق حول الصحة | 15 |
| 4 | الرهاب | 13 |
| 5 | اضطرابات النوم | 10 |
| 6 | مشاعر النقص وعدم الثقة | 8 |
| 7 | القلق الاجتماعي | 6 |

أظهرت النتائج " أن الارتباط بين الأعراض المرضية، وكل من أبعاد العصابية والانبساطية والقلق الاجتماعي، والميول العصابية والاكتئاب والتشاؤم مرتفعة جداً، مما يشير إلى إمكانية استخدام القائمة في تشخيص الاضطرابات العصابية وهو مؤشر صحيح تماما لمعرفة الصحة النفسية وقياسها بأداة تم تطبيقها، وأثبتت فاعليتها من خلال تلك النتائج. جاءت الأعراض الاكتئابية بالترتيب الأول في بروزها، لأن المرأة كما هو معروف علمياً أنها أكثر تعرضاً من الرجل لمظاهر الاكتئاب النفسي، خصوصا في الوضع الطبيعي مثل: اكتئاب العادة الشهرية، واكتئاب الولادة، واكتئاب سن اليأس .. الخ. وهي أكثر انتشاراً فالأعراض لا تشكل مرضاً، ولكنها نابجة نتيجة تفاعل الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، تزيد نسبة الأمراض الوجدانية بين النساء أكثر من الرجال وتصل النسبة إلى 2:3، وتذكر لنا دراسات عكاشة في كتاب الطب النفسي المعاصر أن نسبة الانتحار في الدنمارك والسويد تصل من 30- 40 % لكل 100000 بسبب زيادة أعراض الاكتئاب وهذا ما يؤكد أن

أعراض الاكتئاب ونتائجه المرضية ربما تقود إلى الانتحار إذا اشتدت استنادا إلى ما طرحه ( عكاشة، 1998، ص 352)، وجاء في الترتيب الثاني من نتائج البحث بعد تطبيق قائمة الأعراض المرضية المعدلة، أن متوسط الأعراض المرضية كان (18)، وهي نتيجة مرتفعة نسبيا وفق متغير الأعراض المرضية. وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج بحث (رضوان) مصمم هذه الأداة، حيث وجد أن نسب الانتشار بالنسبة للدرجة الكلية عند الإناث أعلى منها عند الذكور. وهذه النسبة قريبة من نسب الانتشار العالمية إلى حد ما، وتتفق مع غالبية الدراسات النفسية التي تشير إلى وجود نسب انتشار في الأعراض المرضية لدى الإناث أكثر من الذكور.

مما تقدم من هذه الدراسة يتضح بأنه توجد علاقة قوية بين العنف والاضطرابات النفسية ونتائجها الناجمة عنه.

**خاتمة :**

تعتبر ظاهرة العنف ضد المرأة ظاهرة ذات بعد عالمي تعاني منها المرأة، فالعنف ضد المرأة والطفل لا يعرف حدودا جغرافية أو حضارية، ولا يقتصر على مجتمعات معينة، وينتشر في كافة الطبقات الاجتماعية وبين كل المستويات التعليمية، وفي مجتمعاتنا العربية مازالت قضية العنف الأسري وضرب الزوجة والطفل مسألة مجهولة ويتم التكتم عليها على اعتبار أن المسألة تخص الأسرة مرتبطة بعادات وتقاليد وجذور ثقافية واجتماعية دائما تفوق الرجل في معالجة هذه الظاهرة،ولهذا وجب مواجهة العنف الزوجي دينيا، وتربويا، وأسريا، وثقافيا، واعلاميا، وعن طريق التوعية والتحسيس بالقوانين.

**التوصيات:** من خلال هذه الدراسة ومن النتائج المتوصل إليها يمكننا استخلاص مجموعة من التوصيات منها:

– بذل جميع الجهود من دورات إرشادية وتثقيفية في تنظيم العلاقة الصحيحة بين الرجل والمرأة، مما يدفع كلا الطرفين إلى تفهم إحدهما الآخر وهذا قد يقلل من العنف بينهما.

– إن العنف ضد الزوجة هو ليس مسالة عائلية تخص الزوجين فقط، بل هو مسألة أو قضية مجتمع يجب أن تبحث بدقة، لآثارها السلبية على الفرد المتمثل بالزوجة وعلى الأسرة ككل.

– توفير مراكز تثقيفية وتأهيلية للرجال العنيفين، أو الذين يستخدمون العنف ضد الزوجة بشكل مؤثر لمساعدتهم على تخطي حالة الانفعال هذه، بما يمكنهم من تجنب تكرار العنف ضد الزوجة أو أي فرد آخر في المجتمع الذي يعيشون فيه، بما يساعد في المحافظة على الأسرة ككيان واحد.

**قائمة المراجع:**

1. ابن منظور (1980) لسان العرب، بيروت للطباعه والنشر، بيروت.

2. ابو النيل، محمود السيد (1994) الأمراض السيكوسوماتية، المجلد الأول – الصحة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت. لبنان.

3. أبو سعد محمد عبد اللطيف،(2011 ) ، سيكولوجية المشكلات الأسرية، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

4. أحمد أوزي (2002) الطفل والعلاقات الأسرية، دون طبعة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب.

5. أحمد، أوزي (2014) سيكولوجية العنف، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب.

6. أحمد، سهير كامل (1999) الصحة النفسية والتوافق، السيف للنشر والتوزيع، الكويت.

7. **حسين طاهر** (2003) تمحيص في اشكالية العنف المنزلي، دراسة لفائدة وزارة التشغيل والتضامن الوطني، المركز الوطني للدراسات والتحاليل الخاصة بالسكان والتنمية، الجزائر، ديسمبر.

7. أراجيل، مايكل (1993)، سيكولوجية السعادة، ترجمة فيصل عبد القادر يونس، سلسلة عالم المعرفة العدد175، الكويت.

8. الأمم المتحدة(1995)، العنف ضد المرأة، تقرير المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، بكين.
9. الشرقاوي، مصطفى خليل، ب.ت، علم الصحة النفسية، دار النهضة العربية، بيروت. لبنان.
10. شقير، زينب محمود (2005). العنف والاغتراب النفسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. مصر.
11. صابر، فاطمة وعوض خفاجة (2002 )، أسس ومبادئ البحث العلمي، ط 1، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية. مصر.
12. عبد الرحمن، علي اسماعيل (2006)، العنف الأسري، الأسباب والعلاج، مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة. مصر.
13. عبد الوهاب، ليلى (2000)، العنف الأسري، الطبعة1، دار المدى للطباعة والنشر الطبعة بيروت. لبنان.
15. العبيدي بشرى (1969)العنف المرتكب ضد المرأة في المجتمع، وفي نصوص قانون العقوبات العراقي، رقم111، جامعة بغداد .

**المراجع باللغة الأجنبية:**

14-Le robert, dictionnaire historique de la longue francaise, le robert paris, Nouvelle edition.
15-Larsson, Karin.(2007) En studie om kvinnor, våld I nära relationer och symtom på fysisk och psykisk ohälsa. Avhandligar från Örebro universitet. Örebro
16-Lenadet, Eva et, al . Slagen dam. Mäns våld mot kvinnor i gemställda Sverige en omfångsundersökning. Brottoffer myndigheten. Uppsala (2008) universitet. Tryck: Åström tryckeri AB,
17-Mcshane.Steven L,(1998) Organizational Behavior, (Third Edition) McGraw-Hill Toronto.
18-Gelles R.J&Strause M.A.,(1989) Physical Violence in American Adaption to Violence, New Brunswick .N.Y Families, Risk Factor and

19- https://arabic.euronews.com/2017/11/24/un-day-for-elimination-of-violence-against-women.
20-http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2017/11/27/
21-http://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/violence-against-(women
22-https://www.skynewsarabia.com/varieties/
23-https://bushra.annabaa.org/rights/1896
24-http://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20171127/127039.html
25. http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs239/ar/

# تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية

## –دراسة تحليلية لمستخدمي الفايسبوك–

**الدكتورة غروبة سلمى**

**جامعة باجي مختار عنابة –الجزائر–**

**تاريخ الإيداع: 2019/02/12 م تاريخ التحكيم: 2019/02/25م تاريخ القبول: 2019/03/02م**

**ملخص:**

إن الكم الكبير من المعلومات التي يتلقاها مستخدمو مواقع التواصل الاجتماعي باستمرار ساهم في خلق حالة من الانفصام لديهم و أضحت المضامين التي تبث عبر هذه الصفحات تساهم في جعل المستخدمين يعيشون بين حقيقة الواقع و بين ما يتلقونه افتراضيا مما ، و في الجزائر أضحت الهوية الثقافية مهددة بافرازات مواقع التواصل الاجتماعي ، من جهة في ظل حالة الانغلاق التي تميز الجماعات و اتجاههم للتعصب و التمسك بآرائهم بعيدا عن الاستفادة من ايجابيات التفاعلية في ظل تعدد الأفكار و تنوعها ،و من جهة أخرى بفعل انسلاخ المجتمع من قيمه و مقوماته و تأثره بكل ما يتلقاه عبر مواقع التواصل الاجتماعي دون تكييفه مع خصوصياته. و جاءت هذه الدراسة للبحث في أسباب هذا الواقع الجديد الذي أفرزته مواقع التواصل اجتماعي بالاعتماد على المنهج الوصفي

كلمات مفتاحية: تفاعلية – مواقع التواصل الإجتماعي – الهوية

**Abstract**

The large amount of information received by users of social networking sites has continuously contributed to the creation of a state of disconnection and the content transmitted through these pages contributes to making users live between the reality of reality and what they receive by default, and in Algeria, cultural identity is threatened with secretions Social networking sites, on the one hand, in light of the state of closure that characterizes the groups and their tendency towards fanaticism and adherence to their views away from benefiting from the positives of the interactive in the diversity of ideas and diversity, and on the other by the disintegration of the society of its values and components and its impact on everything received through sites a Social communication without adapting it to its own peculiarities.

This study came to investigate the reasons for this new reality, which resulted from social networking sites based on the descriptive approach

Keywords : Interactive - social networking sites – identity

# تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية

## –دراسة تحليلية لمستخدمي الفايسبوك–

**الدكتورة غروبة سلمى**

**جامعة باجي مختار عنابة –الجزائر–**

**مقدمة:**

شهد العقدين الأخيرين من القرن العشرين بروز ما يسمى بالمجتمع المعلوماتي، الذي تميز بجملة من الأساليب و النظم و الأدوات التي جعلت من النسق المجتمعي أكثر ميلا للتعامل مع المستجدات ، و ما ساعد على ذلك التحول التكنولوجي الذي ميز العالم مما أدى لاندماج بين الثورة المعلوماتية ممثلة في الانفجار المعرفي التي تجسد في أشكال و تخصصات و لغات مختلفة إضافة إلى ثورة وسائل الاتصال التي أتاحتها تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة من بداية الاتصالات السلكية و اللاسلكية وصولا لوسائل الإعلام الجماهيرية و ما ميزها من تطور وسائل البث و الإنتاج ،و ذلك ثورة الحاسبات الالكترونية و ما تبعها من تطور مس مختل فجوانب الحياة الإنسانية.

كل هذه الثورات العلمية مجتمعة شكلت مظاهر المجتمع الإعلامي الجديد و عبرت عن انتقال العالم من القرية الكونية إلى "العقل الكوني" أي من إختراع الطباعة من قبل "غوتنبرغ" إلى القرية الكونية "لماكلوهان" وصولا إلى الطريق السريع للمعلومات لـ "ألغور" و كذا تكنولوجيا الاتصال الحديثة " لبيل غايتس" .

و في هذا الصدد اختلفت مواقف الباحثين جول دراستهم لطبيعة العلاقة بين الانترنت بكل ما لها من تطبيقات و خصوصيات بوسائل الاتصال التقليدية ، فهناك من

يعتقد بان هذه العلاقة تكاملية و البعض الآخر يراها تنافسية ،برز توجه جديد يذهب لحد اعتبار الانترنت و مواقع التواصل الاجتماعي ستكون البديل لوسائل الإعلام التقليدية خلال السنوات المقبلة.

**اشكالية الدراسة و تساؤلاتها:**

يزداد الحديث يوما بعد يوم عن الهوية في مختلف الأدبيات و الأبحاث الإنسانية و كثير من المواقع الأكاديمية خاصة في ظل ما يعرفه العالم من تغيرات متسارعة و في ظل ما تفرزه العولمة من تأثيرات و لقد شرعت الجزائر منذ تسعينات القرن الماضي في فسح المجال أمام اللغة التي اعتبرتها مكون هام في الشخصية و الهوية الوطنية للظهور في وسائل الإعلام من صحافة مكتوبة و إذاعة وصولا للتلفزيون التي يتضمن اليوم تنوعا في البرامج الإخبارية و الثقافية و الدينية باللغة العربية و كذا الأمازيغية التي اعتمدت كلغة رسمية بعد نضال عسير افرز في بداياته الاعتراف بها كلغة محلية و ما تبعها من إنشاء لقناة في التلفزيون العمومي ناطقة بالأمازيغية و الهدف من كل هذا كان التأكيد على مكونات المجتمع الجزائري "الإسلام، العروبة و الأمازيغية.

بظهور مواقع التواصل الاجتماعي كتطبيق من تطبيقات الإعلام الجديد أصبح موضوع الهوية في المجتمع يواجه عدة تحديات بما فيها التحدي الثقافي و الحضاري في ظل مساعي أمريكية لقولبة العالم في نموذج موحد، و لم يخطئ "نلسون تال" احد تلامذة " ماكلوهان" عندما حدد ثلاثة أهداف للانترنت غير المعلنة بالقول : "إن هدف الانترنت غير المعترف به هو جعل العالم كله يفكر و يكتب و يفعل كما يفعل سكان أمريكا الشمالية "( جويمرش. 1997.ص24 )إضافة إلى التحدي الإعلامي و محاولة تصدير النموذج الأمريكي في أنماط الحياة و ذلك عبر توظيف أدوات الاتصال و الإعلام الحديثة.

و تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن الهوية و الخصوصية لا يعني القوقع و العزلة و الاغتراب في الماضي و رفض "الوافد" فهناك قيم تتقاسمها الإنسانية و تشترك فيها جميع الثقافات العالم ، فالدفاع عن الهوية ليست حالة جزائرية أو عربية أو "عالم ثالثية" بل هي ظاهرة يتعاظم تأثيرها حتى في البلدان الغربية و خاصة مع التيار المناهض للعولمة و الذي لا يرى فيها سوى مظهرا من مظاهر الأمركة lamericanisation و يبدو ذلك في القارة الأوروبية التي تسعى جاهدة لإنقاذ الهوية من المد الثقافي و الإعلامي الأمريكي بمختلف الوسائل من خلال توحيد إقامة المشاريع الثقافية و الإعلامية المشتركة على غرار محطة " euronews" التي تبث بلغات مختلفة و كذا المبادرات الأحادية مثل قيام فرنسا بإنشاء قناة tv5 لمواجهة قناة cnn (Aline pailler . claude mickel . 1997.n251.r37)

و لم تتوقف عند هذا الجهد بل أنشأت قناة "فرانس24" التي تبث بعدة لغت كمنبر لطرح وجهة النظر الفرنسية في الكثير من القضايا الدولية و كذا كي تكون نافدة على فرنسا نحو كل العالم و نفس المنهج سلكته ألمانيا من خلال تلفزيون "DZ و روسيا من خلال "روسيا اليوم".

و في الجزائر لا تزال هناك محاولات جاهدة لتامين التواصل بين الماضي و الحاضر و المستقبل و العمل على تحقيق تطلعات الجمهور نحو الحفاظ على الهوية الوطنية في ظل تأثيرات التيارات الغربية و التي تقودها القنوات التلفزيونية و التي أضحت تشكل تهديدا حقيقيا على خصوصية المجتمعات في ظل قلة الإنتاج المحلي و الاتجاه للتقليد و النسخ.

و في مقابل الهوية و الخصوصية يأتي جانب التفاعلية الذي لا يعني المفاضلة بين الانعزال و فصل التفاعل مع الآخر بل هو يشجع على التأثير و التأثر في ظل المساواة و المسؤولية المشتركة لان التحديات التي يواجهها العالم اليوم هي تحديات مشتركة و إن تفاوتت حدتها

بين ضفة أو أخرى و بين عالم أو آخر."و لوسائل الإعلام الجديدة و في مقدمتها وسائل التواصل الاجتماعي دور بارز في تعميق أشكال التفاعل و إنجاحه و في صون الهوية التي لا تتناقض إطلاقا مع خطاب العالمية لان الحضارة عالمية و الثقافة خصوصية "( العزاوي.2005.ص75)

و يرى الكثير من الباحثين المختصين أن الهجوم الكاسح لمواقع التواصل الاجتماعي سيؤدي إلى الارتداد نحو التشبث بالهوية القومية غير أن المعركة ستكون خاسرة ما لم تتحول هذه المقاومة إلى مقاومة عقلانية و ايجابية و متسلحة بأدوات التكنولوجيا نفسها و في مقدمتها وسائل الإعلام الجديد الحديثة للاتصال و عليه فإننا نسعى من خلال هذه الدراسة لمعالجة ذلك خلال استعراض خصوصية مواقع التواصل الاجتماعي و مدى تأثيرها على الهوية و التفاعلية مع الآخر من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- إلى أي مدى تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في الدفاع عن الهوية و تدعيم الانتماء الثقافي و الحضاري؟
- ما مدى مساهمة مواقع التوصل الاجتماعي في ظل الازدواجية اللغوية القائمة في التعبير بصدق عن قيم المجتمع و انتمائه أم أنها تزيد في شرخ النسيج الثقافي و بعت اللاتجانس؟
- ماهي التحولات الوظيفية لعناصر الاتصال التفاعلي التي فرضتها البيئة الالكترونية؟
- كيف يمكن للفرد في ظل مواقع التواصل الاجتماعي الموازنة بين الجانب الاجتماعي و الجانب التكنولوجي؟

**أهمية الدراسة**

تأتي هذه الدراسة في إطار التأسيس لأبجدية تطبيقية عن شبكات التواصل الاجتماعي و ضرورة الالتفات لها نظرا للتغيرات الكثيرة التي تعصف بعها، كما تقف عند مدى تأثير هذه المواقع التواصلية على تعزيز الهوية الوطنية في المجتمع و لغة الحوار مع الآخر.

و تنطلق أيضا من النثريات النظرية لتعرض مقاربة أنموذجية تخص أساسا الفرد المستخدم لشبكة الانترنت لتتعدى متغيرات أخرى لها مكانتها القصوى في الحراك المجتمعي و التكنولوجي معا

**منهجية البحث**

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي الذي يعتمد على التحليل و التفسير بشكل علمي لخصائص و أبعاد و تأثيرات شبكات التفاعل الاجتماعي من خلال تجميع البيانات و المعلومات اللازمة عنها و التي تتحكم فيها و بالتالي استخلاص نتائج يمكن تعميمها مستقبلا في إطار من الصدق و الموضوعية اعتمادا على عرض مقاربات نظرية لباحثين قدموا إصدارات ضمن هذا الموضوع.

المبحث الأول: خصوصية مواقع التواصل الاجتماعي كنموذج للاتصال التفاعلي

لا يمكن الحديث عن مواقع التواصل الاجتماعي عند مناقشة إشكالية الهوية و التفاعلية دون الإشارة إلى جملة من الخصائص التي لا نجدها في بقية التطبيقات المتوفرة على الانترنت

**1- ماهية مواقع التواصل الاجتماعي**

لقد شهدت مواقع التواصل الاجتماعي على الانترنت انتشارا واسعا خلال السنوات الأخيرة و تعددت محاولات تقديم العديد من الخدمات و تحقيق مختلف الاشباعات ، و يأتي في

مقدمتها مواقع twiter facebook .my space. و تعددت تعريفات مواقع التواصل الاجتماعي من باحث لآخر حيث يعرفها "bapas" 2006 على أنها:
"برنامج يستخدم لبناء مجتمعات على شبكة الانترنت أين يمكن للأفراد أن يتصلوا ببعضهم البعض لعديد من الأسباب المتنوعة" و يعرفها بريس"preece " و مالوني كريشمار "malony-krichmar" 2005 بأنها "مكان يلتقي في الناس لأهداف محددة و هي موجهة من طرف سياسات تتضمن عدد من القواعد و المعايير التي يقترحها البرنامج"( (Wassinee kittiwongvirat,pimonpha rakkanngan.2010:p20

و تعرف أيضا "مواقع الكترونية تتيح للأفراد خلق صفحة خاصة بهم يقدمون فيها لمحة عن شخصيتهم أمام جمهور عريض أو محدد وفقا لنظام معين يوضح قائمة للمجموعة من المستخدمين الذين يتشاركون معهم في الاتصال، مع إمكانية الاطلاع على صفحتهم الخاصة أيضا و المعلومات المتاحة،علما أن طبيعة و تسمية هذه الروابط تختلف و تتنوع من موقع لآخر"( مصطفى صادق.2008.ص218)

و تعرف مواقع التواصل الاجتماعي أيضا على أنها "مواقع الكترونية تسمح للأفراد بالتعريف بأنفسهم و المشاركة في شبكات اجتماعية من خلالها يقومون بإنشاء علاقات اجتماعية "( الدليمي.2008.ص183)

و تتكون هذه المواقع من " مجموعة من الفاعلين الذين يتواصلون مع بعضهم البعض ضمن علاقات محددة مثل صداقات أعمال مشتركة أو تبادل معلومات و غيرها، و تتم المحافظة على وجود هذه الشبكات من خلال استمرار تفاعل الأفراد فيما بينهم"(محمد.2008.ص231)

و كذلك عرفت شبكات التواصل الاجتماعي بأنها" مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت ، ظهرت مع الجيل الثاني للويب2.0 تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي . يجمع بين أفرادها الاهتمام المشترك أو شبه انتماء" بلد، مدرسة، جامعة، شركة...الخ" يتم التواصل بينهم من خلال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية و معرفة أخبارهم و معلوماتهم التي يحتويها للعرض ، فهي وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد ، سواء كانوا أصدقاء نعرفهم في الواقع أو أصدقاء نعرفهم من خلال السياقات الافتراضية"( عبد الله.محمد.2008.ص216)

و نجد أن أغلبية التعريفات التي تتناول مواقع التواصل الاجتماعي تركز في مجملها على تشكيل هذه الشبكات لما يعرف بالمجتمع الافتراضي و كذا للعلاقات التي تجمع أفراده و التفاعل بينهم ، هذا إلى جانب التركيز على قضية الهوية التي تحدد من خلالها قوائم الأصدقاء الذين يكون التفاعل معهم عبر الشبكة ، في حين يميل بعض الباحثين إلى تعريف شبكات التواصل الاجتماعي عبر الانترنت من خلال الخدمات التي تقدمها على أنها موجهة من طرف سياسات معينة و تخضع لمعايير و نظم معينة يحددها البرنامج.

## 2- خصائص مواقع التواصل الاجتماعي

تتميز الشبكات الاجتماعية بعدد من الخصائص عن بقية المواقع المتواجدة عبر الانترنت ،الأمر الذي ساهم في رفع درجات الاهتمام بها بالنسبة للمستخدمين و رغم تنوع هذه الخصائص من موقع إلى آخر إلا أنها تشترك مع بعضها في عدد من المميزات كما يلي:

- التعريف بالذات: الخطوة الأولى للدخول لمواقع التواصل الاجتماعي هي إنشاء صفحة معلومات شخصية و هي الصفحة التي يضعها المستخدم و يطورها و يقوم من خلالها بالتعريف بنفسه من خلال النص، الصور،الموسيقى و الفيديوهات و غيرها

من الوظائف الأخرى، كما تسمح مواقع التواصل الاجتماعي للأشخاص بتعبئة و تنظيم علاقاتهم الاجتماعية و صفحاتهم الشخصية بالطريقة التي يحب أصدقاؤهم رؤيتها.طرق جديدة لتكوين المجتمعات "تسمح الشبكات الاجتماعية للأشخاص ببناء شبكة علاقات و صداقات على اشخصا يبادلونهم الاهتمام و المحتوى"و بالتالي فهي تساهم بشكل فعال في تجسيد مفهوم المجتمع الافتراضي المتواجد مند بداية تطبليقات الانترنت ، غير أن مواقع التواصل الاجتماعي دعمت طرق جديدة للاتصال بين الناس، "فمستخدمي هذه المواقع يخيرون في الاتصال بين مختلف الأساليب الرقمية مثل الوسم"Tags" و التطبيقات المدمجة في مواقع الشبكات ، كما بإمكان الأشخاص الانضمام إلى مجموعات قراء الكتب للتواصل حول الكتب التي أحبوها"( اللبان.2001.ص113)

- سهولة الاستخدام: من بين الأمور التي ساعدت على انتشار مواقع التواصل الاجتماعي هي بساطتها لذا نجد أي شخص يملك مهارات أساسية في الانترنت يمكنه عبرها فتح حسابات و تسيير مواقع و صفحات اجتماعية ، فمن قبل كان بالإمكان للأشخاص الحصول على تواجد عبر الشبكة من خلال امتلاك صفحات و تطويرها و استضافة الموقع غالبا ما يتحمل تكاليفها في حين تطور الأمر في مواقع التواصل الاجتماعي و استفادة من مجانية الخدمة أمام الجميع فأغلبيتها تتيح جل خدماتها للمستخدمين بمجرد التسجيل فيها في نفس زمن التسجيل على مواقع أخرى من خلال إرسال دعوة من طرف احد أعضائها السابقين "( مهنا.2007 ع 83.ص25)
- الاهتمام: هي شبكات تبنى من خلال اهتمام مشترك بالألعاب ، الموسيقى، سوق المال السياسة ، الصحة .... و غيرها"

و من بين خصائص مواقع التواصل الاجتماعي أيضا:

- تشمل على مجموعة غير متوقعة من المشاركين و غير محدودة

- يتبادل الأعضاء عدد غير منظم من المعلومات
- كل الأعضاء يعملون على تطوير الحاجة إلى المعلومات"( بن مسعود.2007. العدد83.ص29)

و بسبب الطبيعة الديناميكية لمواقع التواصل الاجتماعي على الانترنت استطاعت أن تحافظ على تطور المشتركين و كذا محتوى المعلومات.

إن اخذ كل هذه الخصائص معا يجعلنا نلاحظ التغير الكبير في استخدام الأشخاص للانترنت و طريقة تنظيم اتصالاتهم الشخصية وفقا للبيئة الاجتماعية المختلفة ، و يبدو جليا أن الشبكات الاجتماعية أثرت بشكل كبير و أدت إلى تشكيل طرق جديدة للاتصال الشخصي و كذا كيفية تسيير الاتصالات الاجتماعية.

## 3- استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي و القضايا التي تثيرها

أ- الاستخدامات: لقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي تشكل الفضاء الافتراضي الذي يتيح للمستخدم العديد من الممارسات و النشاطات المختلفة و ذلك من خلال مجموعة من الخدمات و التي يمكن أن ندرج أهمها فيما يلي:

- الاتصال مع أفراد العائلة و الأصدقاء: ذلك لما تتيحه من خلال الاستمرارية في الاتصال الدائم و الفوري مع مختلف أفراد الأسرة و الأصدقاء
- الممارسات السياسية: حيث أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي تشكل الفضاء الذي يقوم فيه المستخدم بالمشاركة السياسية عن طريق إبداء آرائه و توجهاته و مختلف الممارسات كعملية الاستفتاء حول العديد من القضايا عبر تلك الموقع.

– تكوين العديد من الأصدقاء: لقد أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي البيئة الافتراضية التي يستطيع ام يكون من خلالها المستخدم أصدقاؤه وفقا للمعايير التي يختارها هو.

– التسلية و ممارسة الهوايات: فمواقع التواصل الاجتماعي أصبحت تشكل المتنفس الذي يقوم من خلاله المستخدم بقضاء وقت فراغه من خلال مختلف الألعاب و التسلية ، بالإضافة إلى ذلك أصبحت هذه الأخيرة تتيح للفرد إمكانية اشتراكه في نفس اللعبة مع أفراد آخرين و مباشرة ، و من جهة أخرى أصبحت تشكل البيئة التي يقوم من خلالها المستخدم بممارسة مختلف هواياته و اهتماماته.

– التسويق و الإعلان: حيث أصبحت مختلف المؤسسات الاقتصادية تعتمد على مواقع شبكات التواصل الاجتماعي ذلك من اجل الترويج و الدعاية لمختلف منتجاتها عن طريق الومضات الإشهارية المتنوعة ، كما أصبحت توفر المحيط الذي تقوم من خلاله بمختلف العمليات التسويقية

– الخدمات الطبية: حيث تتيح مختلف الصفحات المتعلقة بالإرشادات و النصائح الطبية،الطب عن بعد،الطب البديل.....الخ

و تتعدد استخدامات مواقع التواصل شبكات التواصل الاجتماعي حسب طبيعة المستخدم و الاشباعات التي يسعى إلى تحقيقها سواء كانت معرفية ، نفسية اجتماعية أو ثقافية أو غيرها

هذه" الشبكات الاجتماعية يقضي فيها العديد من الشباب و المراهقين وقتا طويلا جدا في التفاعل مع بعضهم البعض ، و عبر هذا التفاعل الثابت مع مجتمعات كبيرة يستطيع الشباب تطوير فهم ثقافي أفضل وصفات قيادية أقوى،غير انه و إلى جانب الخدمات الايجابية التي يقدمها استخدام هذه المواقع ، يقود الاستخدام المفرط إلى عدد من القضايا.

**ب– القضايا التي يثيرها استخدام مواقع التواصل الاجتماعي :**

1- الخصوصية : إن الخصوصية هي حق الأفراد في عدم إفشاء أو نشر معلومات عن أنفسهم، فثمة أمور تدخل في عداد الأمور الخاصة مثل: الإدلاء بصوتك في الانتخابات و ماذا تقول في خطاب مرسل من خلال بريد الكتروني ، و على أي حال فان السهولة التي قد تتوحد بها قواعد البيانات و خطوط الاتصالات قد وضعت الخصوصية تحت ضغوط هائلة و صعبة (صادق.2012.عدد99)

و نقصد بالخصوصية المعلومات الشخصية التي تتضمن اسم الشخص ، عنوانه الشخصي، رقم هاتفه ، مكان عمله الإيميل الخاص به و غيرها ، من المعلومات التي يعرف من خلالها الشخص بنفسه في الشبكات الاجتماعية التي يعتبر عضوا فيها.

و تعتبر الخصوصية من القضايا التي أثارها استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ، فالأمان و الخصوصية لم تكن الأولوية الأولى لمالكي هذه المواقع نتيجة لذلك تعددت المخاطر التي قد لا يدرك المستخدمون مدى تأثيرها فقد لا يدرك الأشخاص حجم الجمهور الذي يستطيع الوصول لمعلوماتهم بكل سهولة و يسر .

و نتيجة لشعور مستخدمي شبكات مواقع التواصل الاجتماعي بالألفة و الثقة مع من يتشاركون معهم ، فإنهم قد يتشاركون بأكثر مما يجب سواء في الأمور الشخصية أو ما يتعلق بأماكن عملهم ، و ما يخص شؤونهم المالية و التغييرات الحاصلة في مؤسساتهم و فضائحهم مما يتسبب في مشاكل عديدة بدء من الإحراجات الاجتماعية و انتهاء بالملاحقات القانونية "( مصطفى صادق.2008.ص218)

و تختلف مستويات الخصوصية من شبكة اجتماعية على آخره ، ففي إحدى الدراسات التي أجريت على موقعي FACEBOOK. MY SPACE أعرب مستخدمو الشبكتين على أن تفاعل المستخدمين مع بعضهم على الشبكة لا يحتاج إلى

نفس المستوى من الثقة "trust level" التي يحتاجونها عندما يكون التفاعل وجها لوجه بل اقل بكثير و أن الناس على استعداد لمشاركة صورهم و معلوماتهم في الشبكة أكثر من الواقع "(اللبان.2003.ص175)

و لقد شهدت الدراسات الأخيرة في مجال شبكات مواقع التواصل الاجتماعي إعطاء أهمية كبيرة لموضوع الخصوصية نظرا لمخاطر نشر المعلومات الشخصية بشكل كبير على الشبكة و ذلك بحثا عن السبل الأمثل لاستخدام هذه المواقع دون أية مشاكل .

العزلة الاجتماعية: يحذر الكثير من التربويين و الأخصائيين النفسانيين من خطورة إدمان الأفراد للانترنت أو أي مستحدث تكنولوجي آخر، لما له من انعكاسات سلبية على سلوكهم،حيث تؤدي إلى تدمير قيم المجتمع ، و انتشار السلوك المضاد للمجتمع كالجريمة و العنف و الفوضى بالإضافة إلى تعرض الأبناء و خاصة المراهقين لكافة الإضرابات النفسى كالاكتئاب و القلق و الشعور بالوحدة النفسية و العزلة الاجتماعية و الضغوط النفسية المتزايدة وفقدان الثقة بالنفس"( Dienne m.timm caralyn j (duver.2008.p90

و تعتبر العزلة الاجتماعية من بين القضايا التي افرزها استخدام الانترنت ،حيث و مع التطور الكبير للشبكات الاجتماعية عبر الانترنت أصبح الأفراد يتعلقون بشكل كبير بالعلاقات التي ينشئونها عبرها ، و يقضون وقتا كبيرا أمام الشاشة أكثر من الوقت الذي يخصصونه للأشخاص الواقعيين في حياتهم و الذين تجمعهم علاقات مختلفة و هو ما يؤدي إلى العزلة الاجتماعية.

و نظرا للوقت الكبير الذي يقضيه الأفراد وهم يتصلون مع الآخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي أكدت الكثير من الدراسات انه كلما ازدادت ساعات استخدام الانترنت ، كلما قل الوقت الذي يقضونه مع الأفراد الحقيقيين في حياتهم ، و هذا من شانه أن يؤثر

على العلاقات الاجتماعية و يتسبب في العديد من المشاكل يأتي في مقدمتها العزلة الاجتماعية " (محمد عبد الهادي،و آخرون..2008.العدد.04 .ص12)

لكن و حتى و إن كان الكمبيوتر و الدخول إلى شبكة الانترنت و غرف الدردشة تعبيرا عن طفرة تكنولوجية باهرة . فإنها في وجهها الأخير تعبير عن فراغ عاطفي و نفسي و ووجداني لدى بعض الأفراد، و خصوصا في عصر الماديات كما أن الإقبال الشديد على شبكات التواصل الاجتماعي يعبر في أحيان عديدة عن غياب الضبط الأسري و الهروب من العلاقات الاجتماعية المباشرة و الواضحة إلى علاقات محكومة بالسرية و محاطة بالكتمان و مأمونة العواقب في ظاهرها إلا أنها تقود في النهاية إلى مزالق خطيرة تعصف بحياة الأفراد و مستقبلهم"( اسماعيل عبده. 2017 .ص25)

و نظرا للخدمات المتعددة التي أتاحتها مواقع التواصل الاجتماعي و تجسيدها القوي لمفهوم المجتمع الافتراضي ، أصبح الأفراد يمارسون من خلالها مختلف الأدوار الأمر الذي دفعهم إلى الاندماج بشكل كبير في هذا المجتمع الافتراضي و بالتالي الانسحاب من المجتمع المادي ، فكان للشبكات الاجتماعية على الانترنت دور كبير في تشكيل المجتمعات الافتراضية و بالتالي بروز العلاقات الاجتماعية الافتراضية التي تختلف عن نظيراتها في الواقع بدء من طبيعة التأصل و نوعه ووصولا إلى البيئة التي تنشأ فيها هذه العلاقات و المجتمع الذي تتفاعل ضمن كيانه.

2- الهوية : تلعب الهوية دورا مهما على مواقع التواصل الاجتماعي فهي الخطوة الأولى التي تمكن المستخدمين من معرفة الأشخاص الذين يتواصلون معهم و بالتالي فهم و تقييم هذا التفاعل ، كما تعتبر بمثابة مقياس في المجتمع الافتراضي لتقييم مدى مصداقية المعلومات و كذا مدى فاعلية الاتصال و هي ضرورية جدا لبناء الثقة القائمة بين الأصدقاء المقربين، و يعد ذلك مقياسا للحفاظ على شخصية الفرد و سمعته لذلك فهي تمثل أهم القضايا على

الإطلاق التي أثارها استخدام شبكات مواقع التواصل الاجتماعي وسنتطرق لها بشكل أكثر تفصيلا في المبحث التالي.

**المبحث الثاني: الهوية الافتراضية ضمن شبكات التواصل الاجتماعي**

ماهية الهوية الافتراضية: يعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي أخذت حيزا كبيرا من تفكير الباحثين و مصطلح الهوية له دلالاته اللغوية و الفلسفية و الاجتماعية الهوية في اللغة العربية مصدر صناعي مركب من ضمير الغائب "هو" المعرف بأداة التعريف "أل " و من اللاحقة المتمثلة في الياء المشددة و علامة التأنيث و هي تأتي بمعنى ذات الشيء و عند الفرابي "هوية الشيء عينه و شخصه وخصوصية وجوده المنفرد الذي لا يقع فيه إشراك" (دخيل.المواقع الاجتماعية و تأثيرها على المجتمع.تم استرجاعها بتاريخ 2018/01/15 . (www.psu.edu.sa/pscw/index.html

و الهوية الفردية هي معرفة الشخص لشكله و اسمه و صفاته و سلوكه و انتمائه المرجعي ، لكن مع انتشار الانترنت و ظهور المجتمعات الافتراضية برزت مشكلات تقمص الشخصيات الافتراضية من حيث السن و الأنوثة و الذكورة و الدور الاجتماعي"( خلف.2007.ص11)

و حسب موسوعة الويب webopedia تعرف الهوية الافتراضية vertuel identity بأنها الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الإنسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي و الشخص الظاهري للمستخدمين (شطاح.2006.ص19)

و حسب هذا التعريف فان الهوية الافتراضية هي السمات و المواصفات التي يقدمها الإنسان الطبيعي للآخرين عبر الانترنت ، فتكون عملية الاتصال تتم بين ثلاثة أطراف و ليس طرفين

وهي : الشخص العادي و الهوية الافتراضية و الأشخاص الآخرين و منه فإننا نعرف الهوية الافتراضية على أنها مجموع الصفات و الرموز و البيانات التي يستخدمها الأفراد في تقديم أنفسهم للآخرين في المجتمعات الافتراضية و يتفاعلون معهم من خلالها.

- **الشبكات الاجتماعية و الهوية الافتراضية**

إذا كانت شبكات التواصل الاجتماعي بمثابة التركيبة الالكترونية التي أتاحت للمستخدمين أفرادا و جماعات التواصل فيما بينهم و نقل أفكارهم و تجاربهم و خبراتهم و معارفهم بشكل فوري عبر هذا الفضاء الافتراضي ( ابراهيم،عيد.2002.ص17)

فان المستخدم ملزم بتدوين معلومات مفصلة عنه، كالبيانات العامة مثل السن و الجنس، مكان الإقامة إدراج صورة فوتوغرافية حتى يصبح عضوا في المجتمع الافتراضي و من ثم بإمكانه أن ينشيء قائمة الأصدقاء التي ستكون أساسا لهذه الشبكة.

و مع ازدياد حجم استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية من قبل المستخدمين الذين يتوزعون على فئات مختلفة سواء تعلق الأمر بمتغير الجنس أو السن،فان موضوع الهوية الافتراضية أضحى من بين أهم القضايا التي يثيرها هذا الاستخدام و عليه فان الهوية الافتراضية إنما تكون قد تولدت عن استخدامات مواقع التواصل الاجتماعي من خلال انضمام الفرد إلى الفضاء الافتراضي الذي يفرض عليها أن يقدم بيانات الهوية التي يتوصل بها الآخرين و يتفاعل بها مع مختلف الجنسيات و الأعراف والديانات(رحومة.2005.ص53)

و في الوقت الذي يفضل فيه بعض المستخدمين مواقع التواصل الاجتماعي إبراز هويتهم على الحقيقة كما هي عليه في واقع الأمر، كإبراز السمات العامة " السن.الجنس.المهنة" فان البعض الآخر يعزف عن ذلك و يتجه إلى إخفائها و إظهار هويات لا تمت له بصلة ، طبقا

لما يريدون أن يرونهم به ، لذلك فقد تناول الباحثون بالدراسة و التحليل علاقة مواقع التواصل الاجتماعي بالهوية الذاتية للمستخدم و هويته الافتراضية و ذلك من خلال جملة السمات التي يمكن له إبراز بعضها الآخر ، كان يعهد له اختيار صورة دون صورته الشخصية أو إظهار ملامح و سمات وفق ما يريد أن يظهر به اتجاه غيره ، إذ تتخذ الهوية الافتراضية حيزا هاما ضمن هذه المواقع فلا يمكن المستخدمون من التعرف على من يتواصلون معهم و أن استحداث محددات الهوية المتعارف عليها في العالم الفيزيائي بسياقات افتراضية قد مكن المتفاعلين من تجاوز الإكراهات الفيزيائية المرتبطة بسياقات حضور الحقيقة و طقوس المكان .

فلقد غدا ممكنا جدا و لأول مرة التواصل مع الغير بطريقة تتيح التكتم التام على الهوية الفعلية أو الفيزيائية أو الحضور غير الجسدي، و مع ذلك مثلما يشير إليه بعض الدارسين فان الهوية الافتراضية قد تكشف حقيقة أسلوب تفكير المستخدم و مستواه الثقافي و الكثير من الحيثيات عنه

و في ضوء التطور المذهل لنظم الاتصالات و تغير أشكال التواصل بين الأفراد ، فقد بدأت تأثيرات الهوية الرقمية تتجلى ضمن السياق الثقافي و الاجتماعي للفرد، أبرزها ظاهرة التحولات في دلالات المفاهيم المتداولة لاسيما مفهوم الذات ، فالذات في المجتمع الافتراضي ليست موثوقة دائما ، حيث يمكن للمستخدم تزييف اسم حسابه و التسجيل بمحددات هوية كاذبة مضللة و بالتالي فان الملامح الاجتماعية ستكون مضللة أيضا"

لقد غدت الهوية الافتراضية كيانا اجتماعيا يساهم في التشكل الاجتماعي بفعل التفاعلات المتاحة بفضاء مواقع التواصل الاجتماعي كما أصبح العالم الافتراضي ينافس الأسرة في توليف الإطار المرجعي الذي يغذي النموذج الثقافي للفرد و بالرغم من أن الأسرة قد

مثلت إحدى مؤسسات التنشئة الكلاسيكية في ديمومة الرابط الاجتماعي و تشكيل هوية الفرد الاجتماعية وفق نموذج مرجعي، إلا أن مجالها الاجتماعي التفاعلي أضحى أمام منافسة شرسة من قبل فضاءات تفاعلية أخرى منها ما هو واقعي و منها ما هو افتراضي و عليه فان تنوعت التغذية المفعمة بمختلف النماذج الثقافية المتاحة للفرد اليوم، فقد أدى إلى تغير فعلي في طبيعة تفاعلات الأفراد القاعدية في مجالهم الاجتماعي الأسري و في طبيعة العلاقات على المستوى الاجتماعي الواقعي.

و تختلف محددات الوجود الافتراضي للفرد ككائن فاعل في المجتمع الشبكي عن واقع الفعلي، على اعتبار أن اجتماعية الفرد في الواقع الفيزيقي تنجلي من خلال وجوه الحقيقي في الحياة الاجتماعية كعنصر حاضر فيزيقيا و كائن فاعل و متفاعل ذا وجود مستقل و متميز بذاته عن الآخرين ، و أن اجتماعيته هذه نما تنبني في ضوء منظومة قيمية

و مجتمعية متكاملة تهيئ له الاستقرار الاجتماعي و تحفظ إنسانيته و غايته في الوجود في كنف نظام ضوابط و معايير الإطار الاجتماعي والحضاري لكن و في ضوء مواصفات المجتمع الافتراضي،فقد باتت صفات المستخدم تتخذ مظاهر أخرى تتوافق و مميزات البيئة الرقمية التي تتميز بانفتاحها على مدلولات ثقافية لا محدودة فلم تعد وظيفة الفضاءات الافتراضية مجرد وسائل تواصل فحسب و إنما غدت ناقلا للمعلومة و ناقلا للقيم جعلت منها جزء أساسيا من نمط حياة الإنسان المعاصر و تيارا جارفا لصياغة ثقافة الإنسانية و بلورتها

**عوامل تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية الجزائرية**

إن اختراق مواقع التواصل الاجتماعي يعتبر سببا جوهريا في فشل التأسيس لثقافة أصيلة منفتحة ايجابيا على الآخر و متفاعلة معه و هو ما ساعد على تعزيز هذا الاختراق إلى

البنيان الفكري و الإدراكي و الوعي و كذا نظام الحياة السائد ، حيث أن هذا الاختراق يتشكل مع تكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف و السلع و البضائع و هذا بواسطة عملية تعطيل فاعلية العقل ، و تكييف المنطق و النقدية و البحث العلمي و التضامن الاجتماعي و الحوار و العلمانية الحقيقية و غيرها من القديم، فإنها تفتح مجالا لتفتح الفرد على جميع المستويات مما يتيح للجميع الاندماج في المجتمع القومي و الوطني الذي يتسع للجميع بكل تطوع و من بين أهم العوامل التي ساعدت مواقع التواصل الاجتماعي على اختراق الهوية الثقافية الجزائرية ما يلي:

- اتساع رقعة الأمية الثقافية بين المواطنين
- عدم تطابق برامج التعليم مع حاجات المجتمع و تطور العصر
- هيمنة الإعلام الترفيهي السطحي و غياب البرامج الجادة في اغلب القنوات
- عدم الاهتمام بالتسويق للثقافة المحلية
- توجيه الخيال و تنميط الذوق و قولبة السلوك بهدف إنشاء مجتمع استهلاكي تسود فيه القيم المادية و الاستهلاكية و الذي يحل محل المجتمع الإنتاجي أدت إلى زيادة سلبيات العولمة الثقافية و تمزيق الوحدة الثقافية الاجتماعي في المجتمع الجزائري
- وجود عوائق تشريعية متمثلة في القوانين التي تتحكم في المجال الثقافي
- وجود العوائق الإدراية و المالية و المتماثلة قفي التدابير التي تحول بين التدفق الثقافي في الجزائر

كل هذا يؤدي إلى الشعور بالإحباط و الضياع و تحطك القيم الإنسانية و بالتالي زيادة تأثير كل ما تحمله مواقع التواصل الاجتماعي من قيم و سلوكيات و سلبيات أدت إلى نشوء خطر يهدد هذه الهوية الثقافية ، كما أن حالة الصراع بين التيارات الثقافية في الجزائر على

غرار بقية العالم العربي و الإسلامي أدت إلى مواجهة مباشرة بين المرجعيات و الدهنيات ساهمت بشكل كبير في خلق هوة بينها في وقت كان يفترض أن تقوم النخب بالبحث عن آليات و أطروحات للتقارب في ظل التنوع دون البحث عن طغيان تيار على الآخر ، كل هذا أسهم في التعصب الثقافي و الإيديولوجي على حساب الثقافة الجامعة بين مختلف الأطراف و التيارات.

**الهوامش**

**الكتب:**

صالح جويمرش.1997. علامات العولمة المختلطة.رسالة اليونسكو.

قيس جواد،العزاوي. 2005 . الإعلام العربي:قضايا الهوية الثقافية ، الإعلام العربي الأوروبي، حوار من اجل المستقبل. مركز دراسات العربي الأوروبي.باريس.

عباس مصطفى،صادق.2008. الإعلام الجديد، المفاهيم و الوسائل و التطبيقات. الشروق للنشر و التوزيع .مصر

عبد الرزاق محمد الدليمي.2008. الإعلام الجديد و الصحافة الالكترونية.ط1 دار وائل للنشر.الأردن

عبد الحميد،محمد.2008. الاتصال و الإعلام على شبكة الانترنت.ط1. عالم الكتب.القاهرة

عبد الرحمان عبد الله.محمد.2008 سوسيولوجيا الإعلام و الاتصال .دار المعرفة الجامعة

شريف، اللبان.2001. تكنولوجيا الاتصال:المخاطر و التحديات و التاثيرات الاجتماعية. .الدار المصرية اللبنانية.القاهرة

محمد،شطاح.2006. قضايا الإعلام في زمن العولمة.بين التكنولوجيا و الإيديولوجيا.دراسات فيء يالوسائل و الرسائل. دار الهدى.الجزائر.

محمد ابراهيم،عيد.2002. الهوية و القلق و الابداع. ط1.دار القاهرة للنشر.مصر

Aline pailler et claude mickel ..1997l'enlèvement d'aurope .le monde de l'education ,de la formation.n251.r37

Dienne m.timm caralyn j duver.2008 privacy and social networking sites.wiley interscience .p90

Wassinee kittiwongvirat,pimonpha rakkanngan.2010,facebooking your dream.master thesis:

**المجلات:**

بشير،خلف2007."سؤال الهوية و صدمة العولمة"،الأحرار الثقافي.العدد24.

على محمد،رحومة.الانترنت و المنظومة التكنواجتماعية.ط1.مركز دراسات الوحدة العربية.سلسلة أطروحات الدكتوراه.

فريال،مهنا. "علوم الاتصال و المجتمعات الافتراضية:عوامل نجاح جديدة للتطوير الشبكي التكنواجتماعي." المجلة العربية للعلوم الانسانية.جامعة الكويت.العدد 83

البشير محمد ،بن مسعود."تنمية المجتمعات الافتراضية:عوامل نجاح جديدة للتطوير الشبكي التكنواجتماعي."المجلة العربية للعلوم الإنسانية.جامعة الكويت.العدد83

رابح،صادق."التكنولوجيا الاتصالية الحديثة و اشكالية الروابط الاجتماعية." الشارقة .الإمارات العربية المتحدة.شؤون اجتماعية.عدد99.

محمد عبد الهادي،و آخرون2008. "ادمان الانترنت و علاقته بكل من الاكتئاب و المساندة الاجتماعية" مجلة كلية التربية ببني سويف.القاهرة.العدد04

ابراهيم اسماعيل عبده.(2017.) .العلاقات الاجتماعية عبر الانترنت .دراسة الفرص الكامنة و المخاطر

**مواقع انترنت**

المستترة،مركز أسيار للبحوث و الدراسات و الإعلام.
www.psu.edu.sa/pscw/index.html

على دخيل،بنان(2018).البشر مشاعل.المواقع الاجتماعية و تأثيرها على المجتمعwww.psu.edu.sa/pscw/index.html

# المواطنة في فكر الأمير عبد القادر دراسة تاريخية واجتماعية

**الدكتور عبد القادر سلاماني**

**جامعة بشار– الجزائر–**

**تاريخ الإيداع: 2019/02/09 م تاريخ التحكيم: 2019/02/28م تاريخ القبول: 2019/03/03م**

**الملخص:**

تكالبت الدول الأوروبية الاستعمارية من أجل احتلال الجزائر لعدة اعتبارات وخلفيات سياسية واقتصادية ودينية وحضارية، وذلك لما تزخر به من موارد اقتصادية ضخمة باعتبار الجزائر محرك المبادلات والحركة التجارية بالبحر المتوسط، فمشروع احتلال فرنسا للجزائر هو تكملة لمشروعها التوسعي على كافة البلدان المغربية والإفريقية، لذا نادى الأمير عبد القادر وخلفاؤه بالحس الوطني لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي، لإدراكه المهمة والمسؤولية الموكلة إليه لحماية الشعب الجزائري وتوطيد البلاد وإرساء فكرة توحيد الصف الوطني ورفض الاحتلال الفرنسي.

**الكلمات المفتاحية:**

الوطن – المقاومة – الوحدة – المجتمع – البيعة – الاحتلال الفرنسي – الجزائر– الخلفاء– الشعب الجزائري– الشورى – المعارك– المجابهة– التعبئة –الدولة – المؤسسة.

# Citizenship in the Thought of Prince Abdelkader Historical and Social Study.

**Dr. Abdelkader Salamani.**
**University of Bachar - Algeria–**

**Abstract**:

The colonial European countries were forced to occupy Algeria for political, economic, religious, and cultural, considerations and backgrounds, because of its great economic resources, considering Algeria as the engine of trade and trade in the Mediterranean Sea. The French occupation of Algeria was a continuation of its expansionist project to all the Moroccan and African countries. L'emir Abdelkader and his successor with a sense of national resistance to the French occupation forces, to realize the task and responsibility assigned to him to protect the Algerian people and consolidate the country and establish the idea of unifying the national class and the rejection of the French occupation.

**key words:** Homeland - resistance - unity - society - allegiance - French occupation - Algeria - caliphs - Algerian people - Shura - battles - confrontation - mobilization - state - institution.

# المواطنة في فكر الأمير عبد القادر دراسة تاريخية واجتماعية

**الدكتور عبد القادر سلاماني**

**جامعة بشار– الجزائر–**

**المقدمة:**

رسخت فكرة المقاومة والدفاع عن الوطن في ذهن الأمير عبد القادر وخلفاؤه ، فقد أبدى وعيهم الوطني وإدراكه للواقع وللمشروع الفرنسي مع تزايد أطماع التوسع الاستعماري،ولذلك كانوا يعرفون مدى أهمية تنظيم المقاومة تحت قيادة واعية تدرك المخاطر التي سوف تواجهها، لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي دفاعا عن الوطن الجزائري، وحفاظا على سلامة الشعب وأراضيه وشرفه وكرامته، لأنهم كانوا يرون فيها أنها حرب طويلة الأمد ومشروع حضاري يتطلب المزيد من الجهد وسط مجتمع مشتت تمثله القبليات والزوايا بفضل تصديه لمشروع الاحتلال الفرنسي والعمل على بلورة مشروع وحدوي هدفه واحد ضد المحتل الفرنسي للأراضي الجزائرية.

فقد أكدت تلك المعارك المتواصلة عن روح الإيمان بالمقاومة الوطنية، بالرغم من الضغوطات والصعوبات وشدة الخناق، والأساليب الفرنسية المستخدمة لتفرقة الشعب الجزائري، وكثرة الحاميات العسكرية وتعداد جيش الاحتلال الفرنسي لمراقبة قوات المقاومة الوطنية والتي كانت تفتقد شروط المواجهة من ناحية التجهيز والتدريب مقارنة بقوات الاحتلال الفرنسي.

**1- البيعة كأساس للمواطنة.**

**أ- مبايعة الأمير عبد القادر :**

في 21 نوفمبر 1832 عقد اجتماع في سهل غريس ضم أعيان قبائل معسكر لمفاتحة الشيخ محي الدين في شأن الإمارة، وتحت ضغط المجتمعين لقبول الإمارة قال محي الدين لهم " إن الحكم يقتضي استعمال القوة بغلظة وسفك الدماء " (تشرشل، ش. 2004: 82)، ولما امتنع عن قبول الإمارة طالبوه بأن يكون ابنه عبد القادر أميرا عليهم فقبل بذلك، ولما أبلغ عبد القادر وافق هو على ما اتفق عليه الجميع وأظهر التزامه بالمبادئ الإسلامية وتمت البيعة وفق ما كانت عليه في زمن الخلفاء الراشدين،حيث أنه بعد أن اجتمع علماء المنطقة وزعماءها وخيّموا تحت شجرة الدردارة، جاء محي الدين وذويه، وجلس عبد القادر تحت الشجرة، فقام والده فبايعه على السمع والطاعة وبايعه الباقون وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية (بن عبد القادر، م. 155:1966).

في يوم 25 نوفمبر 1832م دخل الأمير عبد القادر إلى معسكر فاستقبله أهلها (14: Azan, P.1929)، وقد استقر مع الفرسان الذين انضموا إليه بالخصيبية، ثم دخل إلى جامع المدينة حيث أتته الوفود معلنة طاعتها ومبايعتها له وفي 27 نوفمبر 1832م وقع الأعيان والعلماء الذين شهدوا البيعة على الصك الذي حرره علي بوطالب، ولما تمت البيعة كلف الأمير مجلس العلماء بأن يكاتبوا رؤساء القبائل في مختلف أطراف البلاد بأمر البيعة وما وقع عليه الاتفاق ويدعوهم إلى الحضور لأداء بيعتهم كما أداها غيرهم وفي 13 رمضان 1248هـ -4 فبراير1833م حصلت البيعة الثانية للأمير عبد القادر في ساحة مسجد معسكر، وهي تدعو الجميع للتأييد التام والطاعة المطلقة، لتأمين العدالة واستتاب الأمن ومقاومة الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر (أديب، ح. 88:1983) ، وبعد هذه البيعة الشاملة الصادرة عن إرادة الشعب وتأييد القبائل له.

بدأ الأمير في تشكيل نواة الدولة الجزائرية الحديثة (أديب، ح. 88:1983)، وقد استطاع توجيه الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي بإقامة البيعتين الخاصة والعامة من أجل ترسيخ الولاء السياسي المركزي، وتأصيلا للمجتمع الجزائري ليكون مجتمعا سياسيا لإنشاء قاعدة مركزية قائمة على الطاعة والولاء، ولم تقم الدولة العثمانية أمام تلك الأحداث الخطيرة بإنقاذ الجزائر، وهذا ما جعل الشعب الجزائري يشعر بالضعف والهوان أمام السلطات الرسمية للدفاع عنه، وأصبحت السلطة العثمانية بدون سيادة ودخلت البلاد في حالة الفوضى والاضطراب حيث بدأت تصفية الحسابات بين القبائل.

وقد حضر البيعة سائر العلماء والأعيان من معسكر وقلعة هوارة، وأحوازها (بن عبد القادر، م. 164:1966)، بني شقرانوبني حدوا وسجرارة، وقبائل غريس واحيائه وعمائره وعشائره وأعيان القبائل الشرقية، كالعطاف سنجاس وبني القصير ومرابطي مجاجة وصبيح، وبني خويدم وبني العباس وعكرمة ولمحال وفليته والمكاحلية وأحلافهم، وأعيان مجاهر والبرجية والحساسنة وبني خالد وبني إبراهيم القبائل وصدامة وخلافة وغيرهم من القبائل الجزائرية.

**ب– تحليل نص البيعة شرعيا وقانونيا:**

**– من الناحية الشرعية:**

لفظ البيعة من المصطلحات الإسلامية التي ذكرت في القرآن و السنة النبوية لها مفهوم في السياسة الشرعية ومن النصوص التي ورد فيها لفظ البيعة قال تعالى" إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم"( سورة الفتح، الآية: 10) وقال أيضا" لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا " (سورة الفتح، الآية: 18) وقال أيضا "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم "( سورة الممتحنة، الآية: 12).

– **تنصيب الإمام ضرورة واقعية و فريضة شرعية** : بويع الأمير عبد القادر أميرا على الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي وفق واجب شرعي هو حماية البلاد، والقيام بالجهاد وإقامة شرع الله بين الناس لحفظ النفوس والأموال ومنع الفتن ودفع الظلم ونشر العدل، يدير شؤون الوطن وفق المصلحة العامة للناس، ويحرص على تنفيذ الأحكام ورد الحقوق والمظالم إلى أهلها على الشورى والالتزام بشريعة الإسلام، لقوله تعالى "وشاورهم في الأمر""( سورة آل عمران، الآية: 159) وقوله تعالى " وأمرهم شورى بينهم"" ( سورة الشورى ، الآية: 38).

مبايعة الأمير عبد القادر أحيت المنهاج الإسلامي الراشدي في اختيار الحاكم وتنصيبه، وهذا المنهاج انحرف عنه الكثير ممن تولوا الحكم بعد الخلفاء الراشدين، حيث صاروا يعمدون إلى القوة في الاستيلاء على السلطة، وهذا ما أدى إلى ظهور الدويلات بعد ضعف الخلافة الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلاميين، فالمبايعة نموذج إسلامي شرعي وفق مبدأ الشورى كمبدأ أساسي تم تطبيقه وفق نموذج إسلامي سليم في قيادة الحكم.

وتمت مبايعة الأمير عبد القادر في أصعب الظروف التي عرفتها الجزائر، مما يجعل ولايته بيعة شرعية من أجل فرض الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي بعد سقوط مدينة الجزائر في05 جويلية 1830 ، وعقد اتفاقية الاستسلام من طرف الداي حسين مع الجنرال ديبورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، وبعد زوال النظام السياسي انتشرت فوضى عارمة، حتم وجود حاكم مسلم يحرر البلاد، ويوحدها ضد الاحتلال ويفرض الجهاد وفق قيادة شرعية توحد الشعب الجزائري وتعيد النظام السياسي بالجزائر، وتم اختيار عبد القادر لعدة أسباب أهمها، أنه حظي باتفاق أهل الحل والعقد، وأنه ذو حزم وعزم وعقل سليم لتنفيذ الأحكام ومن خلال مشاركاته في المعارك التي خاضها مع والده الشيخ محي الدين بوهران ضد الاحتلال الفرنسي(Derrien, I.1886 :33).

شكلت مبايعة الأمير عبد القادر قطيعة مع الأنظمة التي سادت البلاد سابقا، فهو واحد من أبناء البلاد قبل الإمارة نزولا عند رغبة أعيان المنطقة، ولذلك نجد أن من بايعه قد التزم

بإرادته الحرة للعمل تحت قيادته ،بعيدا عن أي إكراه رأوا فيه الرجل المناسب ،فلقد كان يتقدمهم أثناء الزحف وأولهم تضحية من أجل الدفاع عن الجزائر كاملة دون تمييز. فحكم الأمير عبد القادر للجزائر ليس عن طريق الوراثة أو التعيين، وإنما عن طريق الانتخاب والبيعة ورضى الشعب الجزائري، لذا تعتبر سلطته شرعية قانونية يؤكد فيها استمرارية السيادة الجزائرية من عناصر جزائرية، أكثر ارتباطا بالوطن والاهتمام بالمصالح العامة للشعب الجزائري، وفق مبادئ أساسية وسلطة صارمة مطلقة مقبولة من الشعب باعتبار الدين الإسلامي المحرك الأساسي للشعب الجزائري لتدعيم الوحدة الشعبية(Abdelhamid, B.S.D :70).

**ج–البيعة قانونا :** البيعة التي أحدثها الأمير عبد القادر عقد اجتماعي وسياسي يتضمن حقوق وواجبات بين الحاكم والشعب، على أساس تجديدي وحركة حديثة في مسار التاريخ الجزائري والإسلامي (تشرشل، ش. 2004: 59). أصبح فيه الولاء للشعب وليس لأقليات تتحكم في السلطة فمشروع البيعة هو مشروع اجتماعي حضاري لم تتبعه أي دولة عربية أو إسلامية في العصر الحديث (عميراوي، ح. 2004: 13–14)، بينما الجزائر في عهد الأمير عبد القادر كانت سلطتها وفق اختيار الشعب وإرادته على أساس شوري انتخابي(Changargnier, T.1930 :61) . ومن خلال بيعته نلمس حضور الشخصيات البارزة التي حضرت البيعة أنهم عملوا على انتخاب وبيعة واحد منهم، بمعنى يتمتع بالشخصية الجزائرية بالمصطلح الحديث، لذلك فبيعة الأمير عبد القادر كان لها هدف منذ البداية، إلى جانب الجهاد وهو الغاية الأولى، كانت لها قاعدة سياسية، بيعة الأمير عبد القادر فقد كانت ذات إرادة شعبية وطنية، وهذا ما يثبت الشرعية الكاملة للبيعة، ويؤكد ارتباطها بالانتخاب،ويجب الاعتماد على النفس من أجل تحرير الجزائر، المبايعة عقد قدمه الأمير عبد القادر للشعب الجزائري، للدفاع عن الوطن15سنة، من هنا يتضح إن البيعة تعتبر مسؤولية تحمل الأمير عبد القادر أعباءها لحماية الدين الإسلامي، والوطن بناء على اختيار

الأغلبية من الشعب له، ففكرة سياسة الدولة في القرن 19م وفق إرادة الشعب لم تكن غائبة عن فكر الأمير عبد القادر وممارسته لها.

لقد اختير الأمير عبد القادر دون غيره لأنه كان مدركا لمقتضيات العصر، وما تحتاجه البلاد فعلا بوجود الاستعمار، وفي وسط تسوده العصبيات القاتلة، والمنهج السياسي الاستبدادي والتعسفي بالمنطقة كجباية الضرائب بالقوة، انحطاط المستوى الثقافي والانفراد بالحكم، وفي عالم انتشرت فيه الروحانيات القاتلة والأسطورية، الأمير عبد القادر عن طريق البيعة وجهاده ومظهره الإنساني وصورته المعرفية تحول تفكيره من أمير جهاد إلى مفكر عن منهج سياسي، بمعنى انه كان يعطي الأولوية للجهاد إلى جانب الشجاعة وحسن التسيير والتدبير والذي ظهر جليا في معركة حنق النطاح. ويظهر ذلك من خلال تولية خلفائه بحيث عين من كل منطقة خليفة له من نفس المنطقة أي انه لم يكن جهويا وكل ذلك مبني على مقاييس علمية وموضوعية وكذا الرشد السياسي والفكري.

والبيعة قضية وطنية للمحافظة على مصالح الشعب الجزائري، وتنظيمه وتمثل هذه البيعة الأسس التطبيقية للدولة الجزائرية التي تعمل للدفاع عن الوطن، ضد الاعتداءات الفرنسية وفق أطر وطنية فلم يستدع لحضور البيعة لا المغاربة ولا التونسيين ولا أية شخصية من دول عربية، أو إسلامية بل كانت بيعة جزائرية مهمتها الدفاع عن الوطن الجزائري وطرد قوات الاحتلال الفرنسي.

البيعة التي أحدثها الأمير عبد القادر عقد اجتماعي وسياسي يتضمن حقوق وواجبات بين الحاكم والشعب، على أساس تجديدي وحركة حديثة في مسار التاريخ الجزائري والإسلامي.
ومثلت قطيعة مع الماضي في انتخاب رئيس دولة جزائرية من أبناء الشعب الجزائري، دون أي عضو خارجي وحرروا صك البيعة، وهو توثيق شرعي لميلاد دولة جزائرية حديثة ، أصبح فيه

الولاء للشعب، وليس لأقليات تتحكم في السلطة فمشروع البيعة هو مشروع اجتماعي حضاري لم تتبعه أي دولة عربية أو إسلامية في العصر الحديث.

**2- مؤسسات الدولة لتأكيد مفهوم المواطنة**

**1- النظام الإداري:**

**أ- المجلس الاستشاري** : يتكون المجلس الاستشاري من 11 عضوا وهم نواب الدولة بالتعيين (أديب، ح. 56:1983)، والتصويت على أساس الإجماع في كل مقاطعة دار شورى للمفاوضة في الدعاوى المهمة التي تحدث بين الشعب، وفي مصلحة الدولة وجعل انتخاب أعضاء هذه المجالس إلى الخلفاء والقضايا التي ترى فيها يكون فصلها على الوجه الشرعي، ويكتب فيها صكوك يضع أصحاب الشورى فيها أسماءهم بخطوط أيديهم ورئاسة كل منها تناط بالقضاة فإذا حضرها الخلفاء فالرئاسة لهم، وعلى كل حال فهم المأمورون بتنفيذ صكوكها وأمر هذه المجالس مربوط بالمجلس العالي الأميري، كما قام الأمير عبد القادر بتشكيل عدة نظارات أي الوزارة في جميع الميادين الداخلية والخارجية للدولة الجزائرية، فجعل ميلود بن عراش نظيرا للخارجية و محمد بن السيد العربي نظيرا للداخلية والسيد محمد بن الجيلالي نظيرا للحربية والحاج بن أبي عبد الله الحاج الجيلالي بن فريحة نظيرا للمالية العامة، أما الخزينة الخاصة جعل عليها السيد أبو السعيد محمد بن فاخة، وعلى الأوقاف جعل أبي عبد الرحمن الحاج الطاهر أبو زيد، بينما جعل السيد أبي محمد الجيلالي العلاوي بن الهدايا نظيرا للعشور والزكاة (أديب، ح. 1983: 42-44).

أراد الأمير عبد القادر تنظيم الدولة من أجل المقاومة الوطنية، بينما كانت راية الدولة الجزائرية من الكتان الحريري، رسمت فيها يد مبسوطة وكتب حولها بشكل دائري عبارة:" نصر من الله فتح قريب،ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين" (تشرشل، ش. 40:2004) ،

أراد الأمير عبد القادر إنشاء دولة من إرادة الشعب الجزائري، حيث لم تكن له خزينة أو معمل لسك العملة أو معمل من الآلات لضرب النقود، أو منجما يستطيع التصرف فيه أو استثماره في مصالح الدولة، ولكنه تحدى كل هذه الصعاب وقام بسك العملة رغم أن قيمتها لم تكن كبيرة ولم يدم التعامل بها كثيرا، إلا أنه استطاع فرض وجوده رغم مجريات الحرب، وكثرة المعارك وضراوتها وقام بضرب (الجيلالي، ع. 16:1966) العملة بتاقدمت، وسكت نوعين من القطع النقدية سماها المحمدية تكريما للرسول صلى الله عليه وسلم. (Mounir , B.1929 :42-43) .

**ب- المقاطعات الإدارية:**

لقد أراد الأمير عبد القادر إعطاء المقاومة الشعبية بعدا وطنيا، لذا سعى لإنشاء مقاطعات إدارية تعمل على تنظيم مصالح الشعب الجزائري، في إطار المقاومة الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي، فلم يكن الأمير جهويا ولم يكن متعصبا لأفكاره، بل قام بتولية في كل مقاطعة رجلا من أبناء المقاطعة التي يحكمها، ومن أهم هذه المقاطعات هي:

- مقاطعة معسكر: ولى عليها بن أبي فريحة المهاجي وبعد استشهاده ولى عليها الحاج مصطفى بن أحمد التهامي 1834- 1841م.

- مقاطعة تلمسان: ولى عليها محمد البوحميدي الوهاصي1834- 1841م .

- مقاطعة مليانة: ولى عليها محي الدين بن علال القليعي ثم محمد بن علال 1837 – 1841م.

- مقاطعة التيطري: المدية ولى عليها مصطفى بن محي الدين ثم ولى مكانه محمد البركاني 1837-1841م.

- مقاطعة مجانة: ولى عليها محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي القلعي وأخيرا محمد بن عمر العيسوي 1839- 1841م.

– مقاطعة الزيبان أوالصحراء الشرقية : ولى عليها فرحات بن سعيد ثم الحسن بن عزوز ثم محمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحاج 1838– 1841.

– مقاطعة برج حمزة: ولى عليها أحمد بن سالم الدبيسي 1837– 1847.

– مقاطعة الصحراء الغربية : "الأغواط" ولى عليها قدور بن عبد الباقي 1838– 1843م (أديب، ح. 1983: 46–51).

عمل الأمير عبد القادر بما تمليه عليه الشريعة الإسلامية في إدارة البلاد، وتنظيم الشعب الجزائري لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي، (شريط، ع. 1985: 234) وكان هدفه الوحيد تحرير البلاد تحت سلطة واحدة، لقد أدرك بيجو الطابع الوطني للأمير عبد القادر فصرح قائلا :"عليكم أن تهاجموا قائد القومية العربية في صلبها يجب القضاء على هذه القومية وعلى قوة الأمير عبد القادر وإلا إنكم لن تحققوا شيئا في إفريقيا (قداش، م. 1974: 43)."

اشترط الأمير عبد القادر مقاييس للقادة الإداريين على أساس مراسيم يحررها الديوان الخاص، وتختم بخاتم الدولة وبعد تنصيبهم يسلم إليهم خاتما يستعمل في اعتماد القرارات الإدارية، التي يصدرونها وعند انتهاء مهمتهم يعاد الخاتم إلى دار الإمارة كدلالة على انتهاء علاقتهم بالدولة (Belmare, A.2003، :118) لذا تم تقسيم السلطات على النحو التالي:

– الخليفة:يكون على مستوى المقاطعة له العديد من الاختصاصات حق مراقبة الأغاوات والقواد وفي حالة فقدان الثقة فيه أو عدم أدائه لمهامه يعزل.

– الآغا: يتولى مهامه مدة سنة قابلة للتجديد وله حق التصرف في المسائل العادية فهو الشخصية الثالثة في الإدارة المحلية.

– القائد : مهمته الإشراف على شؤون القبيلة وما يرفع له من أمور تتعلق بالعشيرة إلى جانب الحفاظ على الأمن والفصل في بعض المنازعات وإقامة الصلح (45–30: Bugeaud, T- R.1844).

– الشيخ: هو المسؤول القاعدي يعمل كوسيط بين القبيلة والقائد إلى جانب تمتعه بسلطات إدارية واسعة أهمها رئاسة الشرطة، مراقبة الأسواق، والإشراف على الشؤون المالية وتثبيت شؤون الحالة المدنية ودوره الاتصال والتبليغ، ورفع القضايا والأوامر والمطالب بين الديوان الأميري والقبيلة، وفوضت له سلطة حل بعض المنازعات القضائية العادية،أما القضايا الهامة، فيحيلها إلى القائد أهمية الشيخ الوظيفية هي عدم السماح لمن تقلدوا هذا المنصب، بأي انحراف أو سوء تصرف أو إهمال وإلا وتعرضوا للعزل (اوصديق، ف. 2003: 21-22).

**ج– النظام الاقتصادي الحربي:**

**– الجانب الفلاحي** : قام الأمير عبد القادر بتشجيع العمل الزراعي وألغى ضريبة الخراج ، واستخدم أدوات بسيطة للحرث، وقد استعملت مخازن القمح لتموين قوات المقاومة الشعبية الوطنية والتبادل التجاري من أجل شراء مستلزمات الحرب(Azan, P.1929 :136)، فقد كانت الزراعة تمثل النشاط الأساسي للسكان الجزائريين، لذا حاول الأمير تغيير وضعية النظام الفلاحي التي كان يعيشها في أواخر فترة العثمانيين (بن عبد القادر، م. 1966:314) ، فألغى ضريبة الخراج التي كانت مفروضة على الأرض ومحاصيلها، والتي كانت تثقل كاهل الفلاح، فكان كل فلاح يستهلك قسما من محصوله مع عائلته، بينما كان يحتفظ بالباقي في المخازن لأوقات الشدة (Daumas, E.1921 :607)، كما شجع الأمير كذلك السكان على حراثة أراضي الدولة، وجني محاصيلها عن طريق التويزة، وهي عملية كانت تقلل من مصاريف الدولة، ومن ناحية أخرى كانت ترسخ العلاقات بين أفراد القبائل المختلفة و تربط مصالحهم الخاصة مع مصالح الدولة العامة (Roche, :479) .L.1887

**– الصناعة الحربية:**

بعد المعارك التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات الاحتلال الفرنسي، أدرك التفاوت الحضاري والتجهيزي بين القوتين، لذا سعى للاستفادة من التقدم الصناعي الأوروبي فقام بجلب مختصين أوروبيين لصناعة الأسلحة وصيانتها وإصلاحها وصهر المعادن، كما اعتنى بصناعة لوازم قوات المقاومة الشعبية الوطنية من ألبسة وصناعة السروج ولوازمها فرتب عددا من الخياطين لتفصيل الملابس، والسروج العسكرية وإصلاحها بمختلف المقاطعات (Belmare, A.2003 :121)، وكانت حاجة قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر للأسلحة لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي (Abdelhamid, :58) .B.S.D

**– التعبئة المالية لتغطية نفقات المقاومة الشعبية الوطنية:** المعونة الحربية: تقيد الأمير عبد القادر بأحكام الشريعة الإسلامية في عملية جباية الضرائب، حيث قام بإلغاء ما كان مستحدثا من مغارم كاللزمة والغرامة والعوائد، وغيرها وعوضها بضريبتي العشور والزكاة التي أقرتها الشريعة الإسلامية (بن عبد القادر، م. 166:1966) ، تؤخذ العشور من محاصيل الحبوب والزكاة تستخلص من الخيول والجمال والبغال والأبقار والأغنام، حسب النسب المحددة شرعا يؤخذ من مجموع الأغنام (Julien, Ch -A.1979 :84)، فالمعونة: استحدثها الأمير عبد القادر سنة 1839م، تزايدت هذه الضريبة نظرا لتطور ظروف الحرب، أما الخطية والغرامة فكانت تجبى على الجنح والمخالفات وما يتحصل عليه الجيش الشعبي الوطني من غنائم في الحملات الحربية (Azan, P.1929 :46).

**د- النظام القضائي للدولة الجزائرية:**

كان شعار الدولة الجزائرية الحديثة إقامة العدل بتعيين بكل مقاطعة، ودائرة قاض يتصف ببعض المواصفات أهمها معرفته للشريعة الإسلامية، وكانت مهمته حفظ حقوق المواطنين وفق مقتضيات الشرع الإسلامي فالقضاء المدني يتولى شؤونه قضاة مدنيون شرعيون (126: Belmare, A.2003)، بكل عمالة يوجد قاض عالم للفصل في القضايا الشرعية، أما القضاء الجنائي يهتم بالجرائم السياسية فهو من اختصاص ممثلي الحكومة سواء الآغا أو القائد أو الخليفة، وفي الحالات الخطيرة تكون من اختصاص الأمير عبد القادر، أهم هذه القضايا الجرائم، التجسس والتعاون مع الاحتلال الفرنسي، وأما القضاء العسكري كما أوجد قانونا عسكريا وفق الأحكام الشرعية للمحافظة على الأمن والاستقرار، إلى جانب الانضباط وفق قوانين تسير وحدات الجيش الوطني الشعبي لمواصلة مهمتهم المتمثلة في مقاومة الاحتلال الفرنسي.

خصص الأمير عبد القادر قاضيا يهتم بالشؤون العسكرية، وأسندت الرئاسة في هذا الاختصاص لابن عبد القادر بن مصطفى المشرفي (بن عبد القادر، م. 1966:309). وكانت مهمة قاضي الطرائق حماية أملاك الدولة وأموال بيت مال المسلمين عن طريق الإرث، وقاضي المحلة كانت مهمته تطبيق العدالة داخل وحدات الجيش فهذا النظام، لم يكن معروفا في نظام القضاء في العهود السابقة، والسبب في هذا يرجع إلى الروح النظامية التي كان يتصف بها الأمير وحبه للدقة والانضباط في جميع شؤون الدولة (Abdelhamid, :85-86) .B.S.D

سعى الأمير عبد القادر من أجل تحقيق العدل، فأوكل شخصا ينادي الناس بالأسواق والمساجد والمحلات العمومية "من لديه مظلمة عند آغا أو قائد أو قاضي فليأتي بها وسأقوم

بالحكم وفي حالة إن لم يشتك مظلمته لن يسألني الله يوم القيامة " (Gallissot, :132) R.1987، واختصاصات صاحب المظالم الذي هو عبارة عن هيئة قضائية عليا يلقب رئيس الديوان صاحب المظالم، وسلطته أعلى من سلطة القاضي، تسند للأمير عبد القادر يصدر حكمه حول هذه المظالم بعد استماعه للشكاوي، وحتى القضايا الجنائية من اختصاصه بدون استئناف وفق ما يقتضيه الشرع الإسلامي (تشرشل، ش. 2004:203 -204).

**3- النظام الثقافي للدولة الجزائرية:**

الدولة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر عملت للمحافظة على رصيدها الثقافي العربي الإسلامي، من أجل تحقيق التحرر الجزائري والمحافظة على الكيان الإسلامي (قداش، م. 1974: 50- 51) ،حاول الأمير عبد القادر تجسيد هذه الشعارات كترتيب بعض الكتاتيب لتدريس الأطفال تعاليم القراءة والكتابة والصلاة، أما الطلبة يكملون دراستهم بالمساجد وكان الأمير عبد القادر يكرم هؤلاء الطلبة، وأصر للمحافظة على المخطوطات ومعاقبة من يقوم بإتلافها، لقد كانت بالزمالة العاصمة الجزائرية المتنقلة مكتبة بها أهم المخطوطات قام جيش الاحتلال الفرنسي بحرقها في 16ماي 1843 بقيادة الدوق دومال "Daumal" بعد عودة الأمير عبد القادر إلى الزمالة كان يلاحق شتات أوراق الكتب المبعثرة التي عانى في جمعها (Belmare, A.2003 :125-126).

إن المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر برهنت على التقاليد الجهادية للشعب الجزائري، ورفضه للأجنبي ومجابهته لقوات الاحتلال الفرنسي رغم المآسي وصعوبات التجنيد، وقلة المؤونة والذخيرة الحربية إلى جانب التفاوت التجهيزي بين قوات جيش الاحتلال الفرنسي، والجيش الشعبي الوطني عدة وعددا، إلا أن قوات الجيش الوطني الشعبي بقيادة الأمير عبد القادر واصلت المقاومة والدفاع عن الوطن، وجسدت فكرة حب الوطن والحرية خلال 15 سنة كلها معارك وإبادات ومحارق ضد الشعب الجزائري، وقد حافظ الأمير عبد

القادر على شرعية الدولة الجزائرية ويتضح لك البعد الوطني من خلال التقسيم الإداري ولامركزية الحكم في إطار المقاومة الشعبية الوطنية في مواجهة الاحتلال الفرنسي من خلال عدة معارك قادها وخاضها الأمير عبد القادر وخلفاؤه.

**4-النظام العسكري:**

- نشأة جيش المقاومة الشعبية الوطنية: شكل المتطوعون الجزء الأكبر ، من قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر، فمنذ دعوة الشيخ محي الدين للجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي بوهران، بادرت بعض قبائل المنطقة بتقديم يد العون له، حيث زودته بالمقاتلين وتواصلت هذه العملية بعد البيعة (أديب، ح. 1983: 106)، وكان هؤلاء المتطوعين أناسا عاديين لم يحترفوا الجندية يدفعهم الحماس الديني والشعور بالانتماء إلى الوطن. (تشرشل، ش. 2004: 135).

نشأ الجيش الجزائري في ظروف صعبة تعود جذورها إلى فترة الحكم العثماني بالجزائر، وقد برزت ملامحها بعد الاحتلال الفرنسي للبلاد (Julien, Ch -A.1979 :15)، عانى الشعب الجزائري من هذه الإدارة الفاسدة، بالرغم من الإمكانيات المتوفرة بهذه المنطقة، إلاّ أن استخدامها لم يكن بطريقة عقلانية (De Paradis, V. 1983 :120)، كان الوضع العام لا يشجع على إنشاء جيش مجهز حديث، يدخل إنشاء الجيش من قبل الأمير عبد القادر ضمن إستراتيجيته العسكرية لمواجهة القوات الفرنسية، والتي تضمنت إلى جانب إقامة جيش نظامي توفير الأسلحة وإنشاء مصانع لإنتاجها وبناء القلاع.

فبعد احتكاك الأمير عبد القادر بالقوات الفرنسية رأى أنه من الضروري إنشاء جيش نظامي وطني جزائري تكون مهمته الدفاع عن الدولة الجزائرية الحديثة (Abdelhamid, B.S.D :111-93)، وعمل الأمير عبد القادر على وضع قانون لتنظيم الجيش،

وقد كان ذلك القانون مجموعة من المسائل والقوانين قام مستشاره قدور بن رويلة بتبويبها وترتيبها في كتاب أسماه "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب " (بن رويلة، ق. 1968: 40). كان جيش المقاومة الشعبية الوطنية يتكون من ثلاثة أصناف أهمها المشاة (العسكر المحمدي ) والفرسان والمدفعية (Belmare, A.2003 :120) ، كما جعل الأمير للجيش جهاز طبي يهتم بمعالجة المرضى وتضميد الجروح من طرف جنود ليس لهم معرفة كبيرة بأمور التمريض، إلا أنهم كانوا يتقنون معالجة الأمور غير المعقدة (أديب، ح. 1983: 140) ، أما الطنبور والموسيقى كانت من الوسائل التي ترفع الروح المعنوية للجنود ، كما أنهما وسيلتان من وسائل الاتصال (بن رويلة، ق. 1968: 46)، لقد حاول الأمير عبد القادر أن يجعل لجنوده ألبسة عسكرية تتناسب ورتبهم العسكرية لتنظيم وحدات الجيش، كل حسب اختصاصه إلا أن اغلب الألبسة كانت تأتي عن طريق التطوع ( Abdelhamid, B.S.D :114)، كما أنشئت في بعض المدن مصانع للنسيج تنتج ألبسة الجند أهمها كانت بمدينة تلمسان.

اعتنى الأمير بتدريب الجيش على أساليب القتال الحديثة، وألحق بقواته مجموعة الفارين من الجيش الفرنسي، الذين درسوا الخطط الحربية التي تلقوها ونفذوها عمليا مع جيش الاحتلال الفرنسي (أديب، ح. 1983: 121) ، مدربو الجنود بعضهم استجلبوا من تونس، وطرابلس، وبعض الفارين من الجيش الفرنسي الذين لم يستطيعوا مواجهة قوات المقاومة الشعبية الوطنية (Belmare, A.2003 :121) ، تدريب الجيش كان تدريبا شكليا يتمثل في كيفية حمل السلاح واستعماله ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

**– نماذج عن المعارك التي خاضتها قوات المقاومة الشعبية الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي 1832– 1847م:** ومن أهم المعارك التي شهدتها الجزائر خلال المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر وخلفاؤه هي كالأتي:

| المعارك الجزائرية | القيادة العسكرية |
|---|---|
| معركة التينة 27 ماي 1833م. | الأمير عبد القادر |
| معركة عين البريدية 11 جوان 1833م | الأمير عبد القادر |
| معركة عوشبة1834م | الأمير عبد القادر رفقة الخليفةمحمد البوحميدي |
| معركة مولاي إسماعيل 26 جوان 1835م | الأمير عبد القادر |
| معركة المقطع 28 جوان 1835م | الأمير عبد القادر |
| معركة الخروف 03 ديسمبر 1835م | الأمير عبد القادر |
| معركة سيدي مبارك في03 ديسمبر 1835م | الأمير عبد القادر |
| معركة يسر تافنة25 جانفي 1836م | الأمير عبد القادر |
| معركة سبع شيوخ 27 جانفي 1836م | الأمير عبد القادر |
| معركة واد الأطشم15أفريل1836م | الأمير عبد القادر |
| معركة سيدي يعقوب 25أفريل1836م | الأمير عبد القادر |
| معركة السكاك : 06 جويلية 1836م | الأمير عبد القادر |
| معركة سالسو جانفي 1839م | الخليفة بن عزوز |

| | |
|---|---|
| معركة مزغران03 فيفري 1840م | الخليفة بن التهامي |
| معركة غابة كرزازة العفرون27أفريل1840 م | الخليفة بن علال |
| معركة بودواو الأولى في أفريل1840 | الخليفة بن سالم |
| معركة رأس سوطة و بئر خادم 25أفريل1840م | الخليفة بن سالم |
| معركة موزاية 12 ماي 1840م | الأمير عبد القادر |
| معركة غابة الزيتون 20 ماي 1840م | الأمير عبد القادر |
| معركة بودواو الثانية سبتمبر 1840م | الخليفة بن سالم |
| معركة تسلامت في 12 مارس 1840م | الخليفة البوحميدي |
| معركة قنطاس في 23 جوان 1840 | الخليفة البركاني رفقة الأمير عبد القادر |
| معركة مشونش شهر مارس1841م | الخليفة بن عزوز |
| معركة "راسوطة بمنطقة الحراش في 12/04/1841م | الخليفة بن سالم |
| – معركة سيدي دحو في 13جويلية 1841 | الخليفة مصطفى بن تهامي |
| معركة زويلين في 01 جويلية 1842 | الخليفة محمد بن علال |
| – معركة أولاد سلطان في 13 مارس | الخليفة أحمد بلحاج |

1844م

| | |
|---|---|
| – معركة بسكرة في 12 ماي 1844م | الخليفة أحمد بلحاج |
| – معركة اوراز الدين في 12 ماي 1844م | الخليفة بن سالم |
| – معركة مشونش الثانية في 12 ماي 1844م | الخليفة أحمد بلحاج |
| – معركة أولاد عزيز في 19جوان 1845 | الخليفة بن سالم |
| – معركة وادي متوس 23 سبتمبر 1845م | الخليفة البوحميدي |
| – معركة جبل كركور 23 سبتمبر 1845 | الأمير عبد القادر |
| –معركة سيدي إبراهيم 26 سبتمبر 1845م | الأمير عبد القادر |
| – معركةواديمرسي 26 سبتمبر1845م | الأمير عبد القادر |
| – معركة شراك الطبول فيفري 1846 | الخليفة بن سالم |

بالرغم من الصعوبات التي واجهتها قوات الجيش الشعبي الوطني بقيادة الأمير عبد القادر ضد قوات جيش الاحتلال الفرنسي إلا أن فكرة المقاومة، والدفاع عن الوطن بقيت راسخة في أذهانهم وقد خسرت قوات الاحتلال الفرنسي، وقد أكدت هذه المعارك المتواصلة على الإيمان بروح المقاومة الوطنية، والدفاع عن الوطن رغم الضغوطات وشدة الخناق وكثرة الحاميات العسكرية وتعداد الجيش الفرنسي، لمراقبة قوات الجيش الشعبي الوطني إلا أن الجيش

الفرنسي الأكثر تنظيما وتجهيزا مازال يتكبد الخسائر أمام قوات جزائرية مهاجرة، تفتقد لشروط المواجهة من ناحية التجهيز والتدريب ومع ذلك استطاعت الإطاحة بقادة وضباط فرنسيين اعتادوا الحروب.

المهمة التي تحمل عاتقها الأمير عبد القادر ليس باسم الدين فحسب، بل بدافع وطني لأنه لم يدافع عن مدينة معسكر أو إقليم وهران فحسب، وإنما حاول بكل مجهوداته ورغم انشغالاته الحربية في توفير المؤن والذخيرة الحربية وصك صفقات تموينية، وبناء المدن والتحصينات العسكرية، بل ظل يدافع عن دينه ووطنه.

نادى الأمير عبد القادر بالحس الوطني لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي لإدراكه المهمة والمسؤولية الموكلة إليه لحماية الشعب الجزائري وتوطيد البلاد، وحسب ما صرح به دوطوكفيل (دوطوكفيل، ا. 2008: 115) يبين الفرق بين المقاومة الشعبية الوطنية بالغرب الجزائري والمقاومة بالشرق الجزائري، فمنطقة الغرب الجزائري أشد مقاومة وإيمانا وأخطر المعارك شهدتها هذه المنطقة لأنها رفضت الاحتلال الفرنسي، حيث كان الأمير عبد القادر يسعى لتحقيق وإرساء فكرة توحيد الصف الوطني في مواجهته لقوات الاحتلال الفرنسي المغتصبة للأراضي الجزائرية، والمنتهكة لحرماته ومساجده وتعاليمه الإسلامية والثقافية، وقد تفطن للمساعي الفرنسية وإصرارها على البقاء بالجزائر من جراء تزايد قواتها ونفقاتها المبذولة والإبادات المرتكبة ضد شعب أعزل، وسعى لإفشال هذه المشاريع الفرنسية.

وحسب دوطوكفيل:" إذا تم القضاء على عبد القادر فإن ذلك لن يتم أبدا إلا بمساعدة بعض القبائل الخاضعة له، علينا استمالة القادة المهمين بوعود أو بهبات سخية ودفع القبائل لليأس من الحرب "(دوطوكفيل، ا. 2008: 44).

يعتبر الأمير عبد القادر بالنسبة للسلطات الفرنسية مشكل عويص يصعب قهره، من خلال تحركاته ومعاركه المتواصلة، وطول أمد المقاومة الشعبية الوطنية، رغم قلة مصادر تموينها وقلة تعدادها وعدتها إلا أنها كانت تشكل خطرا كبيرا أمام قوات الاحتلال الفرنسي.

وقال الجنرال بيجو مصرحا:" إن أصل الداء كله هو عبد القادر إن قتله أو القضاء عليه يعني إزالة الداء "، ويقول الجنرال بيجو 1841م : " لو لم نحظ به شخصيا لعانينا طويلا في حربنا ضده انه رجل مميز لقد استخدم ما تبقى من قوته بحزم، تماما كما فعل نابوليون في حملته الفرنسية، ويجب أن نتوقع مبادرات عديدة من جهته قبل أن يموت في معركة أو غيرها، عبد القادر رغم آلامه الكبيرة لم يتخل عن مسعاه"، يعتبر الأمير عبد القادر بالنسبة للسلطات الفرنسية بالجزائر محرك المقاومة الجزائرية، لذا كانت تسعى للقضاء عليه، وكانت مشاريعه تهدد نجاح المشروع الاستعماري الفرنسي والنفقات والجهود المبذولة من أجل الاحتفاظ بالجزائر.

يؤكد الجنرال بيجو من خلال تصريحاته مدى خطورة المقاومة الشعبية الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر ومشروعه المتمثل في تشييد دولة جزائرية حديثة، تعمل على طرد قوات الاحتلال الفرنسي من الأراضي الجزائرية ويصرح قائلا : " نحن نخطئ عندما نعتقد أننا في مواجهة قائد واحد رفقة 700 أو800 من فرسانه ولكننا في مواجهة دولة بأكملها إن قوة الأمير تكمن في تأثيره على الجزائريين، لم تقدر على مقاومته قبيلة واحدة إنه أمير حكيم ويحاول الحفاظ على إمارته"(Germain, R.1955 :47-49).

كما اتخذ الجنرال بيحو سياسة تقضي على الأمير عبد القادر، وهي تخصيص مبالغ مالية للقبض عليه حيا أو ميتا، وبما أن أي اتفاق معه بدا مستحيلا لم يبق إلا محاربته للقبض عليه أو نفيه من البلاد . بعد صعوبة مواجهة قوات الجيش الشعبي الوطني نظرا لوجود 3 خلفاء أقوياء يشكلون خطرا على جيش الاحتلال الفرنسي وهم خليفة مليانة بن علال وخليفة المدية

البركاني وخليفة سباو بن سالم (Germain, R.1955 :79)، عمل الجنرال بيجو لإجراء الحوار مع خلفاء هذه المقاطعة الوسطى في أوائل سنة 1841م، فقامت السلطات الفرنسية بمراسلة محمد بن علال ولد سيدي مبارك عن طريق المقدم لامورسيير والمقدم بيليسي، كان الجنرال بيجو يرجو فقط حياد الخلفاء لأن ظروف الحرب لا تسمح بإملاء مثل هذه الشروط المقترحة من وزير الحرب سولت، والتي تنوي السلطات الفرنسية تحقيقها في تحالفها مع زعماء القبائل، وفي أواخر شهر فيفري 1842م حاول الجنرال بيجو استمالة، وإغراء خلفاء الدولة الجزائرية للتخلي عن المقاومة الوطنية، حتى يتسنى للقوات الفرنسية الذهاب بأكبر عدد من قواتها إلى منطقة الغرب الجزائري للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر، التي كانت أكثر شدة وإصرارا على مقاومة قوات الاحتلال الفرنسي وطردها من الأرض الجزائرية.

**الخاتمة:**

أسس الأمير عبد القادر دولة وطنية حديثة، حيث قام بمقارنة كبيرة في الفكر العربي الإسلامي، وفي ممارساته حيث اطلع على الكثير من التراث العربي الإسلامي، في الكثير من المسائل التي واجهته واطلع على الأحداث التاريخية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية، استطاع تجاوز تلك الممارسات السياسية التي حدثت بالعالم العربي الإسلامي في عصر النهضة، أو قبله وذلك نتيجة وعي شخصي نابع من محيطه وواقعه فلم يسافر كغيره للغرب، ولم يقم بأوروبا ولم يتأثر بواقعها، فما قام به هو إدراك فكري عميق يعبر عن ملاحظاته ومعاناته ومعاناة مجتمعه، فإن محور تفكيره لا من منطلق الآخر، ولا من واقعه إنما منطلقا ذاتيا يعبر عن إدراك الذات، وما هي عليه الأمة التي تعيش بها وحاول تجاوز الواقع ليعيد للأمة مجدها، واستطاع بعمله ومنجزاته صد كل المزاعم والادعاءات التي ترى أن الأمة الجزائرية لم تكن لها دولة أبدا، وأنها عاجزة عجزا فطريا عن تكوين دولة وفق بيعة شرعية

قانونية على أساس انتخابي، ومبدأ الشورى الإسلامي وقواعد حضارية حديثة، أكثر تطورا وتنظيما للمحافظة على الهوية الجزائرية، لذا حاول من خلال مشروعه النهضوي الحداثي لتجسيد أسس وطنية تحت قيادة واعية من خلال إشراكه للشعب الجزائري عن طريق تجنيد الشباب الجزائري وتولية الخلفاء في إطار المقاومة الشعبية الوطنية ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

**– المراجع باللغة العربية:**


– الجيلالي، عبد الرحمن.(1966) ، سكة الأمير عبد القادر، ط1. الجزائر : وزارة التربية والتعليم.

- حرب، أديب. (1983)، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري،ط1. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

– تشرشل، شارل هنري. ( 2004)، حياة الأمير عبد القادر، ط1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

–دو طوكفيل، الكسي. (2008)، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ط1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- عبد الله، شريط ، محمد، مبارك الميلي. (1985)، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، ط1 .الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

- عميراوي، حميدة. (2004)، موضوعات في تاريخ الجزائر السياسي، ط1. الجزائر : دار الهدى للطباعة والنشر.

– فوزي، أوصديق.(2003)، النظام الدستوري دولة الأمير عبد القادر دراسة تحليلية مقارنة،ط2. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية .

– قدور، بن رويلة. (1968)، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ط1. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- محفوظ، قداش . (1974)، الأمير عبد القادر،ط1. مدريد: سلسلة الفن والثقافة وزارة الإعلام والثقافة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع التميرا روتبورس.

- محمد، بن عبد القادر. (1966)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط1. دمشق: دار اليقظة العربية.

**– المراجع باللغة الاجنبية:**

-Abdelhamid ,B. (S.D), L'État Algérien en 1830 institutions sous l'émir Abdelkader, entreprise populaire algérienne: Alger: éd. SNED.

-Azan ,P.(1929),L L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme français: Paris: éd.Hachette.

-Belmare ,A. (2003), Abdelkader sa vie politique et militaire:Paris: éd. Bouchene.

- Bugeaud, T.-R.(1844), Exposé de l'état actuel de la société arabe du gouvernement et de législation qui la régit: Alger: éd. Imprimeriedu Gouvernement.

- Changargnier, T. (1930), Mémoire du général Changargnier : Paris: éd.Levrault.

- Daumas, E. (1921),Correspandances du capitaine Daumas consul à Mascara ,1837-1839, Collection de documents inédits par le Gouvernement Général d'Algérie: Paris: éd. Jourdan.

- De Paradis, V. (1983), Tunis et Alger au 19ème siècle :Paris: éd. Sindabad.

- Derrien, I. (1886),Les Français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours :Paris: éd. Niot.

- Gallissot, R. (1987),Maghreb Algérie classes et nation :Paris: éd. Arcantère.

- Germain ,R.(1955), La politique indigène de Bugeaud :Paris: éd. Larousse.

- Julien, Ch.-A. (1979),Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871): Paris :éd. PUF.

- Mounir, B. (1976), La monnaie de l'Émir Abdelkader:Alger: éd. SNED.

- Roche, (1887),L. Trente deux ans à travers l'Islam 1832-1864 : Paris: éd. Didot.

# السعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي

## دراسة فارقيه على عينة من الأساتذة بولاية البويرة –الجزائر–

**الدكتور عبد السلام قبلي** **الدكتورة إيمان تقزال**

**جامعة البليدة–2–الجزائر**

**تاريخ الإيداع: 2019/01/25 م تاريخ التحكيم: 2019/02/27م تاريخ القبول: 2019/03/02م**

**الملخص**

هدفت الدراسة إلى معرفة **مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي،** والكشف عن الفروق بين الجنسين في الشعور بالسعادة، وكذا معرفة الفروق في الشعور بالسعادة تبعا للحالة الاجتماعية (عزاب، متزوجون)، وتكونت عينة الدراسة من 47 أستاذ وأستاذة، **واتبعنا المنهج الوصفي المقارن باعتباره المنهج الملائم للدراسة، واستخدمنا استبيان سلم السعادة لـ** هيثر سامرز وآن واتسون، لقياس مستوى الشعور بالسعادة، كما تم الاستعانة بالبرنامج الاحصائي spss لتحليل البيانات باستخدام الأساليب الإحصائية التالية: اختبار (ت) لدلالة الفروق لعينة واحدة، اختبار "ت" لعينتين مستقلتين، وتوصلت نتائج الدراسة إلى ما يلي:

- ✓ مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي مرتفع.
- ✓ مستوى الشعور بالسعادة لدى أستاذات التعليم الثانوي مرتفع.
- ✓ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى الى متغير الجنس لدى أساتذة التعليم الثانوي.

- ✓ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى الى متغير الحالة الاجتماعية لدى أساتذة التعليم الثانوي.

**الكلمات المفتاحية: علم النفس الإيجابي. السعادة. الأساتذة.**

# The happiness at teachers of secondary education

## A comparative study on a sample of teachers in the province of Bouira Algeria--

**Dr. Abdsalam Guebli Dr. Tegzal Imane**
**University of Blida -2- Algeria**

**Abstract**

The study aimed to know the level of feeling of happiness among teachers of secondary education, and to detect the differences between the sex in the feeling of happiness, As well as knowledge of differences in the feeling of happiness depending on the social status (single, married), and formed the sample of the study of 47 professors and professors, We used the comparative descriptive approach as the appropriate method of study, We used the happiness ladder questionnaire for Heather Summers and Anne Watson to measure the level of happiness.and we used The statistical program spss to analyze the data using the following statistical methods:

one sample T-Test, and independent samples T-test. The results of the study reached the following :

- ✓ The level of happiness at teachers of secondary education is high.
- ✓ The level of happiness at teachers of secondary education is high.
- ✓ There is no statistically significant differences in the level of happiness attributed to the sex variable at teachers of secondary education.
- ✓ There is no statistically significant differences in the level of feeling of happiness attributed to the social status variable at teachers of secondary education.

**Keywords: Positive psychology. Happiness. Professors.**

# السعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي

## دراسة فارقيه على عينة من الأساتذة بولاية البويرة –الجزائر–

الدكتور عبد السلام قبلي الدكتورة إيمان تقزال

جامعة البليدة–2–الجزائر

## 1.مقدمة

يسعى علم النفس الإيجابي إلى التركيز على نقاط القوة الإيجابية وذلك بفهمها وتعزيزها وتنميتها بحيث بنى نظرته الوقائية بتطرقه وتركيزه على الانفعالات والعناصر والمتغيرات الإيجابية كالسعادة، الأمل، التفاؤل وغيرها، ويتمتع الشخص السعيد بالرضا عن الحياة والنجاح والدافعية، وتقدير العمل والمشاعر الإيجابية ويرتبط الشعور بالسعادة بالعديد من المتغيرات والعوامل التي من شأنها أن ترفع مستوى الشعور بالسعادة كالنوع، والحالة الاجتماعية، الصحة، العمل ومتغيرات أخرى.

## 2.الإشكالية

يعد علم النفس الإيجابي تيارا حديثا جدا في علم النفس فقد كان من الطبيعي أن يهتم عديد من الباحثين النفسيين بتحديد هذا المفهوم، فعلم النفس الإيجابي يعنى بدراسة الظروف والعمليات التي تساهم في نمو وازدهار الأفراد والمجموعات والمؤسسات، والوصول بالوظائف والعمل إلى الحد المأمول، بالإضافة إلى أن له دورا حيويا في إيجاد طرق ومسالك عملية لتحقيق الأهداف عن طريق توفر سمة الأمل والسعادة لدى الأفراد حتى يستطيعوا مقاومة الألم والظروف القاسية، كما أكد سيلجمان seligman 2002 أن الخصال الإيجابية في

الشخصية أمر ضروري للإنسان فهي تعد حصنا قويا وقائيا ضغط الضغوط ونواتجها السلبية، كما أن لهذه الخصال الإيجابية دورا في استثارة السعادة الحقيقية فهي من أفضل السبل للوصول للهناء والسعادة الحقيقية، وتخطي الفشل، وتحمل الصعاب، وتحرر الفرد من قسوة الماضي. (عطا الله وعبد الصمد ،2013، ص 4-5)

وتعد السعادة من أكثر المفاهيم الحديثة التي ترتبط بعلم النفس الإيجابي، حيث استخدم سليجمان وآخرون (seligman & al,2005) كلمتي السعادة وطيب الحال تبادليا كمصطلحات لوصف أهداف علم النفس الإيجابي، ويتضمنان المشاعر والنشاطات الإيجابية، وعرف فينهوفن (Vennhoven,2003) السعادة بأنها الدرجة التي يحكم فيها الشخص سلبا أو إيجابا على نوعية حياته الحاضرة عامة. (قدومي،2015، ص193) وترى زروالي (2016، ص 145) أن مفهوم السعادة يعتبر مفهوما محوريا ورئيسيا في علم النفس الإيجابي لما له من مكانة بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، ولقد سعى الجميع في الثقافات المختلفة إلى السعادة بوصفها هدفا أسمى للحياة لارتباطها بالحالة المزاجية الإيجابية وبالرضا عن الحياة وجودتها، وتحقيق الذات، والتفاؤل والأمل والولاء.

ويرى شيكزينتميهالي أن السعادة تتحقق من خلال استغراق الفرد وممارسته لأنشطة إيجابية سارة، تنمي قدراته وتعزز تقديره لذاته، (معمرية، 2012، ص 7-8) ويعرف فريح العنزي 2001 الشعور بالسعادة "بأنه الدرجة التي يحكم فيها الفرد إيجابيا على نوعية حياته الحاضرة بوجه عام، وحبه للحياة التي يعيشها، واستمتاعه بها، وتقديره الذاتي لها ككل. (معمرية، ص 13)

وتؤكد بعض الدراسات عدم وجود فروق في الجنسين في مستوى السعادة وهذا ما جاءت به دراسة نيتفج وزملاؤه (Nativig, Alberktsen, and Qvarnstorm) 2003

عدم وجود فروق في السعادة تعزى لمتغير الجنس. (كتلو،2015، ص665)، ونجد دراسة جمال شفيق (1994) التي أشارت نتائجها إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الذكور ومتوسط درجات الإناث على مقياس الشعور بالسعادة (ياسين ومحمد، 2017، ص4)

وتأتي هذه الدراسة لمعرفة الفروق بين الجنسين في الشعور بالسعادة لدى أساتذة وأستاذات التعليم الثانوي وتتمثل مشكلة الدراسة الحالية في الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مستوى الشعور بالسعادة لدى الأساتذة؟
- ما مستوى الشعور بالسعادة لدى الأستاذات؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى لمتغير الجنس؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية؟

**وجاءت فرضيات الدراسة كالتالي:**

- مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي مرتفع.
- مستوى الشعور بالسعادة لدى أستاذات التعليم الثانوي مرتفع.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى الى متغير الجنس لدى أساتذة التعليم الثانوي.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى الى متغير الحالة الاجتماعية لدى أساتذة التعليم الثانوي.

## 3.أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مستوى الشعور بالسعادة لدى أستاذة وأستاذات التعليم الثانوي والفروق بين الجنسين (ذكر، أنثى) وكذا الفروق بين الجنسين في الحالة الاجتماعية (المتزوجين وغير المتزوجين) وذلك في مستوى الشعور بالسعادة.

## 4.أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال تسليط الضوء على موضوعات علم النفس الإيجابي والتي من بينها الشعور بالسعادة كمفهوم إيجابي، يساهم بارتقاء ونوعية حياة الفرد.

## 5.مصطلحات الدراسة

### 5. 1 التعريف الاصطلاحي للسعادة

تعرف آمال جودة (2007) السعادة "بأنها حالة انفعالية وعقلية تتسم بالإيجابية يخبرها الإنسان ذاتيا وتتضمن الشعور بالرضا، والمتعة، والتفاؤل، والأمل والإحساس بالقدرة على التأثير في الأحداث بشكل إيجابي". (جودة وأبو جوادي، 2011، ص 134)

### 5. 2 التعريف الإجرائي للسعادة

تعرف السعادة إجرائيا في الدراسة الحالية بأنها الارتفاع في درجات الأساتذة على استبيان سلم السعادة لـ هيثر سامرز، آن واتسون.

### 5. 3 التعريف الاصطلاحي لأستاذ التعليم الثانوي

هو الأستاذ المكلف بتطبيق المنهاج الدراسي، المعد للمرحلة الثانوية من التعليم في المدرسة الجزائرية كل حسب مادة اختصاصه. (بن قمقوم،2017، ص141)

### 5. 4 التعريف الإجرائي لأستاذ التعليم الثانوي

هم الأساتذة والأستاذات الذين يزاولون مهنتهم في كل من الثانويات التالية: ثانوية محمد المقراني، ثانوية متقن بربار عبد الله، ثانوية طالب ساعد، متقن العقيد أو عمران، ثانوية عماري أحمد.

### 6.مفهوم علم النفس الإيجابي

إن اهتمامات علم النفس قبل الحرب العالمية الثانية كانت تتمحور حول ثلاثة أدوار وهي علاج الأمراض النفسية، التركيز على الإنتاج والانجاز بالإضافة للاهتمام بالموهوبين، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية وتحديدا سنة 1946 ركز جل علماء النفس مجهوداتهم لعلاج الأمراض النفسية لدى الجنود العائدين من الحرب وهذا ما فرض تأسيس المعهد الوطني للصحة النفسية سنة 1947 والذي أصبح فيما بعد يعرف باسم الجمعية الأمريكية للطب النفسي، وقد ركز علماء النفس في هذه الحقبة على فهم وتحديد ولعلاج الاضطرابات النفسية، إن الملاحظ عموما في الفترة التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية هو الاكتفاء بدراسة وتفسير الأمراض النفسية والبحث في سبل علاجها أو التخفيف منها على الأقل، وهذا ما شكل دائرة مغلقة من المرض النفسي والعلاج النفسي والتي غالبا ما ينتهي دوره عند التخلص من الأعراض المرضية، وقد استمر هذا الوضع على حاله بعلم النفس إلى أن برزت حركة علم النفس الإيجابي مع كل من مارتن سيلجمان (000-1942) وميهالي شيكزنتيميهالي (000-1934) وكان هذا سنة 1998، حيث اعتبر سيلجمان أن هذا

المولود الجديد لعلم النفس (علم النفس الإيجابي) يحاول الوصول حسب سيلجمان (2002) إلى " تعديل ما هو أفضل في الطريقة العلمية للمشكلات النوعية الفردية التي تتعلق بالسلوك البشري في كل صيغ تعقيداته" (بلقندوز،2017، ص 159-160)

وعرف محمد أبو حلاوة (2014، ص 85) علم النفس الإيجابي بأنه " دراسة كافة مكامن القوة لدى البشر، دراسة كل ما من شأنه وقاية البشر من الوقوع في براثن الاضطرابات النفسية والسلوكية، إضافة إلى دراسة كل العوامل الفردية، الاجتماعية والمجتمعية التي تجعل الحياة الإنسانية جديرة بأن تعاش"

**7.السعادة**

يعتبر مفهوم السعادة مفهوما محوريا ورئيسا في علم النفس الإيجابي لما له من مكانة بارزة في تاريخ الفكر الإنساني، ولقد سعى الجميع في الثقافات المختلفة إلى السعادة بوصفها هدفا أسمى إلى للحياة لارتباطها بالحالة المزاجية، وبالرضا عن الحياة وجودتها، وتحقيق الذات والتفاؤل، والأمل والولاء حيث يرى كينج وباما Bama & king أن من أهم أهداف الإنسان في الحياة هي البحث عن السعادة، حيث تعتبر إلى جانب الرضا عن الحياة أكثر أهمية حتى من وفرة المال.

ويمكن تعريف السعادة بأنها " انفعال وجداني إيجابي ثابت نسبيا يتمثل في إحساس الفرد بالبهجة والسرور، وغياب المشاعر السلبية من خوف وقلق واكتئاب، والتمتع بصحة العقل والبدن، بالإضافة إلى الشعور بالرضا الشامل في كافة مجالات الحياة " (زروالي، 2016، ص 145)

ويرى سيلجمان في كتابه السعادة الحقيقية (2006، ص102) أن السعادة تحتوي على نوعين مختلفين تماما من الأشياء: المتع، والإشباعات والمتع هي مسرات لها مكونات حسية

وانفعالية واضحة وقوية، ما يسميه الفلاسفة الأحاسيس الخام: النشوة والإثارة، والسرور والمرح، والحيوية والراحة، إنها سريعة الزوال وتحتاج لقليل من التفكير، إن احتاجت لأي منه والإشباعات هي أنشطة تحب جدا أن تمارسها ولكن ليس شرطا أن تكون مصحوبة بأي مشاعر بدائية على الإطلاق، ولكن الإشباعات تستغرقنا تماما فنصبح مستغرقين فيها ونفقد الشعور بالذات، الاستمتاع بحوار عظيم، وتسلق الصخور، وقراءة كتاب جديد، والغطس كلها نماذج للأنشطة التي يتوقف فيها الوقت بالنسبة لنا، وتواجه مهاراتنا التحدي، ونصبح على اتصال بقدراتنا ونقاط قوتنا، والإشباع يعيش أطول من المتع، ويتضمن الكثير من التفكير والتفسير، ولا تعتاده بسهولة، وهو ما تحفزه قدراتنا وفضائلنا.

### 7. 1 مسارات السعادة

- للسعادة حسب سيلجمان وآخرون ثلاثة مسارات متميزة هي:
  - الانفعالات الإيجابية والاستمتاع (حياة البهجة والاستمتاع The) pleasant life.
  - الاندماج (حياة الاندماج The engaged life) التدفق والتعايش التام مع الحدث أو الموقف.
  - المعنى (الحياة ذات المعنى واضحة للغاية).
- التفاؤل الشخصي personal optimism كانفعال إيجابي أو كتوجه في الحياة، والمعنى الشخصي personal meaning كإطار عام يمكن الفرد من لمس دلالات الخبرات الحياتية بصورة إيجابية أهم من محددات السعادة الشخصية والرضا عن الحياة ومشاعر الإنجاز.

(دايدي، 2016، ص 91-92)

### 7. 2 خصائص الشخص السعيد

من خلال العديد من الدراسات تم تحديد أربع عشرة سمة تميز بها الأشخاص السعداء، يمكن لأي شخص أن ينميها في ذاته، وذلك إذا توافرت لديه المعلومات الكافية عنها والدافع لامتلاكها، وفيما يلي هذه السمات:

1) الدافعية والعمل المستمر. 2) تقدير قيمة العمل.

3) السيطرة على القلق. 4) التفكير بإيجابية وتفاؤل.

5) التمتع بشخصية ذات صحة جيدة. 6) تحقيق الذات.

7) التعاطف مع الآخرين. 8) تكوين علاقات اجتماعية.

9) التخطيط قبل القيام بالأعمال. 10) وضع حدود للطموحات.

11) التركيز على الحاضر. 12) التمتع بشخصية متفتحة واجتماعية.

13) الحد من المشاعر السلبية. 14) تقدير أهمية السعادة. (معمرية، 2012، ص 31)

**الدراسة الميدانية**

### 1. منهج الدراسة

تماشيا وأهداف الدراسة، فقد قمنا اتباع المنهج الوصفي المقارن باعتباره المنهج الملائم لهذا النوع من الدراسات والذي يهتم بوصف الظواهر وتقدير مدى وجود الظاهرة، ومن خلال هذه الدراسة، فإننا نحاول وصف وتقدير مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة

التعليم الثانوي، والكشف على الفروق في مستوى الشعور بالسعادة لدى كل من متغير الجنس والحالة الاجتماعية.

**2. حدود الدراسة**

**2. 1. الحدود المكانية:** أنجزت هذه الدراسة على مستوى مجموعة من الثانويات التابعة لولاية البويرة والمتمثلين في كل من ثانوية محمد المقراني، ثانوية متقن بربار عبد الله، ثانوية طالب ساعد، متقن العقيد أوعمران، ثانوية عماري أحمد.

**2 .2. الحدود الزمانية:** أجريت هذه الدراسة خلال الموسم الدراسي 2019/2018 خلال شهر أكتوبر 2018، حيث قمنا بتطبيق استبيان سلم السعادة.

**2. 3. الحدود البشرية:** تقتصر هذه الدراسة على أساتذة التعليم الثانوي.

**3. عينة الدراسة**

تكونت عينة دراستنا من 47 أستاذ وأستاذة، وذلك بواقع 21 أستاذ و26 أستاذة، تم اختيارهم بطريقة عشوائية.

**جدول رقم (01) يوضح: خصائص العينة من حيث الجنس**

| العينة | الجنس | | المجموع |
|---|---|---|---|
| | ذكور | إناث | |
| العدد | 21 | 26 | 47 |
| النسبة المئوية | 45% | 55% | 100% |

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الذكور بلغت 45% وهي أصغر من نسبة الاناث التي بلغت 55% مما يعني أن عدد الاناث في العينة أكثر من عدد الذكور وهذا راجع الى المؤسسة التعليمية التي يدرسون بها والتي يغلب عليها العنصر الأنثوي.

**جدول رقم (02) يوضح: خصائص العينة من حيث الحالة الاجتماعية**

| العينة | الحالة الاجتماعية | | المجموع |
|---|---|---|---|
| | أعزب | متزوج | |
| العدد | 21 | 26 | 47 |
| النسبة المئوية | 45% | 55% | 100% |

يتضح من خلال الجدول أن نسبة الأساتذة العزاب بلغت 45% وهي أصغر من نسبة الأساتذة المتزوجون التي بلغت 55%، مما يعني أن عدد الأساتذة المتزوجون في العينة أكثر من عدد الأساتذة العزاب وهذا راجع الى المؤسسة التعليمية التي يدرسون بها والتي يغلب عليها الأساتذة المتزوجون.

## 4. أداة الدراسة

### 1.4.استبيان سلم السعادة

لقد تم استخدام استبيان سلم السعادة الذي أعده كل من هيثر سامرز، آن واتسون ونشرتاه في كتابهما المعنون بـ: كتاب السعادة: أفكار رائعة لتحويل دفة حياتك (2006). يتكون هذا الاستبيان من 36 بند موزعة على ستة أبعاد بواقع ستة بنود لكل بعد والأبعاد هي في الحقيقة مستويات أو درجات من سلم الشعور بالسعادة وهي:

- البيئة المحيطة وتقيسها البنود من:1الى 6
- السلوك وتقيسه البنود من: 7 الى 12
- المهارات والامكانات وتقيسها البنود من: 13 الى 18
- القيم والمعتقدات وتقيسها البنود من: 19 الى 24
- الهوية وتقيسها البنود من: 25 الى 30
- الهدف وتقيسه البنود من: 31 الى 36

يجاب عن كل البنود ضمن أربعة بدائل هي: لا، قليلا، متوسطا، كثيرا. وتتراوح الدرجات عن كل بند من: 0 الى 3. بالتالي تتراوح الدرجة الكلية للاستبيان بين الصفر (لا يوجد شعور بالسعادة) و108 (أقصى شعور بالسعادة).

**تقنين الاستبيان:** تم تقنين استبيان سلم السعادة من طرف البروفيسور بشير معمرية (2012) وتم حساب الخصائص السيكو مترية لاستبيان سلم السعادة والتأكد من صدقه والذي تم حسابه بثلاث طرق (الصدق التمييزي، الصدق الاتفاقي، الصدق التعارضي)

وتم التأكد أيضا من ثباته والذي تم حسابه بطريقتين (طريقة اعادة تطبيق الاختبار، معامل ألفا).

وتبين من معاملات الصدق والثبات التي حصل عليها، أن استبيان سلم السعادة يتميز بشروط سيكوميترية مرتفعة على عينات من البيئة الجزائرية، مما يجعله صالح للاستعمال بكل اطمئنان، سواء في المجال النفسي أم مجال التشخيص العيادي. (معمرية، 2012، ص 93. 102).

**5. الأدوات الإحصائية**

تم الاستعانة بالبرنامج الاحصائي spss الذي تمكنا من خلاله من معالجة المعطيات المتحصل عليها، وذلك اعتمادا على الأدوات الإحصائية التالية:

- ✓ اختبار (ت) لدلالة الفروق لعينة واحدة، بقصد التعرف على مستوى الشعور بالسعادة لدى كل من أساتذة وأستاذات التعليم الثانوي.
- ✓ اختبار "ت" لعينتين مستقلتين قصد الكشف عن دلالة الفروق بين الذكور والاناث في مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي، وكذلك الكشف عن دلالة الفروق بين العزاب والمتزوجون في مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي.

**6. مناقشة النتائج على ضوء فرضيات الدراسة**

**6. 1.عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الأولى**

والتي مفادها أن مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي مرتفع.

وللتحقق من الفرضية قمنا بتطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة من أجل المقارنة بين متوسط درجات الأساتذة على استبيان سلم السعادة والمتوسط الافتراضي الناتج عن حاصل ضرب عدد بنود استبيان الدراسة في متوسط درجات البدائل (36×1.5=54)

**جدول رقم (03):** يبين نتيجة تطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة للمقارنة بين متوسط درجات الأساتذة على استبيان سلم السعادة والمتوسط الافتراضي.

| | عدد أفراد العينة | المتوسط الحسابي الملاحظ | المتوسط الافتراضي | الدلالة الإحصائية للفرق بين المتوسطين | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | الفرق بين المتوسطين | قيمة (t) | درجات الحرية (df) | مستوى الدلالة الإحصائية (sig) | القرار الاحصائي |
| مستوى الشعور بالسعادة لدى الأساتذة | 21 | 81.90 | 54 | 27.905 | 9.047 | 20 | 0.000 | دال |

من خلال الجدول يتضح لنا أن قيمة المتوسط الحسابي الملاحظ تُقدر بـ (81.90)، في حين قُدر المتوسط الافتراضي بـ (54)، وهي قيمة أقل من المتوسط الحسابي الملاحظ، حيث أن الفرق بين المتوسطين قد بلغ (27.905)، وهو ما يشير إلى وجود فروق بين المتوسطين، ويتأكد ذلك من خلال قيمة الاختبار "ت" والمقدرة بـ (9.047 )، عند درجة حرية (20)، والتي هي قيمة دالة عند مستوى الدلالة (sig) (0,000)، وهو ما يثبت وجود فروق بين المتوسطين الملاحظ والافتراضي، ومنه نقر بتحقق فرضية الدراسة والتي تشير إلى أن مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي مرتفع.

وقد اتفقت نتيجة دراستنا هذه مع ما توصلت إليه دراسة أحمد عبد الخالق وآخرون (2003) إلى أن الذكور حصلوا على متوسط أعلى في قائمة أكسفورد للسعادة (ياسين ومحمد، 2017، ص4)، ويرجع ارتفاع مستوى الشعور بالسعادة حسب الباحثان إلى

ووجود اهتمامات ومغزى للحياة، وشعور واضح بالهدف، ولأنهم متقبلون لجوهر شخصيتهم، وراضين بهويتهم ويعيشون حياة تتسق مع قيمهم، ويؤمنون بمعتقداتهم وهذا يعد عنصرا شديد الأهمية في منظومة السعادة، بالإضافة إلى ما يقومون به من أعمال والجوانب المحيطة بالعمل ونوع العلاقات المحيطة بهم، وإلى الإمكانات والمهارات.

### 6. 2عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثانية

والتي مفادها أن مستوى الشعور بالسعادة لدى أستاذات التعليم الثانوي مرتفع.

وللتحقق من الفرضية قمنا بتطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة من أجل المقارنة بين متوسط درجات الأستاذات على استبيان سلم السعادة والمتوسط الافتراضي الناتج عن حاصل ضرب عدد بنود استبيان الدراسة في متوسط درجات البدائل (36×1.5=54).

**جدول رقم (04)**: يبين نتيجة تطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة للمقارنة بين متوسط درجات الأستاذات على استبيان سلم السعادة والمتوسط الافتراضي.

| | | المتوسط الحسابي الملاحظ | المتوسط الافتراضي | الدلالة الإحصائية للفرق بين المتوسطين | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | عدد أفراد العينة | | | الفرق بين المتوسطين | قيمة (t) | درجات الحرية (df) | مستوى الدلالة الإحصائية (sig) | القرار الاحصائي |
| مستوى الشعور بالسعادة لدى | 26 | 85.38 | 54 | 31.385 | 13.658 | 25 | 0.000 | دال |

| | |
|---|---|
| الأستاذا ت | |

من خلال الجدول يتضح لنا أن قيمة المتوسط الحسابي الملاحظ تُقدر بـ (85.38)، في حين قُدر المتوسط الافتراضي بـ (54)، وهي قيمة أقل من المتوسط الحسابي الملاحظ، حيث أن الفرق بين المتوسطين قد بلغ (31.385)، وهو ما يشير إلى وجود فروق بين المتوسطين، ويتأكد ذلك من خلال قيمة الاختبار "ت" والمقدرة بـ (13.658 )، عند درجة حرية (25)، والتي هي قيمة دالة عند مستوى الدلالة (sig) (0,000)، وهو ما يثبت وجود فروق بين المتوسطين الملاحظ والافتراضي، ومنه نقر بتحقق فرضية الدراسة والتي تشير إلى أن مستوى الشعور بالسعادة لدى أستاذات التعليم الثانوي مرتفع.

ويرجع الباحثان هذا الشعور بالسعادة المرتفع لاستنادهن إلى هدف في الحياة ولتمتعهن بمشاعر إيجابية، كذلك لتعرفهن على أنفسهن داخليا وخارجيا على حد سواء، وتقبلهن لهويتهن، ووجود قيم متمثلة في أحكام معيارية مهمة لهن وحقائق يؤمّن بها، وتمتعهن بالإمكانات والمهارات وتحملهن مسؤولية أفعالهن وطريقة استجابتهن لمواقف الحياة اليومية، ولاستشعارهن ما حولهم من البيئة المحيطة.

### 6. 3.عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثالثة

والتي مفاداها أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى الى متغير الجنس لدى أساتذة التعليم الثانوي

وللتحقق من هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت" لعينتين مستقلتين وكانت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي

**الجدول رقم (05)**: نتائج اختبار "ت" لعينتين مستقلتين للكشف عن دلالة الفروق بين الذكور والاناث في مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي.

| مستوى | الجنس | حجم العينة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة اختبار "ت" | درجة الحرية | مستوى الدلالة (sig) | القرار الاحصائي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الشعور بالسعادة | ذكور | 21 | 81.90 | 14.135 | 0,923- | 45 | 0.361 | غير دالة |
| | إناث | 26 | 85.38 | 11.717 | | | | |

يبين الجدول أن قيمة المتوسط الحسابي للذكور بلغ (81.90) بانحراف معياري قدره (14.135) في حين بلغت قيمة المتوسط الحسابي للإناث (85.38) بانحراف معياري قدره (11.717)، وقدرت قيمة الاختبار "ت" بـ (0,923-) وبدرجة حرية مقدارها (45)، وبما أن قيمة مستوى الدلالة (sig) تساوي (0,36) وهي أكبر من (0.05) اذن قيمة "ت" غير دالة وبالتالي نقر بقبول الفرضية الصفرية والتي تنص على عدم وجود فروق دالة بين الذكور والاناث في مستوى الشعور بالسعادة

ومنه نستنتج انه لا توجد فروق ذات دالة احصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى الى متغير الجنس.

وقد اتفقت نتيجة دراستنا مع بعض نتائج الدراسات الأخرى، والتي من بينها نجد ما توصلت إليه دراسة أجريت بمصر على 287 فردا، منهم 169 ذكرا و109 إناث تبين منها عدم وجود فروق بين الجنسين في الشعور بالسعادة والرضا عن الحياة.

وأيضا دراسة قام بها سكوت J.P. Scott 1980 على 332 من الشباب والكبار (71 ذكرا، 261 أنثى) للتعرف على الفروق بين الجنسين في الشعور بالسعادة وتبين من خلال نتائجها عدم وجود فروق بين الجنسين في الشعور بالسعادة.

وهذا ما يتفق أيضا مع دراستين لهوبنر E. Huebner 1991 وكانت الدراسة الأولى على 254 من طلاب وطالبات الجامعة والدراسة الثانية على 79 طفلا، وأظهرت نتائجهما عدم وجود فروق بين الجنسين في الشعور بالسعادة، وفي دراسة قام بها كل من س. هونغ، إ. جيانا كوبولوس S.hong & E. Giannakopoulos 1994 على 794 أستراليا من الجنسين، جامعيين وغير جامعين، تبين من نتائجهما عدم وجود فروق بين الجنسين في الرضا عن الحياة.

وكذلك في دراسة بريطانية سئل 3077 راشدا، كم من الوقت قضوه أمس وهم سعداء الحال؟ تبين من نتائجها عدم وجود فروق بين النساء والرجال. (معمرية، 2011، ص 20-21)

ونجد أيضا دراسة قامت بها جودة 2007 بدراسة عدد من المتغيرات التي ترتبط بالسعادة، وكشفت النتائج عن عدم وجود فروق في مستوى السعادة بين الطلاب والطالبات، وقامت أيضا جودة وأبو جواد 2011 بدراسة أوضحت عدم وجود فروق على مقياس السعادة تعزى إلى الجنس (إناث، ذكور). (جودة وأبو جواد، 2011، ص 132)

### 6. 4.عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الرابعة

والتي مفاداها أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى الى الحالة الاجتماعية لدى أساتذة التعليم الثانوي

وللتحقق من هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت" لعينتين مستقلتين وكانت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي:

**الجدول رقم (06)**: نتائج اختبار "ت" لعينتين مستقلتين للكشف عن دلالة الفروق بين العزاب والمتزوجين في مستوى الشعور بالسعادة لدى أساتذة التعليم الثانوي.

| مستوى | الجنس | حجم العينة | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة اختبار "ت" | درجة الحرية | مستوى الدلالة (sig) | القرار الاحصائي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الشعور بالسعادة | العزاب | 21 | 81.71 | 14.826 | 1,017- | 45 | 0.315 | غير دالة |
| | المتزوجين | 26 | 85.54 | 10.959 | | | | |

يبين الجدول أن قيمة المتوسط الحسابي للعزاب بلغ (81.71) بانحراف معياري قدره (14.826) في حين بلغت قيمة المتوسط الحسابي للمتزوجين (85.54) بانحراف معياري قدره (10.959) وقدرت قيمة الاختبار "ت" بـ ( 1.017-) وبدرجة حرية مقدارها (45)، وبما أن قيمة مستوى الدلالة (sig) تساوي (0,31) وهي أكبر من (0.05) اذن

قيمة "ت" غير دالة وبالتالي نقر بقبول الفرضية الصفرية والتي تنص على عدم وجود فروق دالة بين العزاب والمتزوجين في مستوى الشعور بالسعادة.

ومنه نستنتج انه لا توجد فروق ذات دالة احصائية في مستوى الشعور بالسعادة تعزى الى متغير الحالة الاجتماعية لدى أساتذة التعليم الثانوي.

وقد اختلفت نتيجة دراستنا مع الدراسة المسحية التي قام بها مركز البحوث للآراء القومية على 35000 أمريكي خلال ثلاثين عاما، تبين منها أن 40% من المتزوجين قالوا إنهم سعداء جدا، بينما 24% من غير المتزوجين والمطلقين والمنفصلين والأرامل قالوا كذلك نفس الشيء، واختلفت أيضا مع دراسة ديفيد ميرز D.Myres 2000 التي توصلت إلى أن المتزوجين أكثر سعادة ورضا عن حياتهم ممن من لم يسبق لهم الزواج ومن المطلقين، وإذا ما قارنا النتائج التي تحصلنا عليها في دراستنا بين العزاب والمتزوجين نجد أن الفروق بينهما ليست كبيرة جدا فهي تعتبر ضئيلة. (معمرية، 2012، ص 58-60)

وفي دراسة أجرتها (شيخي، 2013) في الجزائر حول جودة الحياة توصلت إلى عدم وجود فروق بين الأساتذة تبعا للحالة الاجتماعية (أعزب، متزوج، مطلق). (ص 141)

واتفقت مع نتائج دراسة بركات (1998) والتي كانت حول العلاقة بين سيكولوجية التفاؤل والتشاؤم وبعض المتغيرات وخلصت نتائج الدراسة إلى الى عدم وجود نتائج جوهرية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية. (نصر الله،2008، ص58)

ونرجع نتيجة دراستنا إلى وجود مصادر مشتركة من البيئة المحيطة والتي تشكل الثانويات التي يعملون بها، كذا السلوك والمقصود به العمل الممارس والتي تعبر عنه مهنة التدريس التي يقومون بها وهدف التدريس، التي كان معبرا عنها من خلال إجاباتهم على استبيان السعادة.

## 7.استنتاج

من خلال تناولنا لموضوع الفروق بين الجنسين في الشعور بالسعادة، وما توصلنا إليه من نتائج في هذه الدراسة ألا وهو عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين، بحيث توصلت النتائج إلى أن كلا من الأساتذة والأستاذات يتمتعون بمستوى مرتفع من الشعور بالسعادة، ولا توجد فروق ذات دالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس (ذكر، أنثى)، كما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية (متزوج، أعزب)، ونرجع النتائج التي توصلنا إليها إلى الجوانب المحيطة بالعمل وبالبيئة المحيطة واشتراكهم في ممارسة سلوك واحد متمثل في مهنة التدريس، وتمتعهم بالمهارات والإمكانات اللازمة والسعي لتنمية مهاراتهم، بالإضافة إلى وجود هدف ومغزى في الحياة، والمشاعر الإيجابية، كما لا ننسى اشتراكهم في الامتثال لأخلاقيات المهنة الخاصة بطبيعة عملهم وأداءهم المهني، والمعتقدات التي ترجع للبيئة التي يعيشون فيها، وتحقيقهم لذاتهم، وكل هذه الأخيرة كانت عوامل مشتركة ساهمت في ألا تكون هناك فروق بين الجنسين في الشعور بالسعادة.

## قائمة المراجع

-آمال جودة وحمدي أبو جواد. (2011). التنبؤ بالسعادة في ضوء التفاؤل والأمل لدى عينة من طلبة جامعة القدس المفتوحة. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات. العدد 24. المجلد 2. ص129-162.

-بشير معمرية. (2011). تقنين قائمة السعادة الحقيقية على عينات من البيئة الجزائرية. دراسات نفسية. المجلد 2. العدد 6. مركز البصيرة للبحوث والدراسات. ص 9-47

-بشير معمرية. (2012). دراسات في علم النفس الإيجابي ج1. ط1. الجزائر: دار الخلدونية.

-بن قمقوم صبرينة. (2017). اتجاه أساتذة التعليم الثانوي نحو المنهاج الدراسي في ظل المقاربة بالكفاءات وعلاقته بدافعيتهم للتدريس. مجلة تطوير العلوم الاجتماعية. المجلد 10. العدد 2. جامعة الجلفة. ص 1-12.

-حمدي محمد ياسين ونورهان طارق محمد. (2017). الرحمة بالذات والسعادة محددات الذكاء الروحي لدى التلاميذ المكفوفين، مجلة البحث العلمي في التربية. العدد 18. جامعة عين الشمس. ص 1-20.

-زينب بلقندوز. (2017). الوقاية قضية جوهرية في تطور علم النفس الإيجابي وتعزيز الصحة النفسية، مجلة العلوم الاجتماعية. المركز الديموقراطي العربي، العدد 2. برلين، ألمانيا. ص 157-163.

-شيخي مريم. (2013). طبيعة العمل وعلاقته بجودة الحياة دراسة ميدانية في ظل بعض المتغيرات. ماجستير. الانتقاء والتوجيه. جامعة تلمسان.

-عبد الناصر عبد الرحيم محمد قدومي. (2015). التفاؤل وجودة الحياة والسعادة لدى طلبة العلوم الشرطية والعسكرية والأمنية. المجلة العربية للدراسات الأمنية. المجلد 33.العدد 71. الرياض. ص 191-224

-كامل حسن كتلو. (2015). السعادة وعلاقتها بكل من التدين والرضا عن الحياة والحب لدى عينة من الطلاب الجامعيين المتزوجين. دراسات العلوم التربوية. المجلد 42. العدد 2. ص 161-679

-مارتن سليجمان. (2006). السعادة الحقيقية: استخدام علم النفس الإيجابي الحديث لتحقيق أقصى ما يمكنك من الإشباع الدائم. الرياض: مكتبة جرير.

-محمد سعيد أبو حلاوة. (2014). علم النفس الإيجابي: ماهيته ومنطلقاته النظرية وآفاقه المستقبلية. الإصدار المكتبي لمؤسسة العلوم النفسية العربية. الإصدار الرابع والثلاثون. مصر. ص 1-95.

-مريم دايدي. (2016). مفهوم نوعية الحياة من خلال علم النفي الإيجابي. مجلة تطوير العلوم الاجتماعية. المجلد الأول. العدد 15. جامعة الجلفة. ص 87-100.

-مصطفى خليل محمود عطا الله وفضل إبراهيم عبد الصمد. (2013). علم النفس الإيجابي وتأثيره في الممارسات والخدمات النفسية. جامعة المنيا.

-نوال خالد حسن نصر الله. (2008). أنماط التفكير السائدة وعلاقتها بسيكولوجية التفاؤل والتشاؤم. رسالة ماجستير في المناهج وطرق التدريس. كلية الدراسات العليا. جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

-وسيلة زروالي. (2016). دور علم النفس الإيجابي في تأكيد إنسانية الإنسان. مجلة العلوم الإنسانية، العدد 5. جامعة أم البواقي. ص 139-158.

**دراسة مفتاحية للرسائل المحمدية**

**الأستاذ الدكتور محمد موسوني**

**جامعة تلمسان –الجزائر–**

**تاريخ الإيداع: 2019/02/26 م تاريخ التحكيم: 2019/03/01م تاريخ القبول: 2019/03/04م**

لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في أمة أمية وقد نص على ذلك القرآن الكريم لقوله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ الجمعة 2.

ولكن كتابا أفاضل محدثين يذهبون إلى أن العرب في الجاهلية لم يكونوا على هذه الأمية، ومن هؤلاء الدكتور "حسين نصار" الذي يرى أن هذه الكتابة كانت منتشرة في البلاد العربية وأن التجارة كانت العامل الأول الذي أظهر الكتابة في بلاد العرب. ولذلك نجدها منتشرة حيث توجد التجارة[1].

وقد كثر ذكر الكتابة في الشعر الجاهلي كما جاء في القرآن أيضا فالقرآن يحث على تدوين الديون والمعاملات التجارية وغيرها مما يدل على أن الكتابة كانت شائعة عندهم يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ**﴾ سورة البقرة الآية 282.

حقا لا نجد من المؤرخين من ينكر معرفة العرب للكتابة باعتبارها وسيلة من وسائل تسجيل بعض شؤون حياتهم وما كان في وسعهم أن ينكروا معرفتهم الكتابة على هذا المستوى على الأقل في بعض بيئاتهم وخاصة الحضر[2].

وقد ظهر الإسلام وكان للعرب قلم يكتبون به، ومنهم من يقرأ ومنهم من يكتب، فقد ذكر البلادي أن الإسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلا يكتب منهم: "عمر وعلي، وعثمان، وأبو عبيدة، وطلحة، وأبو سفيان، معاوية... وغيرهم"[3]. ويمكن القول إن الكتابة أصبحت سنة عند المسلمين وذلك تلبية لأمر رسولهم صلى الله عليه وسلم حيث جعلها حقا للولد على أبيه فقد قال صلى اله عليه وسلم: "من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة وأن يحسن اسمه، ز أن يزوجه إذا بلغ". ونظرا لحاجة الرسول صلى الله عليه وسلم للكتابة، فقد اتخذ كتابا له بعضهم يكتبون الوحي، وآخرون يكتبون بين يديه في أمور الناس عامة والمسلمين خاصة.

ونرى من ذلك أن الكتابة أخذت تستخدم استخداما واسعا لا في كتابة القرآن الكريم فحسب بل في كتابة كثير من شؤون المسلمين وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يكتب كثيرا من عهود الأمان ومن المعاهدات كما كان يكاتب الأمراء والملوك من العرب وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام[4] .

حرص الرسول صلى الله عليه وسلم كل الحرص على دخول الناس في دين الله، فما ترك وسيلة يبلغ بها رسالة ربه عز وجل إلى القريب والبعيد إلا سلكها. وكانت رسائله إلى الملوك والأمراء هي الانطلاقة الأولى في عصره للعبور بالدين الإسلامي من جزيرة العرب إلى آفاق العالم المعروفة آنذاك[5].

فقد كتب إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، والنجاشي، وملوك الإسكندرية والبحرين وغيرهم، كما كتب عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه وقادة عساكره، وكان لتلك الرسائل دور كبير في تعميم الإسلام ونشره وتبليغه للناس.

وبعد، فما هي المكانة التي تتبوؤها رسائل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ضمن الإطار العام للرسالة الفنية وما هي المميزات التي تنفرد بها عن غيرها من الرسائل:

أ- طبيعة الرسائل النبوية:

بدأ ظهور الرسائل في صدر الإسلام بالرسالة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لعبيد بن جحش في سريته المعروفة، وتوالت بعد ذلك المعاهدات والأحلاف بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين، كما توالت الرسائل بينه وبين قواده وأمرائه وبينه وبين المشركين وبين ملوك الدولة المجاورة(6).

وقد اتخذ نبي الله كتابا يكتبون له وسبب ذلك أنه كان أميا لقوله تعالى:﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ الجمعة: 2.

ويقال إنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون كاتبا منهم: أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب(7) ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الملوك والأمراء قيل له: إنهم لا يقرؤون كتابا إلا إذا كان مختوما، فاتخذ خاتما من فضة، نقش عليه (محمد رسول الله)، وكان النقش ثلاثة أسطر. جاء لفظ الله في الأعلى الدائرة، في الوسط كلمة (رسول) وفي الأسفل كلمة (محمد) فكأنك تقرؤه من الأسفل إلى الأعلى وقد حفرت الأحرف على القصب معكوسة الكتابة، فعندما يختم به يغطي المداد دائرة على الرق فتظهر الأحرف المحفورة بشكل صحيح، والظاهر أن الحكمة من تعدد الأسطر كون الفص مستديرا، ولو كانت سطرا، لكان مستطيلا لكثرة الحروف عن أنس رضي الله عنه قال: "كان نقش خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر"(8).

وكما كان لديه كتاب لرسائله كان لديه رسل لحمل الرسائل نذكر منهم: حاطب بن أبي بلتعة اللخمي: إلى المقوقس بمصر، شجاع بن وهب الأسدي: إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام، دحية بن خليفة الكلبي: إلى قيصر ملك الروم، سليط بن عمرو

العامري: إلى هوذة بن علي الحنفي وإلى كسرى ملك فارس، عمرو بن أمية الضمري: إلى النجاشي ملك الحبشة، العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين[9].

فقد اختار لسفاراته سفراء من أعقل الناس، وأحسنهم حديثا، وأطلقهم لسانا، فبعث كل رسالة مع أريب يحسن القول وإيراد الحجة والإجابة، فكان كل منهم حكيما جاء من عند حكيم، ولم يكن اختلاف اللغات عائقا فقد كثر اختلاط العرب ولاسيما التجار بالروم والفرس والأحباش والأقباط، إضافة إلى ازدهار بلاط الملوك بالمترجمين والدال على ذلك أن هرقل استدعى الترجمان وذكرت المصادر أن المقوقس دعا كاتبا يعرف العربية لكتابة الرد على الرسالة[10].

ويتطلب اختيار المرسل رسوله حتى يكون عند ذوي العقول لبيبا ومن الصواب قريبا، فقد كان يقال "ثلاثة تدل على أهلها: الهدية على المهدي، والرسول على المرسل، والكتاب على الكاتب". وكان يقال: رسول المرء مكان رأيه، وكتابه مكان عقله، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل الوافد عن اسمه، فإن كان حسنا تفاءل به وأعجبه وإذا كان مكروها غيره، وعلى الذي تؤدى إليه الرسالة أن يسمعها ولا يلوم الرسول إن أغلظ له فيها فليس على رسول لوم، فإن أحب أن يقابله بمثل رسالته[11].

إن في بطون كتب التاريخ والأدب ترد غير الرسالة أسماء أخرى تكاد تنحصر في ثلاثة هي: "الكتاب، العهد والوصية"، واعتمادا على الاستقراء التاريخي والعرف الإستعمالي أن الرسالة والكتاب أوسع الإطلاقات مدلولا، وأن أغلب استعمالها في "مكتوب" يحمله رسول إلى شخص بعيد عن المرسل، فالرسائل في صدر الإسلام وهو صدر كما هو معروف يبدأ منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وينتهي ستة 40هـ بانتهاء آخر يوم من أيام الخلافة الراشدة[12] .

إن عصر صدر الإسلام هو عصر ازدهر بنزول القرآن، ونضره الله بمعجزة الدين والأدب والبيان، وشاهد ما شاهد من جلال الرسالة وعظمتها، ومن فخائر الدعوة وعزتها،

ومن مجد الدولة الإسلامية وقوتها، وكان معجزة من معجزات الخالق الأكرم وآية من آيات صدق الرسول العربي الأعظم(13).

إن الإسلام أتى فاتحا لا غازيا، جامعا للشمل لا مفرقا أساسه القيم الإنسانية التي تهدف إلى بث روح الأخلاق والمثل العليا والعلاقات المختلفة، واعتمد منطق هذه العلاقات على ركيزتين أساسيتين: الركيزة الأولى: مستمدة من قوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ النحل 125. الركيزة الثانية: وهي مستمدة من قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ الحج 39.

فإذا لم يأت الأسلوب الأول بالنتيجة المثمرة فالحرب هي الدواء المر الذي لا منجى منه ولا هروب، على حد قول الشاعر:

**وَالنَّاسُ إِنْ ظَلَمُوا البُرْهَانَ وَاعْتَسَفُوا فَالحَرْبُ أَجْدَى عَلَى الدُّنْيَا مِنَ السِّلْمِ**

وكل هذه العلاقات –الجديد منها وما كان له جذور وأصول قديمة في حالتي السلم والحرب – كانت "الكتابة" في شكل رسائل وعهود وتوصيات ومعاهدات وسيلة من وسائل تحديدها أو تطويرها(14).

قال ابن إسحاق في حديثه عن الزهري: لما جاء سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

كلمه وطال بينهما الكلام، فلما التام الأمر ولم يبق إلا الكتاب دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، فكتبنا، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد (رسول الله) سهيل بن عمرو، قال فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك وفي رواية البخاري فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله، وفي رواية له ولمسلم: فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي "امحه"،

فقال: ما أنا بالذي أمحوه، فقال عليه السلام لعلي: أرني مكانها، فأراه مكانها فمحاه وكتب محمد بن عبد الله [15] .

وقد تضمن نص الحديبية شروطا عدة منها:

1- هدنة عشر سنوات.

2- حق قريش في أن يرد محمد من جاءه منها مسلما، وليس لمحمد مثل هذا الحق.

3- حرية الدخول في حلف مع أي من الطرفين.

4- رجوع محمد هذا العام وعودته لزيارة البيت الحرام في العام التالي.

5- الالتزام بحسن النوايا وتجنب الخيانة والغدر[16].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الصلح أبعد نظرا، وأثقب فكرا من المسلمين ومن المشركين جميعا، كان هذا العمل المبارك الجليل فتحا حقيقيا كما ذكر القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾. الفتح 01.

ويلحق بهذا اللون من الكتب (كتب الصلح والمعاهدات)، كتبا أهم بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى شخصيات ذكرت في التاريخ على سبيل الحصر وفيها يدعوهم إلى الإسلام. ويلفت نظرنا إلى هذه الكتب أمران:

**الأول**: أن أغلبها بعث إلى ملوك وأمراء وحكام وذوي مناصب عليا في بلادهم.

**الثاني**: أن أغلب هذه الكتب كان في العام السادس من الهجرة أو ما بعدها في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. واختار من أصحابه رسلا لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك، وقد جزم العلامة المنصور فوزي أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل هؤلاء الرسل غرة المحرم سنة سبع من الهجرة قبل الخروج إلى خيبر بأيام، وفيما يلي إشارات إلى بعض هذه الكتب، وبعض تمخضت عنه[17].

نص رسالة النبي إلى النجاشي: "بسم الله الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة ، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد –فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتوقن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله صلى الله عليه وسلم . وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى"[18].

فنجده في هذه الرسالة وغيرها قد دعا إلى توحيد الخالق عز وجل وهذا ما نجده ظاهرا متجليا من خلال عرضنا لرسائله حيث يقول في رسالة للنجاشي: "إني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته" ومثلها إلى كسرى يقول: "آمن بالله"، "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[19].

وفي رسالة إلى الحارث بن أبي الشمر الغساني يقول: "فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له"، وفي رسالته الثانية إلى المتدربين ساوى دعوة إلى وجوب توحيد الله حيث يقول "إنني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره وأشهد أن لا إله إلا الله"[20].

وفي رسالة إلى الحارث ومسروح ونعيم بني عبد كلال الحميري قال: "سلم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله، وأن الله وحده لا شريك له" أخيرا نذكر رسالته إلى الأكثم بن صيفي قال فيها: "إن الله أمرني أن أقول: لا إله إلا الله، أقولها وآمر الناس بها"[21].

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في مقام مخاطبة ومراسلة اليهود وتانصارى فقد كان تغيير معتقداتهم ذلك أن اليهود قالت "عزير بن الله" وقالت النصارى: "الله ثالث ثلاثة"، عيسى ابن الله، هذا ما ورد في رسالته إلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كلال الحميري[22].

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رسائله آيات من الذكر الحكيم تبين وجوب الإيمان بالله وحده لا شريك له، قال رسول الله في رسائله، قال الله تعالى:﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ**

**الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)** ﴾ آل عمران 64.

وفي تفسير هذه الآية يتجسد لنا ما سبق ذكره، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** ﴾ أي قل لهم يا معشر اليهود والنصارى، هلموا إلى كلمة عادلة مستقيمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض: ﴿ **أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** ﴾ أي نفرد الله وحده بالعبادة ولا نجعل له شريكا: ﴿ **وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ أي لا يعبد بعضنا بعضا كما عبد اليهود والنصارى عزيرا وعيسى، وأطاعوا الأحبار والرهبان فيما أحلوا لهم وحرموا[23].

وفي تفسير ابن كثير في جزء من هذه الآية : ﴿ **أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** ﴾ قال: أي لا وثنا ولا صليبا، ولا صما، ولا طاغوتا، ولا نارا ولا شيئا، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له[24].

وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعيد في رسائله، فإذا ما أرسلها إلى مسيحي أكثر من الآيات النازلة في حق عيسى، كرسالته إلى النجاشي، وإذا ما أرسلها لأحد من اليهود ربط نفسه وموسى عليه السلام مثل كتابه إلى يهود خيبر[25].

وفي هذا المقام نجد في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر أنه تحدث عن كتابهم المنزل وهو التوراة في قوله:"يا معشر يهود وأهل التوراة" ذلك أن القرآن الكريم تحدث عن قصص الغابرين وكتبهم، ويتجلى قليل من ذلك في الآية الكريمة التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في رسالته هذه إذ قال تعالى:﴿ **ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ** ﴾ الفتح 29. فالإنسان المسلم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى من كتاب، وما أتى بعض رسله من صحف وأنها كلام الله أوحاه إلى رسله، ليبلغوا عنه شرعه

ودينه وأن أعظم هذه الكتب، الكتب الأربعة "القرآن الكريم" المنزل على نبينا محمد و"التوراة" المنزل على نبي الله موسى عليه السلام، و"الزبور" على نبي الله داود عليه السلام و"الإنجيل" المنزل على عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام وأن القرآن الكريم أعظم هذه الكتب والمهيمن عليها والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها. قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ**﴾ النساء 136.

وقال سبحانه: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2 (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ(3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ**﴾ آل عمران 2-3-4.

وقال تعالى:﴿ **وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ الإسراء 55.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (18 (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ(19)** ﴾ الأعلى 18-19[26].

لقد كان صلى الله عليه وسلم لا يحيط بوصفه واصف إنه شمس الهداية والرحمة للناس أجمعين مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾ الأحزاب 45-46. فأنار الكون برسائله ودينه وتوضيح عقائده، وهذا ما مثلته رسائله ( إلى المنذر بن ساوى. فقد كتب له الرسالة الأولى داعيا إياه إلى الإسلام، أما الرسالة الثانية فيحدد فيها الموقف من اليهود والمجوس إذ ورد فيه: "و من أقام على يهوديته أو على مجوسيته فعليه الجزية"[27]. وقد ذهب ابن القيم مع طائفة من العلماء إلى جواز أخذ الجزية من كل إنسان يبذلها، سواء كان كتابيا أم غير كتابي، كعبدة الأوثان من العرب وغيرهم[28]، وقد شرع الرسول صلى الله عليه وسلم أمورا عدة في رسائله إلى الملوك والأمراء منها:

– استحباب بدء الكتب بـ: بسم الله الرحمن الرحيم.

– جواز كتابة من القرآن الكريم في كتاب وإن كان هذا الكتاب موجها للكافرين، وفي الرسائل جواز قراءة الكافر لآية أو أكثر من القرآن الكريم، لأن كتب رسول الله احتوت على بسملة وغيرها، وفيها جواز قراءة الجنب لآية أو أكثر من القرآن الكريم لأن هذا الكافر الذي أرسلت إليه الرسالة وتضمنت البسلمة وغيرها لا يحترز من الجنابة والنجاسة.

– مشروعية إرسال السفراء المسلمين إلى زعماء الكفر لأن كل كتاب كان يكتبه الرسول صلى الله عليه وسلم يكلف رجلا من المسلمين يحمله إلى المرسل.

– مشروعية الكتاب إلى الكفار في أمر الدين والدنيا[29].

وأمور عدة شرعها وأوضعها عليه الصلاة والسلام أسهمت في تحقيق الغاية المثلى سنخوض فيها بشيء من التفصيل فيما يأتي من كلام عن رسائل خير الأنام.

إن نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يمتاز بالعقل الكامل، والعلم الواسع، بجمع مصالح الدين والدنيا إنه يناجي الإنسان في ضميره ويناقشه في عمله، ويزوده بقيم الحق والخير والجمال ويبين له سمو جوهره، وأهمية رسالته في الحياة وزينته للأمور بميزات دقيقة وصدق الله العظيم إذ يقول:﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ** ﴾ النجم 3-5[30].

**ب– منهج رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم.**

لم تكن رسائل النبي صلى الله عليه وسلم مؤرخة بتاريخ، إذ لم يكن ثمة تاريخ معتمد أو متفق عليه بين العرب، ومع اتفاق المؤرخين على أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بإرسال الرسائل حين رجوعه من الحديبية فثمة اضطراب في الروايات التي ذكرت تاريخ إرسالها[31].

إلا أننا لابد أن نقر أن إرسال الرسول لبعوث وموفدين للملوك والأمراء داخل الجزيرة وخارجها، هو حقيقة واقعية تؤيدها كل المصادر والقرائن والدلالات، وتحتمها طبيعة

الدعوة وما لها من صفة العمومية والشمول بحيث لا يمكن أن تقتصر الدعوة إلى هذا الدين على قوم دون قوم، على أن لابد من ملاحظته بمناسبة ما يرد حول هذا الموضوع عند المؤرخين القدماء أو المحدثين هو أن تداخل الروايات، واختلاط الأحداث سبب التواتر الشفوي، قد بدت كلها إلى صورة مشوهة لما جرى ينقصها الضبط، ويتداخل فيها حادث بحادث أو موضوع لموضوع سيما إذا كان الحادثان متقاربان موضوعا أو تتشابه فيهما بعض التفاصيل(32).

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم —منهج خاص فيما يتعلق بشكل كتبه ورسائله، أو بتعبير آخر أكان له ما يمكن أن نسميه "تقاليد كتابية" في طريقة بدأ الرسالة وإنهائها وتوعية العبارات المستخدمة في مخاطبة الآخرين وصورة الإشهاد. وسنحاول في السطور الآتية الإجابة عن هذا السؤال. فمن خلال رسائله صلى الله عليه وسلم نلاحظ فيها من الناحية الشكلية والمنهجية المعالم الآتية:

1- **افتتاح الرسالة بالبسملة:** فمن جهة الشكل الخارجي فقد لوحظ أن الرسائل والمعاهدات والعقود قد خلت من مظاهر التبجيل والتفخيم، فلم يذكر من الصفات والألقاب، إلا ما استدعت الحاجة إليه تعبيرا عن واقع الحال ليس غير. كما لوحظ أن من خواص الكتابة لهذا العصر تجنب التأنق في المطالع والخواتم، فقد كان العرب في الجاهلية يكتبون أول الكتب "باسمك اللهم"(33).

وقد روى الرواة في تعليل ذلك قصة سنوجزها فيما يلي، ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس، وأخبار من سلف كابن داب ، والهيثم بن عدي، ومحمد بن السائب الكلبي: أن السبب في كتابة قريش واستفتاحها في أوائل كتبها باسمك اللهم، هو أن أمية بن الصلت الثقفي خرج إلى الشام في نفر من ثقيف، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم، إذ وهم في طريق العودة تعرضوا إلى بلاء عسير من طرف امرأة عجوز تسببت في نفور إبلهم، مما دعا أمية بن أبي الصلت إلى استشارة أحد رجال الكنيسة، فقال: ذاك خطيب الجن، ثم

قال: إذا جاءتكم وفعلت ما كانت تفعل، فقولوا لها: "سبعا من فوق، وسبعا من أسفل: باسمك اللهم" فإنها لن تشركم، وفعلا كان ذلك –فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث فكتبت قريش في أول كتبها "باسمك اللهم: فكان أول ما كتبها أهل مكة، في رواية: كان أمية أول من كتب "باسمك اللهم" إلى أن جاء الإسلام فكتب "بسم الله الرحمن الرحيم"[34].

وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وهذا ما رأيناه في حديثنا من صلح الحديبية عندما كتب عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام "بسم الله الرحمن الرحيم: فقال عمرو بن سهيل لا أعرف هذا ولكن أكتب "باسمك اللهم" فكتبها[35].

ونقل بعضهم عن الشعبي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح كتبه بعبارة باسمك اللهم، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ ... **بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا...** ﴾ هود 41.
فكان الافتتاح "باسم الله ما شاء الله" ثم أنزلت ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ**﴾ الإسراء 110، فكتب "باسم الله الرحمن" فجرت بذلك ما شاء الله، ثم نزلت ﴿ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**﴾ النمل 30[36].

فلما نزلت هذه الآية الكريمة قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها صدر الكتاب فجعلت، وهذا يعني أن افتتاح رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمراحل الآتية:

أ- باسمك اللهم وهي العبارة التي كانت سائدة فيا لجاهلية.

ب- بسم الله ما شاء الله.

ج- بسم الله الرحمن .

د- بسم الله الرحمن الرحيم.

والخلاصة أن البسملة تكاد السمة الأساسية في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم. والمراحل الثلاث الأخيرة التي يمكن أن نسميها مراحل إسلامية ارتبطت بنزول آيات قرآنية كانت هي السبب في انتقال النبي من افتتاح إلى آخر استقر الأمر على بسم الله الرحمن

الرحيم ولم يرد في رواية صحيحة أنه استهل واحدا من كتبه بعبارة "باسمك اللهم: فقط نستثني منه ما حدث يوم الحديبية، وذلك ظرف خاص وهو لا ينقض القاعدة أو العهد.

لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استهل كتبه بجزء من البسملة مثل: بسم الله، بسم الرحمن، وإنما البسملة كاملة أو محذوفة برمتها[37].

2- **ذكر طرفي الكتاب**: وهي لازمة من لوازم الكتب جميعا تستوي في ذلك كل ألوان الكتب على اختلاف موضوعاتها وأطرافها:

أ- ففي المعاهدات وكتب الصلح: "هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب..."، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو".

ب- في كتب الإقطاع والأمان: "هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين"، "هذا كتاب من محمد رسول الله لبني صخرة بأنهم آمنون...". وفي كتبه إلى الملوك والحكام والعمال: "من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم..." [38].

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح أكثر رسائله بلفظ من محمد رسول الله إلى فلان وكان يصرح في الغالب باسم المكتوب إليه في أول المكاتبات وربما اكتفى بشهرته، فإذا كان المكتوب إليه ملكا كتب بعد اسمه صلى الله عليه وسلم ، عظيم القوم الفلانيين، وربما كتب ملك القوم الفلانيين، وربما كتب صاحب مملكة كذا[39].

وهذا ما نجده مجسدا في رسالته على سبيل المثال لا الحصر: إلى قيصر ملك الروم: فيقول: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم"[40].

ونجد ذلك في بقية رسائله إلى الملوك والأمراء كمراسلته إلى المقوقس عظيم مصر، والنجاشي وغيرهم، ونسجل في هذا المقام ملاحظتين: الملاحظة الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر اسمه قبل الطرف الآخر أي أن يكون اسم المرسل المرتبة الأولى عز وجل رسله أفضل خلقه، وأخبر أنهم اصطفاهم على العالمين، وقال ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ**

**رِسَالَتَهُ...** ﴾ الأنعام 124، وكما قال أيضا ﴿ ... **فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ النحل 35.

الملاحظة الثانية: أن يذكر دائما اسمه إما بوصف الرسالة أو بوصف النبوة، من محمد رسول الله كرسالته إلى كسرى ملك الفرس، بعد البسملة يذكر محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. من محمد نبي الله كرسالته صلى الله عليه وسلم إلى أساقفة نجران، فإذن كان يقترن اسمه محمد بالرسالة محمد رسول الله، أو النبوة محمد النبي، مثل ما أشرنا إليه في هذين المثالين ونادرا ما جمع بين وصف الرسالة والنبوة وذلك ما كان في رده على خالد بن الوليد من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو[41]. فما ينبغي الإشارة إليه أن رسائل النبي صلى الله عليه وسلم كانت مقترنة بالرسالة أو النبوة، ولم يأتي اسمه مجرد إلا لضرورة، أما الرسائل أو الكتب الموجهة إليه عليه الصلاة والسلام فهي بالنظر إلى أطرافها أنواع منها ما لا يذكر الطرفين ككتاب أبي سفيان إليه. ورد المنذر ين ساوى على كتابه صلى الله عليه وسلم عندما كتب مباشرة "أما بعد: يا رسول الله قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام فدخل فيه ومنهم من كرهه"[42].

ومنها ما يذكر الطرفين ويؤخر اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ويقدم اسمه عليه تبجحا وسوء أدب ككتاب مسيلمة الكذاب إليه بعد ردته[43].

وهو القائل فيه عليه السلام: "أما اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ، يقتل بها بعدي"، فقال قائل: يا رسول الله، من يقتله؟، فقال: أنت وأصحابك، فكان كذلك[44].

فقد كتب إليه يطالبه أن يشركه في أمر الرسالة السماوية فكتب من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، فقال الصادق الأمين: "من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب"[45].

ومقابل مسيلمة الكذاب أتباعه ممن قدم اسمه عن اسم النبي صلى الله عليه وسلم هناك من كاتب النبي وقدم رسول الله "المرسل إليه" عن اسمه المرسل، ويكون غالبا من

المسلمين ككتاب خالد بن الوليد إليه "لمحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد..."، ورد النجاشي عليه: "إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر..." وواضع أن الدافع إلى ذلك هو تبجيل مقام النبي وتعظيم مقام النبوة فيه(46).

كما قال ذلك الغربي "جوستاف لبون": "إذا كانت قيمة الرجال تقدر بعظمة أعمالهم فإنه يكون من المستطاع أن نقول أن محمدا كان من أعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ"(47).

3- **التحية بالسلام**: كانت التحية بالسلام لازمة من لوازم رسائل النبي صلى الله عليه وسلم المبعوثة إلى الآخرين دون غيرها من الكتب والعهود، ونلاحظ أن التحية بالسلام ترد ترتيبا بعد البسملة وذكر طرفي الرسالة أو أطرافها، ولكنها لم تأخذ صورة واحدة(48).

وتجري الرسائل على نفس النهج فهي تبدأ غالبا كما أشرنا إليه بالبسملة يليها الحمد له ولكنه يذكر في استهلالها دائما اسم المرسل ثم المرسل إليه، وأن هذه الرسائل والعهود المكتوبة أدل وأصدق في التقييم الفكري والفني من الخطابة، وذكرنا للخطابة ذلك أنها كانت النثر الفني الذي يزاحم، بل ويفوق فن الترسل في نشر الدعوة المحمدية إلا أن الخطابة عرضة للضياع أو النسيان الكلي أو الجزئي لأنها نقلت مشافهة أما الرسائل فهي أبقى وأثبت على الزمان لأنها وثائق مسجلة مكتوبة(49).

لقد تعددت صور رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم واختلفت تبعا لشخصية من ترسل إليه الرسالة، فإذا كان من أرسلت إليه الرسالة مسلما استعملت عبارة "سلام عليك" وغالبا ما ترتبط عبارة السلام بحمد الله كما نرى في رده على خالد بن الوليد وكتابه إلى معاذ بن جبل يعزي فيه ابنه"...سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو..." وإذا كان من ترسل إليه الرسالة غير مسلم فتستخدم عبارة "سلام على من اتبع الهدى..." ولا يتلو العبارة ذكر أحمد، كما ترى في كتابه إلى المقوقس وهرقل، ولكن قد تكون أكثر تفصيلا كما

ترى في كتابه إلى الحارث بن أبي شمر الغساني: "سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق..." (50).

أما التعبير الثالث لهذه الفئة فهو "سلم أنت" واستخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته الأولى التي أرسلها إلى النجاشي مع جعفر بن أبي طالب عندما هاجر إليه "من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت..." (51).

وقد يقترن بحمد الله كما ترى في كتابه صلى الله عليه وسلم للمنذر بن ساوى ملك البحرين "سلم أنت فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو..." وربما تركه، وقد يأتي بعد التحميد بالتشهد وقد لا يأتي به وذلك ما نراه في رسالته لكسرى ملك الفرس عندما كتب: "سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله"، وفي كتابه لقيصر ملك الروم "سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، يؤتيك الله أجرك مرتين"(52).

وكان يعبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم في أثناء كتبه بلفظ الإفراد مثل "أنا" و"لي" و"جاءني" و"وفد علي" وما أسبه ذلك وربما أتى بلفظ الجمع مثل "بلغنا" و"جاءنا" ونحو ذلك. وكان يخاطب المكتوب إليه عند الإفراد بكاف الخطاب مثل "لك" و"عليك" وتاء المخاطب مثل: "أنتما" و"لكما" و"عليكما" وعند الجمع بلفظة مثل "أنتم" و"لكم" و"عليكم" وما أشبه ذلك(53).

4- **أما بعد (البعدية)**: وكانت تذكر بعد السلام، وقد وردت كثيرا في كتب الرسول عليه السلام وكذلك الأمر في خطبه ولكنها لا ترد في كل كتبه عليه السلام فمنها ما لم يذكر فيها (أما بعد) ككتاب الحارث بن أبي شمر وكتابه إلى هوذة بن علي.

وعبارة أما بعد كانت ترد كذلك في كتب الجاهلية، فهي ليست سمة اختصت بها كتب الرسول عليه السلام أو كتب أصحابه، والمطرد في كل الكتب من جاهلية وإسلامية

سواء أكانت صادرة من النبي عليه السلام أو الآخرين أو موضوع الرسالة يرد بعدها مباشرة. وهذا ما نجده في رسائل النبي عليه السلام أو كتب أصحابه(54).

5- **ختام الرسالة:** كان نبي الهدى يختم رسائله بالسلام تارة فيقول في خطاب المسلم "السلام عليك ورحمة الله وبركاته" وربما اقتصر على السلام ويقول في خطاب الكافر: "و السلام على اتبع الهدى" وربما أسقط السلام من آخر كتبه(55).

وهذا ما نجده مجسدا في رسالته إلى مسيلمة الكذاب فلم يختمها بتحية السلام عكس ما كان مع خالد بن الوليد، وهذا شيء طبيعي فشتان بين هذا وذاك(56).

وكان الكاتب في بعض الأحايين يدون اسمه في خاتمة الرسالة فيقول وكتب فلان(57).

**ج- الخصائص الفنية:**

مع فجر الإسلام فإنه لا مجال للشك في أن البلاغة في التعبير والأناقة في التصوير والأدب في الحديث والاختيار للألفاظ والذوق في الخطاب، والإيمان بالمثل العليا قد اتجهت اتجاها سديدا وأخذت لونا جديدا(58).

ومن ثمة ابتعدت الألفاظ عن ألفاظ الجاهلية الصعبة المعقدة، وارتدت ألفاظ الإسلام الواضحة البينة، فكان أسلوبه صلى الله عليه وسلم يتميز بخصائص نذكر منها:

* **السهولة والوضوح:** تجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريب الحوشي من الكلام، والكلمات الحوشية أو المماتة هي الركيزة الأولى من ركائز التعقيد، وهي بذلك تغلق المعنى على منشئه فكأنه قد كتب أو قال لنفسه لا لكي يقرأه أو يسمعه الآخرون، وسمة السهولة والوضوح أن احتاجها الأديب أو الشاعر فالرسول إليها أحوج، حتى يستطيع أن يلج نفوس الآخرين ويصل إلى قلوبهم فيؤمنوا به(59). يقول عبد القاهر الجرجاني: "و المعقد والشعر والكلام لم يذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة، بل لأن صاحبه يعثر فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك إلى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه، بل ربما قسم فكرك، وشعب

ظنك، حتى لا تدري من أين تتوصل، وكيف تطلب"[60]. ووصف العقاد أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا كان أو خطابا أسلوبا عصريا يقتدى به المعاصرون في زماننا هذا وفي كل زمان لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة هو أسلوب عصري في جميع العصور[61].فألفاظه عليه الصلاة والسلام ألفاظ النبوة التي يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي، ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل، فقد كانت هي من دليله، حتى ليس فيها كلمة مفضولة، وكأنما هي في إفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خاطره صلى الله عليه وسلم [62].

كان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من تأثر بالقرآن المجيد لأنه على صدره الواعي تنزل، وفي ذهنه الصافي تمثل، وعلى لسانه الطاهر جرى، فكان من خصائص أسلوبه صلى الله عليه وسلم سهولة اللفظ ووضوح المعنى، وبلوغ المرام بأيسر السبل، بعيدة عن الصناعة اللفظية والتكلف الممقوت[63]. وإذا كان عليه السلام قدرا على "مقتضى الحال" في إيثار لهجة القوم على لهجة قريش، فخاطبهم بلسانهم، فإنه راعى مقتضى الحال في الأمثلة المضروبة، ففي كتابه للنجاشي يسوق رأي الإسلام في طبيعة السيد المسيح عليه السلام وكيف يبجله المسلمون ويجلونه، فالرجل النصراني، والذي يشده إلى شخصية المرسل ويقربه نفسيا منه، إشعاره بأنه أن أسلم فقد ذهب إلى دين أن يكن أوفى وأشمل فإنه لم يكفر بدينه ورسوله لأن إجلال المسح عليهما السلام، تلك هي البلاغة الحقيقية التي صارت مثلا يحتذى وقدوة لمن يطالبون النماذج العليا في الأساليب العربية[64].

* **التدقيق والترسل**: ويقصد بهذه السمة أن يجري الكلام في يسر، ويصدر عن طبع لغوي سليم بعيد عن التكلف والتصيد بحيث يكون تزيين الأسلوب بضروب الصنعة أمرا مقصودا لذاته وخصوصا السجع، فقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا الأسلوب المثقل بالسجع، فيروي أن رجلا جاءه وقال: "يا رسول الله، أرأيت من لا شرب ولا أكل، ولا

صاح فاستهل، أليس مثل ذلك بطل" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مستنكرا "أسجع كسجع الجاهلية"[65]. وقد سماه أبو الهلال العسكري التسجيع وصرح بوجود السجع في القرآن الكريم، ولكن السجع فيه مخالف في تمكين المعني وصفاء اللفظ وتضمنه الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق، ثم شرح حديثه "أسجعا كسجع الكهان" الذي ربما استدل به بعضهم على تحريم السجع، وبين أن مدار الحديث تحريم سجع الكهان خاصة. لأن التكلف في سجعهم فاش ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعا، لقال: "أسجعا ثم سكت"، ودليلا على ذلك أحاديثه النبوية صلى الله عليه وسلم ، ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة أخواتها، كقوله عليه السلام: "ارجعن مأزورات غير مأجورات" وإنما أراد (موزورات) من الوزر، فقال: مأزورات لما كان مأجورات قصدا للتوازن وصحة التسجيع[66]. فمن أوصاف البلاغة كذلك السجع في موضعه وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، فأما أن يلزمه الإنسان في جميع أقواله ورسائله فذلك جهل من فاعله، ولربما هذا الذي صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في رفضه لهذا السجع كان سببه الإكثار منه. ثم هناك سبب آخر متعلق بشريعته السمحاء كما أن كرهه ليس ناشئا لأسجاع كهان الجاهلية فحسب، بل لما كان يقوم عليه هذا النوع من الكلام من إعراب في اللفظ، وإبهام في المعنى، ولما فيه من التعسف والتكلف، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسجع كسجع الجاهلية؟"[67]. والترسل كما قلنا من قبل سمة غالبة على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبا وأحاديث وكتبا، وما افتعل قط ولا تكلف ولكن كلامه لم يخل من سجعات قليلة يرد عفو الخاطر، وتوضع في سياق كلامه، فيحس القارئ كأنها لم تخلق إلا لهذا السياق وأن السياق بغيرها لا يكون بيانا بليغا، ومن نماذجه ما جاء في كتابه إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين "فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم"[68] وفي كتابه إلى ابني الجلندي ملكي عمان يقول: "...و إن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على

ملككما"[69]. فكلامه عليه الصلاة والسلام لم يخل من بعض السجعات القليلة العفوية الواردة دون تعمق، فيحس القارئ كأنها لم تخلق إلا لهذا السياق.

* الإيجاز: أما عن أسلوب رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم يغلب عليه الإيجاز بصفة عامة إذا قيست بخطبه لأن موضوع الرسالة محدد مسبقا، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من البلغاء وهناك من يرى أن البلاغة إيجاز، فقد قال جعفر بن يحي: "إذا كان الإكثار أبلغ، كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار هدرا"[70].

ولذلك قال بعضهم في وصف البلاغة: "هي أن يتساوى فيها اللفظ والمعنى فلا يكون اللفظ أسبق إلى القلب من المعنى ولا المعنى أسبق إلى القلب من اللفظ"[71].

والإيجاز فهو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح يعني أنه تأدية المعنى بأقل منها متعارف الأوساط مع وفائه بالغرض وينقسم إلى:

1- **إيجاز القصر**: ويسمى إيجاز البلاغة، يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف.

2- **إيجاز الحذف**: ويكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف من قرينة لفظية أو معنوية[72].

ومن أمثلة إيجاز ما نجده من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:" قد بلغت ونصحت"، ونذكر أيضا: "الخلق خلق الله والأمر كله لله"، إلى غير ذلك من العبارات الموجزة التي تحمل المعاني الكثيرة[73].

ومن أمثلة إيجاز الحذف قوله صلى الله عليه وسلم "الخلق خلق الله" يعني الخلق هو خلق الله، أيضا "إنكم تجدون" أي "إنكم تسجعون"[74]. وقد يكون من أهداف إيجازه تنزيه النفس من اللجج الفارغ والهراء الذي لا يليق بالفصحاء، فكيف بالأنبياء؟ إذن فقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم العبارات القصيرة الموجزة لإيصال المعنى المنشود في دعوته إلى الإسلام، والذي هو أساس الدعوة المحمدية، والذي يدل على أن الله عز وجل قد خصه

بالإيجاز وقلة عدد اللفظ مع المعاني قوله صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم"[75].

* **الشواهد القرآنية:** كان النبي صلى الله عليه وسلم يضمن رسائله بعض آي القرآن الكريم، وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا النهج، وكتبوا رسائلهم على هذا المنوال فجاءت آية في البلاغة والفصاحة وكانت بحق نشأة فن الرسالة بخصائصها الفنية[76]. ففي كتابه إلى النجاشي ملك الحبشة وقد كان نصرانيا ورجل صدق ودين يضمن كتابه ما قاله القرآن في طبيعة عيسى فهو: "روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة" وهو اقتباس واضح من قوله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...**﴾ آل عمران 45.

ثم يكون الشأن الأعلى في البلاغة حين يراعي النبي صلى الله عليه وسلم ما في النصرانية من روح المحبة والتسامح والسلام فيضمن كتابه من أسماء الله الحسنى ما يتفق مع طبيعة هذا الدين "فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، أشهد أن عيسى..."[77]. وقد يكون الأمر كلمات قرآنية تنتشر هنا وهناك في تضاعيف كتبه، وهي أكثر من أن تحصى مثل: الهدى والحق- تولى- سبيل الله...الخ. فقد كانت رسائله مشعة بالمعاني الدينية والشواهد القرآنية ذات أسلوب مباشر يتراوح بين الأسلوب الإنشائي والخبري. ومن الأساليب الخبرية ما تمثل في أسلوب في قوله: "أشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده". حيث يسرد لنا جزء من قصة عيسى عليه السلام[78].

أما الأساليب الإنشائية منها: الأمر في قوله "أسلم تسلم" والنداء في قوله صلى الله عليه وسلم "يا معشر يهود وأهل التوراة"[79] وغرضه لفت نظر اليهود الطغاة، ونذكر أيضا الاستفهام في قوله "هل تجدون فيما أنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟" وغرضه التذكير ووضع اليهود أمام الأمر الواقع[80].

فالجدير بالذكر أن الخصائص العامة للرسائل الإسلامية تختلف عن خصائص الرسالة في العصر الجاهلي نظرا لما اقتضته ظروف الدين الجديد، ودخول المنهج الإسلامي في حياة المسلمين[81].

ومن المؤكد أن هذا الاختلاف ليس فقط من الناحية الشكلية فحسب بل كان شكلا ومضمونا، فمن خلال ما تطرقنا إليه في فصلنا هذا تبين لنا أن كتابات الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة عامة ورسائله بصفة خاصة تحمل في طياته أهداف قدسية سامية فيها من الأمان والسلام، فيها من الإيمان بوحدانية الله جل في علاه فيها من الدعوة إلى اعتناق الإسلام وشرح مبادئه وشريعته السمحاء وهذا ما سنراه في الفصل الموالي كيف لا ومحمد وحده نبع صافي وري شافي، وسيرته العطرة لا ينضب معينها ولا يجف مدادها، لأنها متلاحقة مع كلمات الله:﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ الكهف 109.

إن محمدا صلى الله عليه وسلم مثال الإنسانية الكاملة، وهو ملتقى الأخلاق الفاضلة، وحامل لواء الدعوة العالمية الشاملة[82].

**المراجع:**


[1] – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ- 1986م، ص 17.

[2] – المرجع نفسه، ص 18.

[3] – نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 1426 هـ- 2005م، ص 65.

[4] – شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط7، دار المعارف بمصر، 1119، ص 98.

(5) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر حلواني، عالمية الإسلام ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، دار القلم، دمشق، ط1، 1424هـ-2003م، ص 7.

(6) – حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، المكتبة الثقافية الدينية، ط1، (د.ت)، ص 39.

(7) – جابر قميحة، أدب الخلفاء الراشدين، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، (د.ت)، ص 22.

(8) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 88.

(9) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 80.

(10) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 91، بتصرف.

(11) – قدامة بن جعفر، نقد النثر، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ- 1982م، ص 94.

(12) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 13.

(13) – محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، 1404هـ-1984م، ط3، (د.ت)، ص 06.

(14) - جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 49.

(15) – عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مختصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، مكتبة دار السلام، دار الفيحاء، 1417هـ-1997م، ط1، ص 337.

(16) - جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 72.

(17) – صفي الرحمن المبار كفوري، الرحيق المختوم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ-1429هـ- 2008م، ص 249.

(18) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 99.

(19) – المرجع نفسه، ص 139- 140.

(20) – نفسه، ص 139- 147.

(21) – نفسه، ص 160- 162.

(22) - نفسه، ص 160.

(23) – الشيخ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، د1، قصر الكتاب، وحدة الرغاية، الجزائر،ط1، 1990، ص 208.

(24) – تفسيرات ابن كثير، ج2، دار الكتب المصرية، ط1، 1992م، ص 33.

(25) – حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 47.

(26) – أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، دار الفكر، ط8، 1976، ص 26 بتصرف.

(27) - عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 149.

(28) – محمد علي الصلابي، السيرة النبوية، ج2، دار التوزيع و النشر القاهرة، ط1، 2001، ص 413.

(29) – المرجع نفسه، ص 411- 412.

(30) – محمد الصالح الصديق، مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغته و إسراءه و معراجه، الجزائر، ط1، (د.ت)، ص 42.

(31) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 88.

(32) – نبيه عاقل، تاريخ عصر الرسول و الخلفاء الراشدين، مطبعة أبي العلاء، دمشق، ط1، 1395هـ- 1396هـ- 1976م، ص 173.

(33) – نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، ص 84.

(34) – أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، بيروت، لبنان، ج1، ط1، (د.ت)، ص 13.

(35) – عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مختصر السيرة، ص 336 بتصرف.

(36) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 115.

(37) – المصدر السابق، ص 117.

(38) –نفسه، ص 118.

(39) – سعيد عبد اللطيف صناوي، حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، دار نوبيلس، بيروت، ط1، 2005، ص 05.

(40) – صفي الدين المبار كفوري، الرحيق المختوم، ص 253.

(41) – نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، ص 69.

(42) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 147.

(43) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 119.

(44) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 143.

(45) – نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، ص 70.

(46) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 120.

(47) – عبد الحليم محمود، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص 365.

(48) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 120.

(49) – جابر قميحة، أدب الخلفاء الراشدين، ص 452 بتصرف.

(50) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 120.

(51) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 106.

(52) – صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 252- 253- 254.

(53) – سعدى عبد اللطيف، حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ص70.

(54) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص122.

(55) – سعدى عبد اللطيف، حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ص 07.

(56) – نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، ص 123.

(57) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 123.

(58) – عبد المنعم خفاجة، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، ص 42.

(59) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 132.

(60) – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، القاهرة، مطبعة المنار، ط1، (د.ت)، ص 125.

(61) – العقاد، عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، بيروت، ط2، 1430هـ- 2008م، ص 77.

(62) – محمد الصالح الصديق، مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ص 17.

(63) – نايف معروف، الأدب الإسلامي، ص 26.

(64) - جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 135.

(65) - المرجع نفسه، ص 136.

(66) – شعيب يحي، أبو هلال العسكري و آراؤه البلاغية في كتاب الصناعتين، رسالة ماجستير مخطوطة في جامعة تلمسان، 2007- 2008، ص 103.

(67) – نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، ص 107.

(68) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 137.

(69) – المرجع نفسه، ص 138.

(70) - نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة و خلافة الراشدين، ص 97.

(71) – المرجع نفسه، ص 105.

(72) – السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البديع، دار الفكر، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م، ص 193- 194.

(73) - عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 162.

(74) – المرجع نفسه، ص 151.

(75) – الجاحظ، البيان و التبيين، ج2، دال الجبل، بيروت، ط1، (د.ت)، ص 27.

(76) – حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية، ص 88.

(77) – جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام، ج1، ص 141.

(78) – عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر الحلواني، عالمية الإسلام و رسائل النبي إلى الملوك و الأمراء، ص 99.

(79) - المرجع نفسه، ص 112.

(80) – المرجع السابق، ص 151.

(81) – فاطمة صواغير، فن الرسالة في النثر الجزائري الحديث، رسالة ماجستير مخطوطة في جامعة تلمسان، 2010- 2011، ص 39.

(82) – العقاد، عبقرية محمد، ص 05.

# صدى الأنوثة في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق –جدل المسموع والمقموع

**الدكتور ناصر بركة**

**جامعة المسيلة– الجزائر**

**تاريخ الإيداع: 2019/02/27 م تاريخ التحكيم: 2019/03/01م تاريخ القبول: 2019/03/04م**

**الملخص:**

يهدف هذا المقال إلى البحث عن طبيعة الحضور الأنثوي في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق بمعطياته الأسلوبية ومستوياته اللغوية ومضامينه النصية، التي تعكس في شكل من أشكالها نوعا من تماهي الذات الكاتبة في جسد النص الروائي بوصفه فضاءً للرؤى والمواقف الشخصية من الواقع والذات والوجود من جهة، ومجالا للتموقع وإثبات الكينونة في مجتمع ذكوري له نظرته ومركزيته السلطوية التي كثيرا ما كان لها دورها في توجيه صوت الأنثى أو إسكاته والقضاء عليه من جهة أخرى.

إن البحث عن ملاذ من الواقع المتأزم يمثل من منظور إبداعي القدرة على مواجهة صور القمع والإقصاء مثلما تتجلى في فعل الكتابة المحدّد لهوية السرد وانتماء السارد على حدّ سواء، فتغدو عندئذ هذه العملية دالة فكرا وتصورا على صراع وجودي ولكن بوسائل فنية ووسائط لغوية تُوظف فيها موهبة الكتابة الروائية ومتطلباتها الفاعلة سعيا للحصول على توازن نفسي تتحقق معه معالم الذات فرديا واجتماعيا.

**الكلمات المفتاحية:** الكتابة – السرد–الخطاب الأنثوي–الذات

**Abstract:**

The present paper aims at searching the nature of the female presence in "Taa El-khadjal" novel by (Fadhila El-Farouk) from a stylistic and linguistic levels as well as textual and content ones. This reflects, from one side, the image of the author being melted in the narrative text perceived as a space where to express -freely- one's opinions and personal attitudes from reality, the self and existence, and, from the other side, a frame of positioning and self- proof in a male authoritarian society that directs or tries all it can to shut up females' voices.

Seeking refuge from the bitter real world represents, from an innovative point of view, the ability to face the images of oppression and exclusion as it manifests itself in the act of writing that defines both the narrator's identity as well as belonging. This process will, thus, turn up into a reliable testimony of an existing existential conflict that happens with artistic tools and linguistic mediums that make use of the narrator's writing talent and requirements.

**key words:** Writing- The narrative- Female discourse- Self

# صدى الأنوثة في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق –جدل المسموع والمقموع

**الدكتور ناصر بركة**

**جامعة المسيلة– الجزائر**

**توطئة:**

تستند مساءلة النص الروائي على علاقة الإبداع الفني بالتجربة الحياتية وقد صيرها الكاتب منطلقا في تشكيل نصه ومواقفه، تلك التي لا يمكن أن تنفصم عن مجمل التراكمات الذاتية المحددة لوجهة النص الروائي وما فيه من تقاطعات للرؤى الإيديولوجية والتشكيلات الفنية، ويبقى أنّ الوقوف على هوية القاص انطلاقا من فعل الكتابة يحيل على إشكالية العلاقة بين الفني والحياتي حينما يتقاطع الواقعي والمتخيل ضمن حركة التاريخ؛ وهو ما يُفضي بالنص إلى انفتاحه على الزمن في رحلة عودة يمتزج فيها التخييل بالذاكرة الحالمة، لذا يبدو أن نقطة البدء زمنيا ترتبط ارتباطا عضويا ببداية تشكل الوعي بالذات وإدراك وجودها الفعلي ضمن محيطها الاجتماعي؛ وتلك ميزة تؤشر على جمالية تكثيف لحظات الحياة الأولى بآلية الكتابة لما يمكنه أن يكون جزءا لا يتجزأ من المضامين الماثلة في كيان النص، ويتطلب إمعان النظر في خصائص الكتابة النسوية البحث عن طرائق اشتغالها ومرجعياتها الفاعلة بعيدا عن القراءة الجاهزة التي لا تفترض عمقا ولا تأويلا، وإنما تنظر إلى الأشياء والقضايا نظرة سطحية لا تخلو من اتهام بالدونية وانتقاص من شأن ما تبدعه المرأة؛ إذ يقترن نتاجها في الغالب بخرق للمقدس من الأعراف وتجاوزا للراسخ من القيم السائدة والتي تمثل في اعتقاد المرأة واجهة للسلطة الذكورية وامتداداتها التأثيرية المتوارثة والموجهة لسلوكات الأفراد ذكرانا وإناثا.

هكذا تعبر الكتابة عند المرأة عن معاناتها ومشكلاتها والمؤثرات الاجتماعية والثقافية التي تحول دون إسهامها في محيطها المنتمية إليه؛ متخذة من اللغة أداة لإثبات دورها وتحقيق

انتمائها، غير أن ذلك يحتاج إلى هامش من الحرية والتخلص ولو نسبيا من وازع الشعور من الخوف والتردد في استثمار إمكاناتها الإبداعية وقدراتها الفنية لترجمة مشاعرها ومواقفها في فضاء النص سواء أكان شعريا أم تثريا، محاولة منها لإبراز قدراتها على مضاهاة ما يبدعه النسق الذكوري فكريا وفنيا، فالتحرر في الممارسة الإبداعية يتيح الخوض في جوهر العلاقات الإنسانية بوصفها عاملا مشتركا بين أفراد المجتمع الواحد وما له من مقومات تحفظ له كيانه واستمراريته.

وليس من اليسير ابتداءً استيعاب منطلقات الخطاب الأنثوي نظرا لخصوصياته وأهدافه، فهو وإن كان متحررا من قصدية التوظيف وتحديد المغزى من الملفوظ السردي؛ غير أنه متأسس ضمن حدود الرؤيا الفنية وزوايا التشكيل على موقف إيديولوجي يؤثث مبنى الرواية ومعناها، وهو ما ينفي عنها الصفة السكونية وما ينجر عنها من غياب لعاملي التأثير والتأثر؛ فالكتابة "وحدها تستطيع أن تردم الهوة، أن تسدّ الفراغ وأن تقوم مقام المرأة" (المودن، 2009، ص 122 فتسمو بها عندئذ إلى مستويات نصية تتماهي فيها الذات في جسد النص ليصيرا كيانا واحدا يعكس عمق الإحساس بدور اللغة المهم في رحلة الكتابة ومسارات الإبداع المتأسس على فهم واستيعاب الشروط المسهمة في إثرائه.

**منطلقات فعل الكتابة النسوية وخصوصياته**

ارتبط هذا النوع من الكتابة بثلاثة عوامل أساسية؛ أولها تأثير الحركة النسوية العالمية في فترة السبعينيات، وثانيها تبلور الوعي لدى المناضلات من النساء إزاء ظروفهن الحياتية، وآخرها ظهور المدّ الإصلاحي على الأصعدة جميعها وبخاصة ما تعلق بالصعيدين الاجتماعي والثقافي أدى إلى جعل اللغة وسيلة للتعبير عن الواقع المعيش من خلال إدراك أبعاده واستيعاب تحولاته، فخصوصية ما تخطه الأنثى إذًا هو تثبيت لهويتها المستقلة، التي تسعى "إلى الترفع بها من خلال إبداعاتها الأدبية والفنية، وما موقف الرفض لهذه الخصوصية إلا

انعكاس لمكانة المرأة الاجتماعية، ويتم التركيز في تناول المصطلح حول منطق التمييز القائم تاريخيا واجتماعيا بين الرجل والمرأة، فالملاحظ أن واقع هذا التصنيف هو مَن يتحكم في التصريحات عند فئة النساء بالخصوص، نتيجة شعور بالنقص وادعاء زائف، وخروج على الفطرة.وهو في لغة علم النفس، حيلة لاشعورية لإقناع الذات بالمساواة مع الرجل، لأنه قد تشكلت لديهن عقدة من أن أي فارق يميز الرجل عنهن، لابد أن يكتمل بالتشبه به" (بن جمعة، 2009، ص 121)

وتهدف الكتابة النسوية في ظل سياقاتها التي تنتمي إليها إلى التأكيد على فاعلية حضورها ومحاولة إثبات دورها وإسماع صوتها؛ لذا تتأسس اللغة الموظفة انطلاقا من الملفوظ السردي على رمزية الكتابة وحمولتها الإيحائية الدالة على مكنونات المرأة الذاتية وقناعاتها الفكرية، غير أن المسألة لا تقتصر إبداعا "على كونها مجرد خطاب يلتزم بالنضال ضد التمييز الجنسي ويسعى إلى تحقيق المساواة بين الجنسين، وإنما هي أيضا فكر يعمد إلى دراسة تاريخ المرأة وإلى تأكيد حقها في الاختلاف، وإبراز صوتها وخصوصياته"(المدغري، 2009، ص18)، لذا تحيل علاقة المرأة بالممارسة الإبداعية على طبيعة المضامين المعالجة بما لها من منطلقات سوسيوثقافية، وهذا بمنأى عن الجدل السائد بين النقاد بشأن الكتابة النسوية مصطلحا ومفهوما؛ فقد تراوحت مواقف المهتمين بشأنه بين القبول والرفض، فظهرت في سياق البحث عن بدائل وضعية محددة عدد من المصطلحات مثل: الأدب الأنثوي، الأدب النسوي أو النسائي، أدب المرأة، وإن هذا التعدد في اعتقاد البعض لا يعدّ انتقاصا من شأن المرأة بل "سيعيد الاعتبار لإنتاجها الأدبي وليس عن مفهوم ثنائي أنثوي/ ذكوري "(العيد، 2001، ص137).

ولما كان من وراء هذا النوع من الكتابة دوافع وغايات فإنه يتم شحن الشخصيات الموظفة في الفضاء الروائي بحمولة فكرية دالة على توجه معين ووجهة نظر تنمان عن ذاتٍ ترى الأشياء وترصد المواقف وتسعى جاهدة للتعبير عن ذلك كتابة وهذا على الرغم من تعدد

الأصوات في الملفوظ السردي والظاهر في في نسيج النص بوصفه مجالا لحركة الشخصيات وتفاعلها؛ فالتعددية إنما تنشأ باختلاف الأسلوب وتنوع في مستويات الكلام مراعاة لكل وضعية من الوضعيات ومقام من المقامات التي تفرض نفسها على معالم الشخصية حينما تتحول إلى كيان ورقي بمواصفات نفسية واجتماعية خاصة.

إن الأزمة التي تعانيها المرأة، انطلاقا من حضورها في الملفوظ السردي الروائي، لا ترتبط بمرحلة النضوج التي يُفرض فيها على الأنثى غالبا الزواج عنوة لا اختيارا؛ بل يرتبط في التفكير الجمعي القبلي بأفضلية الذكر على الأنثى بدءا من لحظة الولادة، حيث يكون الرفض السمة الأبرز في الوسط المجتمعي الذي لا يزال يعتقد بمركزية الذكورة وهامشية الأنوثة؛ فتبدو مسلوبة الإرادة فاقدة للقدرة على إثبات ذاتها وتحقيق طموحاتها، والبحث عن حريتها وسبل المساواة بينها وبين الرجل بما تتضمنه المفردة من حمولة دلالية وعرفية ووصفية، لكن بم تميّز حضور هذا الملمح في رواية (تاء الخجل)؟ وهل كان لذلك دوره في إسماع صوت الأنثى بوصفه موقفا/ سلوكا؟

**طبيعة الملفوظ السردي في رواية "تاء الخجل"**

فضيلة الفاروق ابتداءً كاتبة جزائرية ولدت عام 1967 بباتنة (الجزائر)، تدرجت في مراحل التعليم متوجة ذلك بشهادات جامعية في اللغة العربية وآدابها، عملت في حقل الصحافة المكتوبة والمسموعة بالجزائر، وكان لها برنامج ثقافي دام سنتين عنوانه (مرافئ الإبداع) على القناة الإذاعية الأولى، وأسهمت أيضا بالكتابة في الصحافة اللبنانية، من مؤلفاتها: مزاج مراهقة، تاء الخجل، اكتشاف الشهوة.

لقد استرعت نصوص فضيلة الفاروق انتباه الدارسين وشغفهم البحثي بما تطرقت إليه من موضوعات معبرة عن توجهاتها الفكرية وقناعاتها الذاتية التي تأبى الانصياع لبعض الأعراف السائدة في المجتمع المحكوم بمنطق القبيلة، وهي فضلا عن ذلك تحمل في طياتها آلام المقهورين والمظلومين ومن كانوا ضحية الصراع الإيديولوجي مثلما يظهر في حركات

شخصياتها وسكناتهم ومواقفهم وأحلامهم وأفعالهم وردات أفعالهم "فهي إما أن تموت أو أن تنفى أو أن تصمت إلى أبد الدهر، هي كمن لا حكم لنفسه على نفسه، وحال من لا يملك اختيارا في حياته، حال من صودرت حريته بالعنف والقوة: قوة الأبوة، قوة الذكورة، قوة السلطة بمختلف هيئاتها، صوت المبدعة فضيلة الفاروق يعلو على هذه القوة، ويجهر بتمرده ورفضه للنمطية السائدة المغلقة بثوب الدين والأخلاق"( تيبرماسين وآخرون، 2002، ص14)

تبدو الرواية إذًا رصدا لكثير من الموضوعات التي لها صلة بالمجتمع الجزائري مثل القضايا الاجتماعية والسياسية والثورية والدينية وقضايا المضمر والمسكوت عنه في الجزائر العميقة، انطلاقا من الاختلاف في فهم الواقع واستشراء العنف بشتى مظاهره ضد المرأة بما هي مكوّن من مكونات التركيبة المجتمعية المتمسكة بعاداتها وتقاليدها وتراتبية تصنيفها لموقع المرأة في سلّم التفاضل ومعيار القبول؛ فما أثير في متن رواية (تاء الخجل) من موضوعات يستند في حقيقته على رؤيا فنية لا تنفصم من حيث منطلقاتها عن سياقها العام المنتمية إليه، فكأننا أمام انعكاس للواقع تحليلا وتفصيلا ولكن بنزوع ذاتي للكاتبة نحو المواءمة بين المعطيين الإبداعي والواقعي، وهذا على الرغم من استلهام المضامين النصية الروائية ممّا حدث من صراع حول مفهوم الوطن والوطنية ومظاهر الاغتراب النفسي الظاهر في حوار الشخصيات ومواقفهم بدءا من تصوير سلطة القبيلة وانتهاء بالحديث عن الوطن الذي تكرر في متن الرواية فكان لحضوره أثر لافت في توجيه حركة السرد وتفعيل مكوناته.

غير أن ذلك لم يكن في حقيقته إلا مؤشرا على ردة فعل سوداوية ممّا حدث في مرحلة من مراحل التاريخ الجزائري المعاصر مثلما يظهر في المقطع التمثيلي الآتي: "سلمت أوراقي، سلمت آخر انكساراتي، وحين عدت إلى بيت بني مقران في اليوم الثاني كنت أحضر حقيقة لرحيل أطول، كنت قد اقتنعت أن الحياة في الوطن معادلة للموت" (الفاروق، 2002، ص92)، هذه النظرة القاتمة ليست إلا صورة من صور المغادرة المسكونة بنبرة

الموت الحتمي، وأحيانا لا ملاذ للبطل إلا أن يحمل حقائبه ويغادر: "هاهي حقيبتي في انتظاري، حصتي في الوطن، هاهي أقلامي في انتظاري، أوراقي في انتظاري هاهو المجهول يصبح بديلا للوطن"(الفاروق، 2002، ص94)

فيغدو مفهوم الوطن حينئذ مشبعا بأسئلة كثيرة لا تنأى في مضمونها عن سلطة الذكورة وما فيها من فرض للكلمة وإعطاء الأوامر وسن القوانين وإشعال فتيل الفتنة بين أبناء الوطن الواحد، فكأن صوت الأنثى ملائكي بطبعه ولكنه في الآن نفسه مقموع لذاته ؛ لأنه يدور في فلك المركز الذكوري ولو تعلق الأمر بمسألة الموت والحياة التي تسبب فيها هذا المركز بشكل أو بآخر في وطن "يشيّع أبناءه كل يوم، الحب مؤلم جدا حين تعبره الجنائز وتلوثه الاغتصابات ويملؤه دخان الإناث المحترقات، قد تفهمني بعد أن أسرد لك وجعي كله، وقد لا تفهمني، لكني أكون قد وجدت مبررا لنفسي لأني غادرت، فكل شيء صار أزرق وكبيرا، وتستحيل السباحة فيه بما في ذلك وظيفتي وعلاقتي مع الناس وعلاقتي مع الكتابة"(الفاروق، 2002، ص15)، فكل ما حولها مجرد من الأمل والأمن الضائع في زحمة الاحتراق بنار الفتنة المضطرمة.

ولعل في طريقة التناول هذه ما يكشف عمق النظرة لدى الروائي الذي يملك القدرة على تشخيص صورة الأنوثة وصدى صوتها المقموع في مواجهة الصوت الذكوري المسموع؛ إذ أخذت فضيلة الفاروق على عاتقها مهمة البحث في قضايا المرأة بواسطة الحكي من أجل تغيير النظرة الدونية لها، وتحريرها من قيودها، وعليه يغدو "الحكي إغراء ومقاومة واستدراجا إلى عوالم تحفيها دوائر التجديد والذين يملكون الحكايات أشد حضورا في التاريخ من الذين لا حكاية لهم" (بنكراد، 2008، ص 102)، فما يحكم نمط الكتابة في الرواية النسائية يعتقد بعض الدارسين أن مفهوم الرواية النسائية مفهوم شمولي؛ لأنه يضم أشكالا وأساليب وأنواعا من الكتابة عند المرأة تبدعها لتعبر عن ذاتها وموقفها وردات أفعالها(معتصم،2007، ص07) القائمة على فلسفة السؤال عن الذات في انتمائها وعلائقها، ومدى الاعتراف

بوجودها الذي استحال ثقافة اجتماعية مدعومة بالأعراف والعادات والتقاليد وسيطرة الأفق الذكوري، وليس في استحضار معانيه لحظة من لحظات تشكل الوعي بالمكان والزمان تدرك أثناءه محلها أملا في حدوث "انقلاب المواقف من حال إلى أخرى، مما جعل البداية تتحول إلى نهاية والنهاية إلى بداية، ويمكن استئناف الدورة من جديد بصيغة متواصلة"(طالب، 2004، ص42).

إن التعبير عن الموقف الوجودي في علاقة الذات بمحيطها يمثل في صورة من صوره استثمارا للمكتسبات والخبرات الحياتية وما يرتبط بها من نضج فكري ونفسي، تتمرد بوساطته الذات على ما تراه تقوقعا وانكفاءً كان سببه ذكوري بالأساس ومن ذلكما تضمنه هذا المقطع من موقف سلبي إزاء المرأة: "منذ ذلك اليوم لم نعد نرى والدي إلا مرة أو مرتين في الأسبوع، وفيما بعد عرفت أنه تزوج امرأة بإمكانها أن تنجب له أطفالا ذكورا ما دامت أمي غير قادرة على فعل ذلك". (الفاروق، 2002، ص20)، لذا تفترض كتابة الذات بما هي ممارسة استكشافية، امتلاك موهبة فنية تنمي الرغبة في تخليد الحياة بكل قيمها وتساميها؛ فالكتابة إذًا نقضٌ لكل صوت غير صوت صاحبها، كما أنها نقض لكل نقطة بداية/ أصل، وإثبات للأنا وحفظ لكيانه الحياتي من الاندثار الذي "يعكس الفعل الشرس للنسق الذكوري بسلوكياته ومرجعياته القائمة على احتقار الأنوثة التي تقع فريسة المجد السلطوي". (الصائغ، 2008، ص200)لذا يحمل إحساس الأنثى بداخله هاجس الإحساس بالتهميش والضياع، متخذة في ذلك من التصريح تارة والتلميح تارة أخرى وسيلة للتعبير عن ذاتها بدءا من عنوان الرواية بما هو عتبة من العتبات؛ لتتفرد عملية السرد في الرواية النسائية بطبيعة تشكل سيرورة الذات في حاضر الكتابة الرافض للصمت والثائر على صورة الواقع القاتمة التي هي في اعتقاد الصوت الأنثوي صناعة ذكورية بامتياز، ومن أمثلته التوضيحية صورة العرس الذي تحتضنه القبيلة أو العشيرة وتظهر فيه "النساء يزغردن والعروس تمثل البراءة، ما أبشع أن تكون الواحدة منا عروسا". (الفاروق، د/ ت، ص26)

وعليه يأتي صدى الصوت خافتا وجلا يحكمه تركيب إضافي ( تاء الخجل)، هذا الشكل من أشكال العنونة بقدر ما يحمل في فحواه معنى الانفراد والخوف فإنه مشبع أيضا بالتوق إلى الانطلاق والتحرر بدافع من نزوع الذات نحو الاهتمام بالمشاعر والأحاسيس، نابع من طبيعتها المجبولة على الرقة والمحبة واستشعار مواطن الجمال وتذوقه، وهذا من منطلق عاطفي خاص يتشكل بمقتضاه فضاء النص في الكتابة النسائية معبرا عن مغامرة متجددة تتعدد فيها أشكال الصراع والحوارات بتنوع الشخصيات نفسها، فكأن القارئ إزاء حوارات نصية موجهة وشخصيات فاقدة لإرادتها وهي التي تنصاع مطواعة في فضاء التشكيل الروائي بأقلام نسوية تعتقد تأويلا أنها منتصرة لا محالة فتنتقد تارة وتثور تارة أخرى، وما هذه الثورة إلا ملمح من ملامح منطق الحكي المعاكس للتيار بآلامه وأحلامه وطموحاته وما من سبيل للكشف عنها إلا ما يمليه فعل الكتابة ووحي القلم؛ الذي تقاوم به المرأة " صمت الوحدة، كان صخب الكتابة يكسر قضبان الداخل ويجعلني أمشي في مظاهرة ضخمة تنادي بالحياة" (الفاروق، 2002، ص13)، فالعنوان إذًا يعكس "حمولات دلالية مكثفة داخل بنية النص الروائي كونه العلامة اللسانية الأولى التي يقاربها القارئ على سطح الغلاف"(قطوس، 2002، ص57)، فهو من منظور وظيفي حالة جذب وإغراء للمتلقي للدخول في تجربة قراءة النص، أو حالة صدّ ونفور ومنع وجزء من استراتيجية النص؛ لأن له وظيفة في تشكيل اللغة بوصفه علامة لها مقوماته الذاتية مثله مثل غيره من العلامات المنتجة للمسار الدلالي الذي يكوّنه القارئ في تعامله مع النص (الناقوري، 1995، ص24)

إنّ الإحساس بالاغتراب الذاتي في واقع انتماء الأنثى المجتمعي دافع من الدوافع التي يتأسس عليها الخطاب الروائي النسوي رغبة في تقليص المسافة بين الذات والمجتمع وكشفا لما تتعرض له الأنثى من إغواء وتشويه لصورتها ظاهرة وباطنة، يتجه خلالها السرد "صوب الاسترسال والتكثيف الشعري في كثير من الأحيان تستسلم معه إلى غواية اللغة وسحر اللفظة وزئبقية الصورة فتنحت نصها القريب من ذاتها ومن جسدها وتطبع بصمتها لتبقي

فيها عبق الأنوثة وجاذبيتها التي يخطئها السرد الذكوري لا محالة" (بن السائح، 2012، ص06)

هكذا تتنوع في الكتابة الروائية التجارب الإنسانية التي أعيد صياغتها، لتكون صورة مثلى لملامح الذات الجديدة وقد بدأت تتشكل خطيا متخذة من جسد النص بؤرة من بؤر الحوار الموجَّه في قالب فني موصول بفلسفات فكرية وتحولات واقعية وطبائع مجتمع استمد منها مضامين نصية لافتة ببنياتها وطرائق عرضها؛ فهي كتابة لا تبدأ من اليقين والإذعان بل تبدأ من السؤال من لحظة الشك في نفسها وما حولها وحين تبدأ بسؤال الهوية تؤسس لسؤال الوجود عن ذاتها ودورها في الحياة.

تغدو لحظة الكتابة حينما تتحول إلى موقف من الآخر الذكوري وسيلة من وسائل البوح بمكنونات الذات المتألمة من واقعها المرّ الذي تعيشه، فكأن القارئ إزاء محاولة الفهم لما تريد أن تقوله هذه الذات المتخفية وراء الكيان اللغوي الموظف ولو تطلب منها الجرأة في الطرح أحيانا، وعدائية لما يمت بصلة لعالم الذكورة أحيانا أخرى، تلك هي الصورة التي تظهر بها الأنثى في الملفوظ السردي في رواية (تاء الخجل) وما فيها من تمرد ورفض لعادات عائلية تستصغر الأنثى وتحط من شانها، ومن أمثلته المقطع الآتي: "لكن بكاء أمي الصامت وخلافات صبايا العائلة تجعلني أفقد أعصابي فهو فترة الغداء يوم الجمعة؛ إذ علينا نحن النساء أن ننتظر عودة الرجال من المسجد وبعد أن ينتهوا من تناول الغداء يأتي دورنا نحن النساء كنا جميعا نجتمع عند العمة تونس وكنت أكره ذلك التقليد الذي يجعل منا قطيعا من الدرجة الثانية" ( الفاروق، 2002، ص24)، هو التحدي لعادة من العادات المجتمعية باعتراف صريح عن حالة تذمر لما أسمته كرها لوضع معين؛ ولهذا تواصل قائلة: "كل يوم جمعة أصاب بالصداع، أتمارض وأختار لنفسي موقعا في البستان أو على سلالم السطح لأختفي عن الأنظار كانت تلك أولى بوادر تمردي ومقاومة العائلة"( الفاروق، 2002، ص24)

**فعل الكتابة وثنائية (المرأة/ اللغة)**

تسلك الكتابة بما هي فعل وجودي مسلك مقاومة صور الفناء والقمع والهوان، فارتبطت البدايات من حيث حضورها النصي بالميلاد والتجدد وارتبطت النهايات بالموت والزوال، لذا عنّ تصوران مختلفان للزمن؛ "تصور دائري حيث لا توجد نهاية ولكن الأشياء تولد ثم تموت لتولد من جديد، والنهاية ليست إلا مرحلة في دورة الزمن، والآخر تصور خطي للزمن؛ حيث تولد الأشياء ثم تنمو ثم تضمحل ثم تفنى وتتلاشى، في الأولى نجد نهاية مرحلية وفي الأخرى نهاية مطلقة" (قاسم، 2002، ص78).؛ والتعبير عن حالة التأزم في ظل الإحساس بالزمن يؤدي إلى انخفاض توتر الذات وإضمار عُـقدها مع انحلالها في صمت وسكون، بأسلوب يخلخل شفافية اللغة المكتوبة ويبعدها عن درجة الصفر بانخراطها في لعبة الدوال والتفاعلات النصية التي تستمد طاقتها بدءا ممّا يمكنه الإسهام في رسم معالم عملية الكتابة الإبداعية؛ فإذا هي متضمنة لإشارات دالة على هوية لغة النص وانتمائه الجنسي؛ وتلك قرائن يكون مستهلها عنوانها المثبت على الغلاف؛ فصورة اللغة بناءً على ما سبق غير مكتفية بذاتها لانفتاحها على أبعاد مضمونية وتشكيلات فنية تُؤطَّر زمانيا ومكانيا في نسيج الرواية فكان لها حضورها اللافت في الحوار والوصف الظاهري والباطني لما يدور في فلك الحدث وجريانه في حركة السرد الذي تميز من حيث ملفوظه بمعطيين أساسيين؛ أولهما مركزية الصوت الأنثوي/ الراوي الذي يتحكم في عرض الأحداث ومحاولة توجيهها، وثانيها إضفاء صفة إثبات الذات على الشخصيات النسائية والتأكيد على جرأتها وتفاخرها بأنوثتها وتبنيها لموقف الرفض لما يحدّ من طموحاتها في الوسط الذي تعيش فيه؛ حيث تعكس التجربة الفنية صورة من صور حضور الذات انطلاقا ممّا يتفاعل معها من شخصيات في فضاء الكتابة ومساحة الورقة، لتظل أفكارهم طوعا بيدها، وفي سياق العمل الروائي يتخذ الملفوظ السردي غالبا شكلا من أشكال الصراع بين الأنا والآخر؛ إذ يمثل الطرف الأول المرأة أما الطرف الثاني فيمثله الرجل.

كما تطرح قضية اللغة أيضا ثنائية المركز/ الهامش؛ فلغة المرأة في ظل المعطى الثقافي العربي هامش يتأثر بمركزية ذكورية لها هويتها وحضورها ولا صوت يعلو على صوتها؛ لذا تتحدد مواقف الذات من منطلق وجودي تترجمه اللغة وتعبر عنه الكلمات لتكشف عن كيانها وأفكارها وانتمائها وفلسفتها في الحياة، ضمن احتفاء خاص بسحر للغة أحيانا وبعنفها أحيانا أخرى، والأمر مرهون بما يمليه مقام التلفظ وسياقات الكلام في جسد النص الروائي، لتتحول حينئذ من مستواها التواصلي إلى مستوى آخر يعطي الانطباع لدى القارئ بكينونة المرأة وذاتيتها وعلاقاتها بأعراف مجتمع لم يلق قبول المرأة ورضاها، ولم تكن هذه الوضعية بمعزل عن تصوراتها تجاه ما تعتقد أنه يقف حائلا أمام دورها الفاعل في منظومتها المجتمعية الخاصة بها.

إن الكتابة تجربة ذاتية معيشة تكتب لتجسَّد على سطح الورقة مأساة الذات وتجربتها مع الآخر، يفكر كيف يجعل من الكتابة سفينة النجاة، أي تلك الكتابة التي تشتغل فنيا على اللغة (المودن، 2009، ص114) الدالة في شكل من أشكالها على صور متنوعة مرتبطة بواقع متأزم وما فيه من نماذج بشرية استلهم منها المضامين الروائية أبعادها الفارقة، وهو ما يبين عمق الانسجام بين فعل الكتابة وصاحبها سيسعى في خضمها النص إلى تحويل وجهته صوب أمكنة شتى، لأنه صار اختصارا "ملكا للغة ونظمها الإشارية والدلالية وإيحاءاتها التي لا تنتهي"؛ (أبو شوارب، 2006، ص12). لارتباط أبعادها ودلالتها بما يخطه الكاتب على سطح الورقة، متخذا من قلمه وسيلة من وسائل التعبير عن حياته، ومن أمثلته في رواية (تاء الخجل) المقطع الآتي: "أنكب على أوراقي لأعيش فصول حياة تختلف، أكتب فأتوغل داخل أزقة الذاكرة المعتمة، وأستقر عندك، لقد عرفت أنني تجاوزت سن نسيانك، وأن الوفاء لك صار التزاما أخلاقيا تخطى حدود القلب، ويزعجني أنك تتواجد في الموقع الخطأ في الاتجاه المعاكس لأحلامي وطموحاتي" ( الفاروق، 2002، ص33).

ويتوجه هذا الخطاب الروائي بهويته الأنثوية إلى القارئ مستعطفا إياه ليجد نفسه متماهيا في فضاء السرد فكأنه إزاء محاكمة من نوع آخر لصراع (أنثوي/ ذكوري) تتقنع فيه الكاتبة بقناع شخصيات رواياتها بحثا عن انتصار رمزي لقضيتها ضد الرجل الذي صار مشتبها به في نظرها: "كان يجب أن نتواجه حين قررت أن أهجرك فجأة، كان يجب أن تسألني أن تلاحقني، أن تطلب مني توضيحا أن تعتذر عن ذنب لم تشعر أنك ارتكبته، لكنك رجل من برج الثور معطاء في الحب شحيح في الاعتذار"( الفاروق، 2002، ص18) هنا تتعالى الذات المتكلمة رافضة أن تنقاد لنزوات تحط من قيمتها وتقضي على جوهر العلاقة لديها، معتقدة أن ذلك لن يؤثر في مسلك الكتابة الإبداعية، تقول في هذا الصدد: "لن أحاكمك سأواصل السرد فقط، سأقول لك متى التوت جوارحي فعلا ومتى تحركت زلازل الداخل بقوة غيرت خارطة مشاعري"( الفاروق، 2002، ص35).

وفي موضع آخر لا يفوتها أن تقرّ بلسان الحال قائلة: "لم أكن أدري أنني منحت نفسي خيبة محكمة الإغلاق؛ بعدك حادت الدنيا قليلا عن مسارها، صارت أكثر حدّة، بعدك صار الرجال أكثر قسوة أيضا، صارت الأنوثة مدججة بالفجائع"( الفاروق، 2002، ص14) في اعتراف منها بما آل إليه وضعها بعد أن تحول الرجال في نظرها وفي ملفوظ سردها إلى قساة يمثلون صورة مصغرة لمجتمع مشبع بهذه القسوة التي كانت سببا من أسباب خسرانها لكثير من الأشياء: "كنت مشروع أنثى ولم أصبح أنثى تماما بسبب الظروف، كنت مشروع كاتبة ولم أصبح كذلك إلا حين خسرت الإنسانة إلى الأبد، كنت مشروع حياة" (الفاروق، 2002، ص15)، وفي سياق توصيف ألم المعاناة تستحضر الكاتبة صورة البيت الذي نشأت فيه وأن سبب عتمته همُ الرجال أنفسهم: "لماذا خانني المطر بعد ذلك؟ ألأنني من بني مقران؟ من ذلك البيت المليء بالخيبات المغلقة والبريق الزائف؟ أم لأنني أنثى تملؤها العقد؟"( الفاروق، 2002، ص19)، فأمكنة النشأة ومواطن الصبا غالبا ما تكون مصدر

شوق وحنين جارفين يكنّ لها الفرد نوعا من القداسة والشعور بالألفة والارتباط بالمكان، غير أن الأمر يختلف إذا ما تعلق بموقف من سلطة العرف ونظام العائلة.

وفي المحصلة فإن رواية (تاء الخجل) لفضيلة الفاروق تمثل بلغتها وطبيعة سردها مجالا لجدل صوتين ذكوري مسموع من جهة وأنثوي مقموع من جهة أخرى، يسعى بما توفر لديه من قدرة على الكتابة والإبداع إلى إيجاد بدائل لهذا الصراع الثنائي المحسوم في نظر الأعراف المجتمعية مادام أن هذا المجتمع ذكوري بطبعه وميوله، فلا يكاد يجد صوت الأنثى من يسمعه وبخاصة إذا ما خالف ماهو سائد من مواقف وتوجهات، هكذا يُدار الصراع بتوجبه لشخصياته المؤثرة والمتوارية وراء لغة الكتابة وما هذه اللغة في حقيقتها إلا أداة من أدوات التعبير عن الذات الأنثوية في آمالها وأحلامها وحركاتها وسكناتها، وعليه تعدّ معالجة قضايا المرأة، بما هي مادة سردية، محاولة لتسليط الضوء على مواقفها ومشكلاتها وردود أفعالها إزاء تصرفات مجتمعها الذكوري الذي تعتقد أنه يحول بينها وبين تحقيق طموحاتها الآنية والمستقبلية.

لقد عالجت هذه الرواية قضايا متنوعة اعتمادا على ملمح فني يتمثل في تطويع لغة السرد وجعلها كيانا تدافع به الكاتبة عن نفسها؛ وهذه الممارسة مؤشر على وضع خاص أشبه بحالة من حالات التمرد والانفعال للوصول بالقارئ إلى اكتشاف ذاتها وموقفها من الأعراف والمعتقدات المتحكمة في سلوكات الناس ونظرتهم للأنثى التواقة إلى الحرية والانطلاق، ولما كانت مواجهة المجتمع المحصن بمركزية ذكورية مهيمنة محسومة في الواقع، فإن مدار الأمر مرهون إذًا بالبحث عن ميدان آخر للصراع يكون الانتصار فيه مضمونا لطابع أحادي التوجه ضامن لما ستؤول إليه الأحداث في فضاء سردي منطلقه ذاتي بالأساس؛ يغذيه هاجس وجودي مرهون برؤية خاصة لمعاني الحرية والقيم السائدة في المجتمع بأعرافه وتقاليده، وعليه لا تنحصر القيمة الجمالية للغة الكتابة النسوية امتدادا وتأثيرا على آليتي اختيار اللفظ وتوظيفه بل يتعداه ليعبر عن كينونة لها ثيماتها الخاصة بناءً على خبرة حياتية في

التعامل مع المواقف بأبعادها الثقافية والاجتماعية وهو ما يعكس وعي الروائي بمتطلبات المرحلة ومعرفة محاورها المركزية وامتداداتها من جهة، وإدراكه لما تمتلكه العملية الإبداعية من قدرة على اكتناه جوهر الأشياء انطلاقا من قصدية التوظيف للعناصر الروائية وتضافرها وتجانسها ودمجها للواقعي بالمتخيّل، والاعتماد على الإسهاب في عرض الأحداث وتفصيل جزئياتها على تقنيات فنية تتيح تشكيل النص الروائي بوصفه كتابة من الداخل؛ إذ يتخذ السرد النسوي من موضوعات الواقع الحياتي وقضاياه مادة يعاد تشكيلها فنيا بطريقة تسبر أغوار العلاقة بين المرأة وانتمائها الأسري أو الاجتماعي، وانعكاس ذلك على نفسيتها وآفاق طموحها، بذا تمتلك القدرة على قول ما لم تتمكن من قوله كشكل من أشكال التحدي أو البوح أو إثبات الذات وتحقيق البعد الوجودي ورقيا من خلال الفضاء الروائي.

**مصادر الدراسة ومراجعها**


- بنكراد، سعيد، 2008 .السرد الروائي وتجربة المعنى، ط1، المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان
- تيبرماسين، عبد الرحمن وآخرون، 2002 .السرد وهاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق،ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون. لبنان
- بن جمعة، بوشوشة، 2009 .الرواية النسائية التونسية، ط1، المغاربية للطباعة والإشهار. تونس
- بن السائح، الأخضر، 2012 .سرد المرأة وفعل الكتابة. دار التنوير. الجزائر
- الصائغ، وجدان، 2008 .شهرزاد وغواية السرد، قراءة في القصة والرواية الأنثوية، ط1، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت.
- طالب، أحمد، 2004 .مفهوم الزمان ودلالته في الفلسفة والأدب، د/ ط، دار الغرب للنشر والتوزيع. وهران. الجزائر

- العيد، يمنى، 2001 .الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، ط1، دار الفارابي. بيروت. لبنان

- الفاروق، فضيلة، 2002 .تاء الخجل، منشورات رياض الريس للكتب والنشر. بيروت. لبنان

- قاسم، سيزا، 2002 .القارئ والنص، د/ ط، الشركة الدولية للطباعة. مدينة 06أكتوبر. القاهرة

- المدغري، نعيمة هدى، 2009 .النقد النسوي-حوار المساواة في الفكر والأدب،ط1، منشورات فكر دراسات وأبحاث. الرباط. المغرب

- مصطفى، أبو شوارب محمد، ومحمود المصري، أحمد، 2006 .جماليات الأداء الفني، ط01، دار الوفاء. الإسكندرية. مصر

- المودن، حسن، 2009 .الرواية والتحليل النصي، قراءات من منظور التحليل النفسي، ط1، منشورات الاختلاف. بيروت. لبنان

- موسى قطوس، بسام، 2002 .سيمياء العنوان، مطبعة البهجة، الأردن

- الناقوري، إدريس، 1995 .لعبة النسيان (دراسة تحليلية نقدية)، ط01، الدار العالمية للكتاب، المغرب

# الأنساق الثقافية في رواية: "أنا وحاييم" للحبيب السائح

**الدكتورة وافية حملاوي**

**جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي–الجزائر**

**تاريخ الإيداع: 2019/03/04 م تاريخ التحكيم: 2019/03/06م تاريخ القبول: 2019/03/09م**

**الملخّص:**

تُعدّ رواية "أنا وحاييم" حفرًا مُرهفًا في الجوانب المتعلّقة بتخييل العلاقة التي ربطت بين "حاييم" (اليهودي) و"أرسلان" (المسلم)، وهي علاقة تاريخية محورها إنساني، ومحرّكها سؤال الهويّة، وهمها التّعايش بسلام. ينطلق "الحبيب السائح" في روايته هذه، من قناعةٍ مفادها أنّ اليهود الجزائريين، شكّلوا جزءًا لا يتجزّأ من مكوّنات البلد البشرية والتاريخية والثقافية، وبالتّالي فهذه الرواية شهادة لتخليد ذلك التّعايش الّذي ظلّ لمدّة قرون قائما بين الجزائريين: مسلمين ويهود.

## The cultural paterns in the novel: “Me and Haim” Al Habib Asayah

**Dr..Wafia Hamlaoui**

**-Al Arbi Ben M’hidiUniversity- Oum El Bouaghi -Algeria**

**The Abstract:** The novel "Me and Haim" is an elaborate study of the relationship between Haim (The Jewish) and Arslan (The Muslim), a historical, human-centered relationship whose motive is the question of identity, and its interest is living in peace.

In this novel, Al Habib Asayah is convinced that Algerian Jews have become an integral part of the country's human, historical and cultural components, and therefore,this novel is a testimony to the commemoration of the centuries-long co-existence between the Algerians: Muslims and Jews

# الأنساق الثقافية في رواية: "أنا وحاييم" للحبيب السائح

**الدكتورة وافية حملاوي**

**جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي–الجزائر**

لعقود من الزّمن ظلّت السرديات في مقاربتها للسّرد منحصرة في أفقها البنيوي. وإذا كانت قد استطاعت أن ترسي مقاربة علمية دقيقة للسّرد خلال المرحلة البنيوية، فإنّ مشروعها النسقي لم يخل من مفارقات ابستمولوجية، كشفت عن محدودية هذا الأفق البنيوي. ذلك أنّ طموحها إلى بناء نحوٍ للسّرد على غرار نحو اللّغة، جعلها تسقط في ميتافيزيقا النسق، حيث تحدّد موضوعها في بناء نموذج افتراضي كلّي للسرد. وهذا ما ترتّب عنه اختزال النصّ المفرد إلى مجرّد تجلٍّ لهذه البنية الافتراضية العامّة، باعتبارها إنجازا من إنجازاتها الممكنة. (**محمّد بوعزّة، 2014، ص15**)

وكانت النتيجة تهميش دينامية النصّ المفرد لفائدة نسقية النّموذج، بحيث صار موضوع البحث هو السرد بصفة عامّة، وليس هذا النّوع السردي أو ذاك، أو النصّ السردي المفرد، وإنّما قواعد النّسق بصفة مجرّدة متعالية على تحققاتها الإمبريقية. هذا المأزق الإبستمولوجي، كان نْتاج التأثّر بالنموذج اللساني، لكنّه انبنى على مفارقة، تمثّلت في إهمال طبيعة النصّ المعقّدة، ذلك أنّه لا يُمكن إسقاط النّموذج اللّساني على وصف النّصوص، لأنّ بنيتها الدّاخلية تعتمد على عوامل ليست لسانية بشكلٍ خالص.(**محمّد بوعزّة، 2014، ص15**)

تكمن دينامية الإبدالات المعرفية للمشروع البنيوي في مجال الدّرس الأدبي، في تأسيس علمٍ جديد للأدب، أحدث قطيعة مع النّماذج التّفسيرية، وأفضى إلى إنتاج معرفة شفّية دقيقة بالخطاب السّردي على درجة عالية من الوصف الموضوعي.

إنّ الإشكالات المعرفية المرتبطة بوهم النّموذج العلمي، هي في الحقيقة جزء ممّا عرفته الشعرية تاريخيا من التباسات منطقية ومفارقات ابستمولوجية، خاصّة في نزعتها العلموية الوضعية، وهو ما كان **"تودوروف"** نفسه تنبّه إليه، وجعله يعيد النّظر في النّزعة الشكلانية للمنهج البنيوي في سياق مراجعة جذرية وشاملة للمشروع البنيوي، بدأت ملامحه الأولى في كتابه **"نقد النّقد"**، حيث اقترح ما أسماه بـ: **"النّقد المحوري"** نموذجا بديلا للشعرية، وأيضًا ما كتبه في المقدّمة الإنجليزية لكتابه **"الشّعرية"**، حيث قام بمراجعة شاملة لوضعية الدّراسات الأدبية خلال الثمانينات، مسجّلا التغيّرات الّتي بدأت تطرأ على نظرية الأدب، موضّحا أنّها **(تعود بالأساس إلى أنّ الخصوصية الأدبية ليست من طبيعة لغوية (وبالتالي كونية) وإنّما من طبيعة تاريخية وثقافية.) (تزفيطان تودوروف، 1990، ص16)**

وهو الأمر الّذي استلزم مراجعة وإعادة النّظر في الخلفيات المعرفية المؤسسة للنّظرية السردية. ففي مقابل اتّساع طبيعة السّرد التعبيرية والثقافية والرّمزية، اختزلت السرديات طبيعة السرد في بنياته الشكلانية، ومن جهة أخرى، وبسبب ارتهانها إلى النّموذج البنيوي انتهت السّرديات إلى تقليص دينامية النصّ في المستوى اللّغوي، بحيث ستختزل هوية السرد إلى مجرّد وحدة لسانية صغرى هي الجملة النّحوية، تخضع للوصف اللّساني، وبذلك ستضحي بمرجعيات السرد الدلالية والرّمزية، الّتي تستدعي ربط السرد بنماذج أخرى أكثر شمولية، تداولية وثقافية وتأويلية. **(محمّد بوعزّة، 2014، ص33)**

لقد كسرت الدّراسات الثقافية مركزية "النص"، ولم تعد تنظر إليه بما إنّه نصّ، ولا إلى الأثر الاجتماعي الّذي قد يظنّ إنّه من إنتاج النصّ. لقد صارت تأخذ النصّ من حيث ما يتحقّق فيه وما يتكشّف عنه من أنظمة ثقافية.

فالنصّ هنا وسيلة وأداة، وحسب مفهوم "الدراسات الثقافية" ليس النصّ سوى مادّة خامّ يستخدم لاستكشاف أنماط معيّنة من مثل الأنظمة السردية والإشكالات الإيديولوجية

وأنساق التّمثيل، وكلّ ما يُمكن تجريده من النصّ، لكنّ النصّ ليس هو الغاية القصوى للدّراسات الثقافية، وإنّما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أيّ تموضعٍ كان، بما في ذلك تموضعها النّصوصي. (**عبد الله الغذامي، 2005، ص17**)

وليست المسألة بقراءة النصّ في ظلّ خلفيته التاريخية، ولا في استخدامه للإفصاح عن الحقب التاريخية ذات الأنماط المصطلح عليها، فالنصّ والتاريخ منسوجان ومدمجان معًا كجزء من عملية واحدة. والدراسات الثقافية تركّز على أنّ أهمية الثقافة تأتي من حقيقة أنّ الثقافة تُعين على تشكيل وتنميط التاريخ وأفضل ما تفعله الدّراسات الثقافية هو في وقوفها على عمليات إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها؛ وهذه بما أنّها تمثّل الإنتاج في حال حدوثه الفعلي فإنّها تقرّر مصير أسئلة الدّلالة والإمتاع والتّأثيرات الإيديولوجية، وهذا يستحضر نظرية "الهيمنة" الّتي طرحها "**غرامشي**" من قبل، والّتي يؤكّد فيها أنّ السّيطرة لا تتمّ بسبب قوّة المسيطر فحسب، ولكنّها أيضًا تتمكّن منّا بسبب قدرتها على جعلنا نقبل بها ونسلّم بوجاهتها. (**عبد الله الغذامي، 2005، ص17، 18**)

ما يُميّز السرد ليس هو كونه صيغة للتلفّظ، ولكن بالأساس، طبيعته عبر اللسانية، إنّه يمثّل خطاب الذّات إلى العالم، يقوم بوظيفة الوساطة الرّمزية، بمعنى أنّه كفعلٍ رمزيّ يتوسط التّجربة الزمانية الإنسانية (فالعالم الّذي يفترعه أيّ عملٍ سردي هو دائما عالم زماني ... إنّ الزمن يصير زمنًا إنسانيا مادام ينتظم وفقا لانتظام نمط السّرد، وأنّ السرد بدوره يكون ذا معنى مادام يصوّر ملامح التّجربة الزّمانية.) (**محمّد بوعزّة، 2014، ص33، 34**)

يطرح "**عبد الله الغذامي**" مفهوم "**النّسق**" كمفهوم مركزيّ يكتسب عنده قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصّة حدّدها فيما يلي:

**1–** يتحدّد النّسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرّد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلّا في وضع محدّد ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة

الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضًا وناسخًا للظّاهر. ويكون ذلك في نصٍّ واحد، أو فيما هو في حكم النصّ الواحد. ويشترط في النصّ أن يكون جماليا، وأن يكون جماهيريا. وبالتّالي بالثقافة تسعى إلى تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خافية، و"الجمالية" هي أهمّ الحيل الّتي من تحتها تجري تمرير أخطر الأنساق وأشدّها، وأمر كشف هذه الحيل لن يتسنّى إلّا عبر ملاحقة الأنساق المضمرة ورفع الأغطية عنها. (**عبد الله الغذامي، 2014، ص77**)

**2–** لابدّ من قراءة النّصوص والأنساق قراءة خاصّة، أي إنّها حالة ثقافية، والنصّ هنا ليس فحسب نصّا أدبيا جماليا، ولكنّه أيضًا حادثة ثقافية؛ وبما أنّه كذلك فإنّ الدّلالة النّسقية فيه سوف تكون هي الأصل النّظري للكشف والتّأويل، مع التّسليم بوجود دلالات أخرى؛ الصّريح منها والضّمني، والتّسليم بالقيمة الفنيّة وغيرها من القيم النّصوصية التي لا تلغيها الدلالة النّسقية، وليست بديلًا عنها.(**عبد الله الغذامي، 2014، ص78**)

**3–** والنّسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فإنّ هذه الدّلالة ليست مصنوعة من مؤلّف، ولكنّها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، ومؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللّغة من كتّاب وقرّاء، يتساوى في ذلك الصّغير مع الكبير والنّساء مع الرّجال والمهمّش مع المسوّد. (**عبد الله الغذامي، 2014، ص79**)

**4–** والنّسق هنا ذو طبيعة سردية، يتحرّك في حبكةٍ متقنةٍ، ولذا فهو خفيّ ومضمر وقادر على الاختفاء دائما، ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمّها قناع الجمالية اللّغوية، وعبر البلاغة وجمالياتها تمرّ الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلّة الوارفة. (**عبد الله الغذامي، 2014، ص79**)

**5–** هناك نوع من "الجبروت الرّمزي" ذي طبيعة مجازية كليّة/جماعية (وليست فردية كما هو المجاز البلاغي)، أي إنّه تورية ثقافية تشكّل المضمر الجمعي، ويقوم "الجبروت الرّمزي" بدور المحرّك الفاعل في الذّهن الثقافي للأمّة، وهو المكوّن الخفيّ لذائقتها ولأنماط تفكيرها وصياغة أنساقها المهيمنة. (**عبد الله الغذامي، 2014، ص80**)

وبالتّالي فاسترجاع المرجعية الثقافية، تجعل السّرد أكثر من مجرّد مظهر لفظي للخطاب، إنّه (تشكيل عالم متخيّل، تُحاك ضمنه استراتيجيات التّمثيل، وصور الذّات عن ماضيها وكينونتها، وتدغم فيه أهواء، وتحيّزات وافتراضات تكتسب طبيعة البديهيات، ونزوات وتكوينات عقدية، يصوغها الحاضر بتعقيداته بقدر ما يصوغها الماضي بمتجلّياته وخفاياه (...) كما يصوغها بقوّة وفعالية خاصّتين، فهم الحاضر للماضي وأنهاج تأويله له.) (**إدوارد سعيد، 1997، ص16**)

يُعدّ الروائي "**الحبيب السائح**" أحد أهمّ الروائيين الجزائريين من جيل السّبعينات إلى جانب "واسيني الأعرج" و"جيلالي خلّاص" و"مرزاق بقطاش" و"رشيد بوجدرة"، حيث إنّ اسمه ظلّ رائجًا مغاربيا أو عند النقّاد المشارقة العارفين بالمشهد السردي العربي، فلا يمكن أن يسقطوا من أذهانهم هذه التّجربة المتميّزة بتراكمها وخصوصيتها: مناخا وأسلوبا ولغة تراهن على فصاحتها القصوى في مجتمع "مفرنس".

تُعدّ رواية "**أنا وحاييم**" أحدث رواية كتبها الأديب المتميّز "الحبيب السّائح"، وقد صدرت أوّل مرّة عام 2018 عن "دار ميم" للنّشر الجزائر، وكذا "دار مسكيلياني" بتونس، حيث دخلت في القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرّواية العربية لعام 2019، وهي النّسخة العربية لجائزة "بوكر" العالمية للرّواية.

بدا الروائي "الحبيب السائح" في هذه الرّواية مشغولًا كأشدّ ما يكون الانشغال بهاجس الهوية وقضايا وطنية عميقة صاغها في عالم روائيّ طافحٍ برائحة الجزائر زمن الاستعمار الفرنسي وغداة الاستقلال، ناسجًا بيدِ روائي بارع، خيوط حكاية تنقبض لها نفسك حينًا، وهي تحدّثك بتفصيل مذهلٍ عن أجواء الحرب وجرائم المستعمر والتمييز العنصري، وعن الفقد، ...، وتنشرح لها أحيانا أخرى، وهي تحملك في أجواء عواطف الحبّ والصداقة والحنين والتّسامح الديني، وعشق الوطن. وقد يلتقي الضدّان معا، فتولّد حرارة الحبّ من رحم الحرب وبرد الثلج.(**الحبيب السّائح، 2018، صفحة الغلاف**)

فبين سعيدة ومعسكر ووهران والجزائر العاصمة رحلة مليئة بأحداث متشابكة، بطلها شابّ يتبعه آخر مثل ظلّه واقعا وخيالا، حتّى ازدحمت بحضورهما الرواية، وفاضت على العنوان "أنا وحاييم"؛ شابان لم يقامرا بالهوية، على ما في المسالك إليها من معاناة ووجع، وقد تابعتها عين لا تُفلت شاردة. منذ أن كانا طفلين، حتّى إذا بلغا أشدّهما فرّق بينهما "هادم اللّذات" ... وهي عين الرّاوي تنتقل بسلاسة بين زاوية وأخرى، فتطوي، في تعسّف، مرحلة ساخنة من تاريخ الجزائر. (**حبيب السّائح، 2018، صفحة الغلاف الخلفي**)

أولت الدراسات الأدبية والنّظريات الفلسفية أهمية كبيرة لموضوع الهوية، ولعلّ دراسات **"بول ريكور"** تعرض أهمّها، حيث ربط الهوية بالأدب عامّة وبالسّرد تحديدا، مبرزًا علاقة السرد بالحياة في ديناميتها وحركيتها، فالحياة الفارغة لا يمكن سردها، والحكاية لا تدور إلّا حول حياة مركزها الدّوران والمغامرة وعدم الثّبات بشكل تحيل فيه الذات إلى الآخر، ومنه تُعلن **"الهوية"** حضورها داخل تفاصيل الواقع اللغوي النصي حيث لا تكاد تنفلت من قبضة اللّغة والكلام لتصنع جزءًا من إحداثياتها الماهوية.

لقد بدأ الاهتمام بـ **"الهوية"** منذ عصر النهضة؛ حيث حاول العرب معرفة هويتهم بعد الصّدام الّذي حدث بينهم وبين الغرب، فقد بدأوا بوعي ذاتهم العربية، الشرقية، الإسلامية ... وهذا من خلال وعيهم بالآخر (الغرب)، ذلك أنّ الاهتمام بمسألة "الهوية" والبحث عنها، لا تظهر إلّا عندما تمرّ الأمة بأزمات، أو عندما تصطدم بشيء مفقود لديها.

فالفكر العربي يسعى دائما إلى البحث عن ذاته أو بالأحرى عن خصوصيته نتيجة ما يُعانيه من شعورٍ حاد بفقدان الحرية بعد تضليله عمدًا في أغلب الأحيان. فالمحيط المادي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي الخاصّ به لابدّ أن يُنتج فكرا ذا خصوصية إمّا من حيث المضمونُ الّذي يعكس هذا المحيط، وإمّا من حيث الطريقة والأدوات والأساليب وبناء الأنساق والمقولات والمعايير الفكرية التي تشكّل في مجموعها منظومة متمايزة يتمّ في ضوئها التّعامل مع هذا المحيط.

تكون الهوية عرضةً للتّحبيك، فثمّة جماعات لا تتمثّل وجودها التّاريخي الخاصّ إلّا من خلال سردها الخاصّ أو تحبيكها الخاصّ لتاريخها الثقافي، وهذا التّحبيك هو –في المقابل– مايدعم هويتها، وهو ما يكوّن الهوية السردية **"Narrative Identity" –** بحسب تعبير "بول ريكور"، وبحسب "إدوارد سعيد" فإنّ الهوية القومية متورّطة باستمرار في السّرد، سرد ماضي الأمّة وسرد أجدادها المؤسّسين، وسرد الوثائق والوقائع الأصلية، وهو ما يجعل وجود الهوية مرهونا بوجود تحبيكها أو سردها الثقافي الخاص. وهذا ما يستوحى من عنوان الكتاب الّذي حرّره "هومي بابا" عن الأمّة والسّرد **"Nation and Narration"**؛ حيث تكون الأمّة هي عين السردية التّي كونتها على نفسها وعن تاريخها التي تتموضع داخله، بحيث لا يكون لها من معنى إلّا من خلال هذا التموضع. (**نادر كاظم، 2016، ص130، 131**)

إنّ الهوية الثقافية ليست حقيقة جوهرية، ولا هي معطى ثابت لا يتغيّر، وواقعيتها واقعية متخيّلة –إن صحّ هذا التّركيب– نتحصّل عليها من خلال عملية يسمّيها "إدوارد سعيد" "**التّلفيق**" أو "**الاختلاق**" "**Invention**"، و"**الفبركة**" "**Fabrication**"، كتلك العملية الّتي تمّ من خلالها اختلاق تاريخ قديم لإسرائيل بعد أن تمّ إسكات التاريخ الفلسطيني، أو مثل تلك العملية التي تمّ من خلالها تلفيق بلاد الإغريق بقطع جذورها الأفروآسيوية، لتكون أوروبية خالصة (...) لذلك فهناك دائما سياسات للهوية، وسياسات للتموضع، الذي تستقرّ فيه الهوية برهة من الزمن قبل أن تتحوّل إلى موضع آخر.(**نادر كاظم، 2016، ص131، 132**)

تتّخذ رواية "**أنا حاييم**" للروائي "الحبيب السائح" صفة نصٍّ إشكالي، تنبثق إشكاليته من التباس هويته النصيّة، حيث يقع تمفصله الأجناسي بين تجاذبات المابين، بين ميثاق الهوية وغواية التّخييل السردي، وبالتالي لا تنبئ هويته على نسقٍ مغلق، بل على صيرورة مفتوحة على الانزياحات والتوتّرات الحدودية، ولذلك لا يطرح ميثاقا جاهزا للقراءة.

ولذلك فقراءة هذه الرواية وفق سنن أحادي، سيطمس ديناميتها، لذلك نقترح قراءتها قراءة تفاعلية تبحث في التفاعلات والانزياحات، وفي الشّفرة عبر اللّسانية، وهي تخترق الحدود بين الأنساق الثقافية، قراءة تقوم على تفكيك التجاذبات المتبادلة بين التاريخ والهوية، وما يترتب عنها من انزياحات وتفكيك.

تندرج رواية "أنا وحاييم" ضمن ما يسمّى "بالرواية التاريخية"، (هذه الأخيرة الّتي تكمن طاقتها المذهلة في قدرتها على توليد المعنى من تجاويف سكون سجلات الأخبار وصمتها عن ذكر الوقائع، وذلك باستدعاء الماضي لمزيد التبصر بالحاضر أو بالتجاوز معه لاستدراك ما أهمله، والتكشّف تبعا لذلك على حقيقة الإنسان.) (**محمد القاضي، 2008، ص10**)

تأخذ الرواية على عاتقها إعادة بناء التاريخ عن طريق سردٍ جماليّ شاعريّ أنيق محكم، ترمّم به المهترئ من الهوية؛ حيث مزج "الحبيب السائح" السّوابق باللّواحق بطريقة لتوزيع الزّمان والفضاء بأشكال حضور السّارد، فها هو يحكي عن تاريخ مدينة "سعيدة"، وهذا التّاريخ الّذي اطّلع عليه "أرسلان" من كتب التّاريخ من مكتبة ثانويته، لكن جدّته تضيف إلى هذا التّاريخ المدوّن الكثير؛ الجدّة الّتي تمثّل الماضي بكلّ صدقه وعراقته وأصالته، حيث كانت تربط بينهما علاقة وطيدة، تنمّ عن حلقة الوصل القوية بين الماضي والحاضر وكذا المستقبل،(**فحدّثتها عن أنّ مدينة سعيدة الحالية، لأنّي كنتُ قرأتُ ذلك في أحد الكتب التاريخية لم تكن في الأصل سوى مجرّد حامية بناها عسكر الاحتلال، فاكتفت بأن ابتسمت لي، فطلبتُ منها، لأنّي ظللتُ أتصوّر ذاكرتها تشبه خزانة مخطوطات قديمة، أن تفرز لي واحدة من حكايات كثيرة تُروى عن تأسيسها لم ينسجها خيال سكانها. وانتظرتُ أن تؤكّد لي أمر الحامية فحسب، فإذا هي تضيف بنبرة استصغار، أنّه سرعان ما أُقيم حولها سور نبتت داخله بعض السكنات البائسة –كنت أعرف مشاعر جدّتي حين يتعلّق الأمر بالمحتلّين.**) (**الحبيب السّائح، 2018، ص102**)

ومن سردٍ لتاريخ مدينة "سعيدة" العريق، يمرّ بنا "الحبيب السائح" ليتحدث عن "الأمير عبد القادر الجزائري" ذلك الرّمز التاريخي الرّاسخُ الآسر، الّذي جعل الاحتلال يحسبُ له ألف حساب، ويُمنّي نفسه بالموتِ ألف مرة قبل أن يواجهَهُ. "الأمير عبد القادر" الّذي كان ولا يزالُ يمثّل الهوية الجزائرية بامتياز، تلك الهوية الّتي لم يستطع الاحتلال الغاصب طمسها، رغم محاولاته الكثيرة، فها هو الراوي يصف لنا دار الأمير، وصفا دقيقا تعبق منه رائحة التاريخ الجزائري العريق (**كانت دارًا من الطّراز العربي تدعمها ركائز دائرية، ذات أرضية مبلّطة بألواحٍ من الرّخام الأبيض، وأروقة مزيّنة بالفسيفساء، حجرات مقبّبة السقوف، بنوافذ وأبواب مقوّسة، وجدران بقوالب جصية نُقشت فيها بإتقان كتابات بالعربية ملوّنة**

**بالأصفر والأسود في تناسق تامّ مع كلّ ما يظهر للعين من رونق.)(الحبيب السّائح، 2018، ص106)**

مُضيفا السّبب الّذي دفع الجنرال "بيجو" لحرق هذا المنزل **(حتّى يجنّب جنوده أن ينزرع الشكّ في نفوسهم عند رؤيتهم إيّاها على تلك الحال، في مثل هذه الأرض البعيدة الّتي أُخبروا عنها أنّ ساكنيها متوحّشون يجب أن يُدخلوا بالقوّة إلى الحظيرة الإنسانية أو يُبادوا.) (حبيب السّائح، 2018، ص106)**

تلك إذا كانت نظرة الغربي المستعمر، للإنسان العربي المسلم، نظرة فوقية متعالية مجرّدة من كلّ القيم، وكلّ الإنسانية، وهذا ما يبدو لنا بشكلٍ جليّ في هذه الرّواية؛ حيث تحدّث "الحبيب السّائح" كثيرا عن ثنائية **(الأنا/الآخر)**، **(المستعمِر/ المستعمَر)**، **(الغربي/ العربي)**، **(المسيحي/ المسلم)**. فها هو يقول: **(غير أنّ ما سبّب لي و "حاييم" الصّدمة النّفسية الأخرى، في اليوم التالي، لمّا قصدنا إقامة ثانية تُؤجّر غرفها عن طريق لجنة الخدمات المدرسية والجامعية، هو ما واجهنا أعلى مدخلها، كانت اللّافتة البيضاء، تُعلن بالخط الأحمر: "هنا لا يُقبل الأنديجان". كُلّما تذكّرتها، كما في هذه الليلة، أحسست رضوض وجداني ثارت من جديد، فتألّمتُ مرة أخرى. وأرّقني كيف يكره الإنسانُ الإنسانَ، كيف ينزّله إلى حضيض الاحتقار، فلا يسوّيه، في طعامه وشرابه، حتّى مع الحيوانات (...) وكنت لا أجد سوى غيضي أبديه لحاييم ممّا يظهره الأقدام السوداء والأوروبيون من ازدراء تجاه الأهالي يبلغ حدّ الإهانة؛ خاصّة من يستخدمونهم في الحمالة والتّنظيف وكأنّهم أقنان! ينهرون طالبي العمل منهم مثل حيوانات جرباء يجب أن تُبعد، ويشتمونهم.) (حبيب السّائح، 2018، ص74، 75)**

فالشّعب المستعمَر مهما بلغ درجات العلم والرّفعة، إلّا أنّه يظلّ في نظر المستعمِر دائما مجرّد أنديجان، فها هم الجامعيون من الأهالي يتناقشون حول هذا الميز العنصري الّذي يتجرّعون مرارته يوميا(**إنّنا لا نعيش سوى وهم كوننا طلبة جامعيين، أنظروا إلى ما يتمتّع به نظراؤنا من الأقدام السوداء والأوروبيين، وحتّى من بعض اليهود المجنّسين في الجامعة نفسها! إنّي أسأل: إلى متى سنظلّ نعاني من هذا الميز السّافر؟ (...) يبدو أنّ صبرنا لن يدوم أكثر ممّا دام على استفزازات الطّلبة العنصريين من الأقدام السوداء والأوروبيين والمتواطئين معهم في الإدارة وفي الخدمات الجامعية وبعض الأساتذة أنفسهم من بقايا الفاشيين.**) (**الحبيب السّائح، 2018، ص92**)

تضعنا رواية "أنا وحاييم" أمام نسق ثقافي أربك كثيرا عاداتنا القرائية، وجعلنا نعيد النّظر في الكثير من القراءات الّتي مرّت علينا، خاصة عندما يتعلّق الأمر بموضوع "المهمّش اليهودي"، هذا الأخير الّذي تمّ التطرّق إليه من قبل روائيين آخرين: كرشيد بوجدرة وأمين الزاوي، وحميد عبد القادر وغيرهم.

هذه الرّواية التي تحكي ظاهريا إيقاع الصداقة بين مسلم ويهودي، تطرح أكثر من تساؤل يرتبط بعضُه، بسياق كتابة هذه الرواية، ونحن نعيش تحوّلا في علاقة العرب مع إسرائيل، وفي علاقتهم مع بعضهم بعضا، ليتجدّد الكلام عن الأقليات والإثنيات والثقافات القومية والطّوائف، وغيرها من المكوّنات الّتي عدّ تغييبها عاملًا من عوامل تغييب الوعي التاريخي بها، وعدّت كذلك عاملا فيما وصلت إليه البلاد العربية من تشرذم، وصراعات تغذيها ثلاثة خطابات هي: "الإرهاب والعولمة والحوار"؛ أمّا الخطاب الأوّل فيقوم على الإدانة، والثاني على بسط الهيمنة بالوسائل النّاعمة، وأما الثالث فينخرط في خطاب الدعوة إلى التعايش الإنساني، ومنه فهذه الرواية تندرج في الشّق الثالث من هذه الخطابات.(**آمنة بلعلي، kalimates.com**)

إنّ لهذه الرّواية أهمية وقيمة ورؤية توجّهها وتجعلها جزءا من تاريخ الأدب الإنساني، الّذي هو تاريخ التخصيب المتبادل والمتواصل بين الأفكار، شرط أن يكون هذا كلّه خارج حدود الجدران المصطنعة بين الثقافات، وهذا ما دفعنا نحن كقرّاء لهذه الرّواية إلى تجاوز المعنى السّطحي لها، لنغوص إلى البنية التّحتية التي تغصّ بالأنساق المضمرة والمسكوت عنها داخل هذا النصّ الإبداعي. لقد لجأ "الحبيب السّائح" في هذه الرّواية إلى إعادة تحيين مجموعة من القيم تماشيا مع فكرة التعايش ذاتها، إضافة إلى تفعيل مجموعة من الآليات، وصياغة مواقف مغايرة، والتخلّي عن قيم معيّنة لحساب قيم جديدة، هذا كلّه، ليجعل القارئ يستوعب مختلف أوجه البحث عن الهُوية الضّائعة.

ويُمكننا الكشف عن هذه الأنساق من خلال تلك التسريبات النسقية التّي تشي بذلك التّواطئ مع العنوان "أنا وحاييم"، حيث تمّ تمريرها من خلال قصّة صداقة جمعت بين مسلم (أرسلان) ويهودي (حاييم) منذ أن كانا طفلين، من مرحلة الابتدائي مرورًا بالمتوسّط والثانوي، وصولًا إلى المرحلة الجامعية، كلّ هذه المراحل كانت في وطنٍ غير حرّ، الأمر الّذي عمل على ترسيخ فعل الهوية بينهما من خلال تعزيز فعل التّشارك في كلّ شيء؛ فها هو "حاييم" يقول لأستاذه الفرنسي **مُسيو وِيل: (لا أشعرُ أنّي فرنسيّ، وأرسلان مثل أخي.) (الحبيب السّائح، 2018، ص35)** وها هو أرسلان يقول عن صديقه المقرّب حاييم **(حاييم، برغم ما يظهر عليه من تحفّظ، لدى من لم يعرفه عن قرب كما عرفته، اختزن، مثل كنز، روحًا ظريفة ومليحة، فقد ظلّ سبّاقا إلى إثارة ما يُدخل عليَّ سرورًا.) (الحبيب السّائح، 2018، ص39)** كما أنّ مسافة الاختلاف الدّيني بينهما تقلّصت، حتّى أصبح "الإسلام" و"اليهودية" ممارستين متشابهتين في معظم أساليبها الرّمزية، وهو الأمر الّذي جعله قادرًا على تأسيس هذه الهوية الثقافية المتشابهة الّتي جعلت من "أرسلان وحاييم" واحدًا، فها هو الحبيب السّائح يمرّر لنا هذه الفكرة من خلال هذا المقطع –والكثير من المقاطع الأخرى

طبعا-(**حتّى إذا عدت إلى غرفة النّوم وجدت حاييم دخل سريره وبين يديه كتاب "التوراة" الّذي غالبا ما يقرأ منه حين يكون في حالات من الحزن أوالتوتّر. ابتسمت، قلتُ في داخلي إنّها ليلة مقدّسة، كنتُ أعلم أنّ حاييم غسل يديه ووجهه قبل أخذه كتابه. دخلتُ الحمّام فتوضأتُ وعدت فأنزلت من دولاب الملابس مصحفي؛ هدية والدتي الثّمينة. وفي سريري فتحتُ على الصّفحات الأولى، قرأت بصمتٍ لدقائق قبل أن يشغلني أن لم نكن أنا وحاييم، تجاذبنا حديثا حول ما نقرأه من مقدّس! إلّا ما تعلّق، من حين إلى آخر، بقصص الأنبياء وبالخلق والموت والمقابر أيضا، ولا وقع يومًا أن حاول أحدنا ردّ الآخر عن دينه؛ واجدين ذلك من سلوك عائلتينا ومن غيرهما من المتجاورين من المسلمين واليهود في الدّرب خاصّة.**) (**الحبيب السّائح، 2018، ص123**)

لقد اشترك الصّديقان في كلّ شيء، في مقاعد الدّراسة، في طيش الطّفولة، في أسفارهما ووطنيتهما وأيضًا في مقاومتهما لعدوّهما، ودفاعهما عن أرضهما، (**فكلانا لمّا تجاذبنا ذكريات من طفولتنا، شدّه الحنين إلى أيّام عطلنا المدرسية؛ خاصّة عطلة الشّتاء التّي كُنّا خلالها نتناول في بيْتي عائلتينا أشهى المأكولات التّقليدية الّتي ترد البرد. كنّا نشتهي مثل قراءة الرّوايات في أيّام الثلج، الحريرة والبركوكس بالحشايش والمطلوع بالعسل والرفيس بالشاي والرّشتة بالدّجاج، كُنّا نجد تلك الأطعمة غسيلًا حقيقيا لجهازينا الهضميين ومصلًا لتنقية دمنا من مخلّفات ما كُنّا نتسمّم به في داخلية ثانوية معسكر، مثلما فاكه أحدُنا صاحبَه.**) (**حبيب السّائح، 2018، ص161**)

لقد جابها كلّ الظّروف معًا، واجها طمس هُويتهما بالحبّ والتّسامح والصبر، فها هي الجزائر الآن ترفرف على جناح الحريّة، وها هو "أرسلان" يقف في وُجوه أولئك الّذين ينفثون نار الفتنة ويسعون إلى زرع الفرقة داخل الوطن الواحد، يقول: (**السّيد حاييم بنميمون هذا**

**الّذي جاء هؤلاء الأشقياء ليعتدوا عليه ويسطوا على بيته، أصبح جزائريا مثلكم، مثلي، مثل هذه المرأة أمامكم (...) هل فيكم واحد مثل السّيد حاييم، خاطر بحياته ورزقه من أجل أن يصبح الحلم بالحريّة حقيقة كما ترونها اليوم.) (حبيب السّائح، 2018، ص226)**

وفي الأخير نخلص إلى أنّ هذه الرّواية قد اختزلت تاريخ الجزائر في حقبة زمنية مليئة بالتوترات والمفارقات الاجتماعية والسياسية، إضافة إلى إعادة الاعتبار لليهود، حيث إنّه يُذكّرنا بنموذج اليهودي الّذي عاش في كنف الحضارة الإسلامية، وكان عنصرًا فاعلًا فيها، وبالتّالي يُمكن النّظر إلى الرواية على أنّها مرافعة ومحاججة بامتياز لصالح يهود الجزائر من خلال نموذج "حاييم"، هؤلاء اليهود الّذين لم تكن لهم علاقة بالصّهيونية ولا بدولة إسرائيل، فنكون بذلك قد أكّدنا قناعة "الحبيب السّائح" حين قال إنّ روايته حملت من بين ما حملته شهادة لتخليد ذلك التّعايش الّذي ظلّ لمدّة قرون قائما بين الجزائريين مسلمين ويهودا.

**قائمة الكتب المعتمدة:**

**1-**إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ط1، دار الآداب، 1997.

**2-** آمنة بلعلي: زحام الأنساق في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السّائح، kalimates.com

**3-** تزفيطان تودوروف: الشعرية، تر: رجاء بن سلامة، شكري المبخوت، ط2، دار توبقال للنّشر، 1990.

**4-** الحبيب السّائح: أنا وحاييم، ط1، دار ميم للنّشر، الجزائر، 2018.

**5–** عبد الله الغذامي: النّقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2005.

**6–**محمّد بوعزّة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ط1، دار الأمان، الرباط، 2014.

**7–**محمّد القاضي: الرواية والتاريخ، دراسة في التخييل المرجعي، ط1، دار المعرفة للنّشر، تونس، 2008.

**8–** نادر كاظم: الهوية السرد، دراسات في النّظرية والنّقد الثقافي، ط2، دار الفراشة، الكويت، 2016.

# استقصاء حضور المتلقّي في النقد العربي القديم

## في كتاب "الوساطة بين المتنبّي وخصومه" للقاضي الجرجانيّ392هـ.

**الدكتور بوخال لخضر**

**المركز الجامعي صالحي أحمد. النعامة –الجزائر–**

**تاريخ الإيداع: 2019/02/28 م تاريخ التحكيم: 2019/03/02م تاريخ القبول: 2019/03/05م**

**ملخص:**

تراكمت الإسهامات النقديّة العربيّة عبر عصور الأدب المتتابعة، من خلال مصنّفات مهمّة اشتغلت على نقد النص الشعريّ. ومن الطبيعيّ أن يكون أصحاب تلك الجهود النقدية قد انتبهوا للذّات المستقبِلة للنصّ الأدبيّ، سواء عبر آليات السّماع التي تؤطّرها المشافهة، أو بواسطة طرق القراءة التي تتحكم فيها سنن الكتابة. والسؤال في هذا المقام: كيف كانت طبيعة ذلك الانتباه من نقدنا القديم للمتلقّي؟ وما هي الأشكال المختلفة للتلقّي الشعري آنذاك؟ وهل لتلك النّصوص "التلقّياتية" أن تشكّل نظريّة عربيّة خالصة في مسألة التلقّي على غرار "جمالية التلقّي" الألمانية؟

في هذا الإطار يندرج عملنا في هذا المقال، حيث حاولنا استقصاء حضور المتلقّي في كتاب (الوساطة) للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجانيّ392هـ. ومن خلال قراءة بعض مقبوساته، توصّلنا إلى نتائج نستطيع أن نوجز بعضها في الأفكار التالية: كون السّماع قناة التلقّي "الوحيدة" للنصّ الشعريّ، والحرص على التواصل الأدبيّ بين الشاعر والمتلقّي، وما

فوق التعليل والتفسير، وتحكّم المهيمِنة النّفسيّة في لغة نقد الشعر، وغياب صلاحيات المتلقّي وانعدام دوره في تشييد المعاني المحتملة للنصّ.

الكلمات المفتاحية: التراث النقدي، الشعر العربي القديم، المتلقّي، المشافهة، السماع، جمالية التلقّي.

## Investigate the Presence of the Receiver in Ancient Arab Criticism Eldjorjani 392H (El Wassata between El Moutanabi and his liabilities)

**Dr. Boukhal Lakhdar**

**University Center Salhi Ahmed. Naama. Algeria**

**Summary**:

Critical Arab contributions have accumulated during successive literary eras, through important books devoted to the critique of the poetic text. And it was natural that we paid attention to the being who welcomes this literary text, either through the mechanisms of hearing governed by orality, or through the methods of reading controlled by the norms of writing. . And the question that arises in this context is: how was the nature of this attention paid by our old critic to the receiver? What are the different conditions of the poetic reception of yore? And do these texts, or are we talking about reception in a certain way, can constitute a proper Arab theory on the issue, like the aesthetics of German reception?

In this specific area is our work in this article, in which we tried to master the presence of the receiver in the book (Elwassata) of Judge Ali Ben Abdelaziz Eldjurjani 392H. And through the reading of some passages we reached the following conclusions: the continuity of the agreement as being the privileged channel of the reception of the poetic text. The introduction of literary communication between poet and receiver. What is beyond argument and interpretation. The domination of the psychological aspect on the critical discourse. The uninitiated features of the receiver and its role in the construction of meaning ...

Key words: critical heritage, ancient Arabic poetry, receiver, orality, hearing, aesthetics of reception.

# استقصاء حضور المتلقّي في النقد العربي القديم

# في كتاب "الوساطة بين المتنبّي وخصومه" للقاضي الجرجانيّ392هـ.

الدكتور بوخال لخضر

المركز الجامعي صالحي أحمد. النعامة –الجزائر–

## على سبيل البدء

باعتبار وجود نقدٍ عربيّ، قد تكاملت إجراءاته وآلياته القرائيّة منذ الانطباعات النقدية الأولى، إلى التأليف والتعليل من خلال جهود علماء مجلّين مثل قدامة بن جعفر322هـ وابن طباطبا العلوي337هـ، والجرجانيَّين (القاضي392هـ، وعبد القاهر471هـ) والقرطاجنّي684هـ وغيرهم، فلابدّ أنّ ذلك النقد قد انتبه للطّرف المستقبِل للنصّ الأدبيّ، سواء عبر آليات السّماع التي تؤطّرها المشافهة، أو بوساطة طرق القراءة التي تحكمها قوانين الكتابة. والحال كذلك: كيف كانت طبيعة ذلك الانتباه من نقدنا القديم للمتلقّي؟ وما هي أشكاله وتمظهراته المختلفة في الخطابات النقدية؟ وهل لتلك النّصوص النقديّة "التلقّياتيّة"، إن جاز لنا التعبير، أن تشكّل نظريّة عربيّة خالصة في مسألة التلقّي على غرار "جمالية التلقّي" الغربيّة؟ وهل تستطيع في هذا النطاق، قراءةٌ لنموذجين من فصول مدوّنة النقد العربيّ القديم أن تُسعفنا حتّى نقارب الإجابات المحتملة؟.. في هذا الإطار الإشكاليّ يندرج عملنا في الصفحات الموالية، حيث سنحاول استقصاء حضور المتلقّي في كتابيّ (الوساطة بين المتنبّي وخصومه) للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجانيّ، و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي، وذلك من خلال الوقوف مع بعض المقبوسات منهما.

**التكلّف من معوّقات استجابة المتلقّي** يسعى الشاعر دائمًا، كما تُوصي به كتب النّقد القديمة، إلى عدم إثقال كاهل المتلقّي (السيّد) le récepteur maître بالمعاني الدقيقة والغريبة وبالعبارات المعقّدة الغامضة. فمن شأن ذلك أن يحدّ من راحته المرجوّة، وأن يمنع تحقّق استجابته لما يورد عليه، وهو أقصى المبتغى والمرام في التواصل الشعري. وهاهو القاضي الجرجاني يستعرض المعاني ذاتها في حديثه عن ذلك النوع من الشعر الذي صار «إذا قرع السّمع، لم يصل القلب إلّا بعد إتعاب الفكر [...] وتلك حالٌ لا تهشّ فيها النّفس للاستمتاع بحسن، أو الالتذاذ بمستظرَف، وهذه جريرة التكلّف.» (القاضي الجرجاني، الوساطة، 2006، ص26)

نحن هنا في معرض الحديث عن أسلوب شاعرٍ عبّاسيّ هو الآخر، يشترك مع المتنبّي في اختلاف النّاس حول شعره، وهو الشاعر حبيب بن أوس الطائيّ (أبو تمّام). وكمثالٍ عن جنس التكلّف في صناعة الشعر، ممّا يصِم الكلام بالتعقيد والغموض، يتطرّق القاضي لمعاني الاستجابة التالية في نفس المتلقّي: وصول الشعر إلى القلب، تطلّع النفس وتشوّفها للتلقّي عن طريق السّماع، وحصول اللذّة وتحقّقها. ويقول أنّ هذه الاستجابات جميعَها لن تتحقّق، لغياب معيارٍ للجودة يعتبر ركنًا أساسًا في البيان العربيّ، كان يُحتفى به كثيرًا في الخطاب النقديّ القديم، إنّه معيار (الوضوح). فعندما يكون الشّعر مرغِمًا للمتلقّي على البحث والتفكير، يُصبح متعبًا "كادًّا" لفكره، ممّا يسِمه بالتعمية والتعقيد، وبالتالي عدم القبول من طرف مَن يوجّه إليه.

**اختلال البناء ينغّص لذّة المتلقّي** يُكثر صاحب "الوساطة" من الاستشهاد بالأبيات الشعريّة، تمهيدًا لدفاعه عن شعر المتنبّي، وهو قصدُه الأوّل من وراء تأليف الكتاب. ونحن نراه في المقبوس التالي يقف بنا مع أبياتٍ، يحرِم فيها صاحب النص المتلقّي من الاستمتاع، وينغّص عليه لذّة الاستجابة، وذلك بسبب الخَلل الذي يرتكبه أثناء

بناء قصيدته، حيث لا يواصِل على الوتيرة الجمالية نفسها، بل يقترف "ذنب" التعقيد والتعمية بما يتكلّفه من ألفاظ "غريبة" عن قاموس المتلقّي وأفقه اللغويّ. والأبيات من قصيدة لأبي تمام، مرّةً أخرى:

«...لو حَـارَ مُرتـادُ المنيَّـــة لم يَجِدْ إلّا الفراقَ على النّفوس دليـــلَا

قالوا الرّحيل فما شكَكتُ بأنّها نفسي من الدّنيا تريدُ رحِيـــــلا

الـصّبرُ أجمَـــــلُ غيرَ أنّ تلذُّذًا في الحبّ أحرَى أن يكون جميـلا.

[...] فهو تراه يعرض عليك هذا الدّيباج الخسروانيّ، والوَشي المنمنَم، حتى يقول:

للّـــــه درُّكَ أيُّ معبَرِ قَفـــرةٍ لا يُوحِشُ ابنَ البيضةِ الإجفيـلا

أوَ مـــــا تراها لا تراهـــا مرّةً تَشأَى العيونَ تعَجرُفًا وذَميـــلَا

فنغّص عليكَ تلك اللذّة، وأحدَثَ في نشاطك فترة...» (الوساطة: ص29/28)

هكذا يواصل القاضي الجرجانيّ توظيف مسألة التلقّي في نقده لطريقة أبي تمّام. وهنا يعرض لبعض "تجاوزاتِه" الشعريّة، حيث لا يواصل في هذه القصيدة التي يَستشهِد ببعض أبياتها، على الوتيرة الجمالية ذاتها والتي تكفل له الاستجابة عند مَن تورد عليه، وإنّما يُحدِثُ اختلالًا يعكّر صفو التأثير في نفسه، ممّا ينجرّ عنه انكسارٌ وضعف في النشاط (التلقّياتي)، ويعود السبب الأساس في كونه قد انتقل إلى فكرة أخرى، وذلك حينما خرج إلى صفة الناقة بغير ذريعة له إلى الخروج. (انظر: الوساطة، ص68)

**شرحٌ لوقع الكلام الرّقيق في نفس المتلقّي** في موضع آخر يعرِض صاحب "الوساطة" لمثال مناقضٍ لما أوردناه في العنصر الماضي، ويشرح أثره الكبير في نفسيّة

المتلقّي، ممّا يعكس اهتمامه بتلك الذات المستقبلة للنص الأدبيّ مرّة أخرى. والمثال عبارةٌ عن نصّين للشاعر البحتريّ، وهما قولُه:

«رُدّي على المشتاق بعض رُقادِه  أو فاشرُكِيه في اتّصَال سُهـــادِه

أسهَرتِـــه حتّى إذا هجَر الكَرَى  خلّيتِ عنه ونِمتِ عن إسعَـادِه.

[...] وقوله: أجَدُّك مَـــــا ينفكُّ يَسري لزينَبَـــا  خيَـــالٌ إذا آبَ الظّلامُ تأوّبَـــــا

سرَى من أعالي الشّام يَحلُبُه الكـرَى  هبوبَ نسيمِ الرّوض تحلبُه الصَّبـــا.

ثمّ انظر هل تجدُ معنًى مبتذلًا، ولفظًا مُشتهرًا مستعمَلًا، وهل ترى صنعةً وإبداعًا، أو تدقيقًا وإغرابًا. ثمّ تأمّل كيف تجدُ نفسَكَ عند إنشاده، وتفقّد ما يُداخِلُك من الارتياح، وتستخفُّك من الطّرَف إذا سمعتَه. وتذكّر صبوةً إن كانت لك، تراها ممثّلةً لضميرك ومصوّرةً تلقاءَ ناظرك.» (الوساطة، ص32-33)

تندرج هذه الفقرة مثل سابقاتها في إطار المدخل المنهجيّ الذي أراده القاضي أساسًا للولوج إلى تبرئة ساحة المتنبّي من تهم السرقات الأدبيّة والنقائص الشعريّة، تلك التي أرادها خصومه سبيلًا لمحاولة إزالته عن مكانته. ويعرض فيها لأبياتٍ جميلة من شعر البحتريّ، الذي اختلف الناس في المفاضلة بينه وبين أبي تمّام، وذاعَ صِيتُ تلك الخصومة حتى ألّف فيها الآمديّ كتابه الشهير في الموازنة بين الشاعرين. ونقف في هذا المقبوس على شرح بديع دقيق لما يحدث في نفس المتلقّي وهو يستقبل أبيات البحتريّ الرقيقة، والتي ما أن ترد عليه حتى يشعر بالارتياح، وتحرّكه طرافة ما يسمع، بل وتجعله يتمثّل أمامه قصص حبّه وتصابيه القديمة، ممّا يبرز شدّة الأثر الذي أحدثته الأبيات في وجدانه وعقله. والسرّ وراء حصول هذا النوع

من الاستجابة والوقع، أنّ النفس المتلقّية إنّما تألف وتميل إلى «ما جَانسَها، وتَقبَل الأقربَ فالأقرب إليها.» (الوساطة، ص34)

وفي ثنايا الكتاب نقرأ كلامًا مماثلًا، ممّا يوضّح اهتمام صاحب "الوساطة" بمسألة التلقّي عمومًا، وحضور المتلقّي "السّامع" طرفًا أساسًا في العمليّة الشعريّة. ويمكن بناءً عليه أن نصنّف الآثار النّفسيّة التي يحدثها الشعر في متلقّيه، إلى قسمين: التلقّي بالقبول: في معاني الاستجابة وتحقّق الأثر مثل: إسراع القلب وميله، وسَورة الطّرب وارتياح النفس. التلقّي بالرّفض: في مقابل الأوّل، ونجد فيه معاني النفور والرّفض مثل: نبوّ النفس، وقلّة ارتياح القلب. وفي حالة التلقّي الثانية هذه، يدعونا صاحب "الوساطة" إلى غلق قنوات التلقّي بشكل تامّ، عن طريق "سدّ الآذان"، بل و"استغشاء الثّياب" بتغطية الرّأس للتأكّد من عدم وصول أيّ كلمة، والتحذير الشّديد من احتمال الإصغاء مخافةَ التأثير السيّء، وتجنّب إلحاق الفساد بالقلب والفكر. (انظر: الوساطة، صص34- 37/36- 44)

الحرص على استمالة المتلقّي النقد العربيّ القديم حريص على راحة المتلقّي السامع للنصّ الشعريّ (والأدبيّ عمومًا)، وذلك عبر توجيهات تُقدّم تارة صريحة، وأخرى من طرف خفيّ. ويُعتبر معيار (حُسن الابتداء والختام) في صناعة الشعر، ممّا يدخل في السياق ذاته. وبالتالي تصبح بنية القصيدة ذات علاقة وطيدة بالتلقّي. وهاهو القاضي يؤكّد أنّ «الشاعر الحاذِق يجتَهد في تحسين الاستهلال والتخلّص وبعدهما الخاتمة؛ فإنّها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء.» (الوساطة، 52)

وهنا يوجّه الشاعر إلى واجب العمل على توفير شروط فنيّة ثلاثة، وهو ينظم قصيدته، وكذا أثناء إلقائها على جمهور المتلقّين، تندرج جميعها ضمن ما يعرف ببنية القصيدة العربيّة، وهي:

– تحسين الاستهلال: بحيث تكون الأبيات الأولى جيّدة النّظم متقنة الصّنع، فتأسر منذ المرحلة الأولى من مراحل التلقّي، قلب المتلقّي وعقله. وهو الشرط الذي يكفل استمرار التواصل الأدبي. إذ أنّ البداية السيّئة غير المحكمة، قمينة بأن تترك المتلقّي بعيدًا عن النصّ الذي لا يعقِد علاقة به منذ البدء، وهكذا يغيب التركيز والمتابعة أثناء السماع. وإذا ما حدث ذلك، لم يتحقّق التواصل الأدبي بين المرسِل والمرسَل إليه.

– حُسن التخلّص: أي الانتقال من موضوع لآخر، ومن فكرة إلى غيرها، بشكل سلسٍ لا تكلّف فيه، وبطريقة تحقّق الانسجام بين المعاني المختلفة، وهو ما يُبقي على خيط التواصل قائمًا. فمن شأن عدم إتقان هذه "المهارة الشعريّة" أن تشتّت ذهن السامع، فتكثر أمامه المواضيع وتختلط بدون رابطٍ يبقي على تماسكها. وهذا ما ينجرّ عنه بطبيعة الحال انصراف السّمع والقلب.

– إجادة الختام: هذه المرحلة الأخيرة من مراحل التلقّي، ولها أهميتها هي الأخرى في وصول القصيدة إلى مراتب الاستحسان من قبل المتلقّي. فلابدّ من إنهاء متعة التلقّي كما بُدئت، ومثلما سارت بها الأبيات عبر كلّ موضوعٍ طُرق، وفكرةٍ أو إحساسٍ تمّت إثارته. إذ يمكن أن يجيد الشاعر المرحلتين الأوليين، لكنّه يخفق في إحكام صنعة خاتمة نصّه، وهو ما قد يلحق به الخلل والفساد، حيث لم يحصل السّامع على ما كان يتوقّعه من جودة، خاصّة إذا بنى أفقَ توقّعه ذاك على أساس إتقان الشاعر للاستهلال والتخلّص، وهما المرحلتان الأوليان من مراحل صنع القصيد، واللتان تشكّلان التجربتين الأوليين من تجارب التلقّي.

**"ما فوق التعليل والتفسير"** قد يحضر هذا المفهوم بقوّة عند البحث عن مبرّرات الاستجابة وحسن التلقّي لنصٍّ ما مقارنة بغيره من النصوص الأخرى. ففي الكثير من الأحيان يعجبنا نصّ أدبيّ ما، ثم لا ندري سببًا مباشرا لذلك الأثر الذي خلّفه في نفوسنا كمتلقّين. وإذاما سُئلنا عن السبب في ذلك ماذا عسانا نجيب؟ أو بم تراه يجيب

الجرجانيّ وهو يخاطب القارئ (المتلقّي) قائلًا له: «وأنت قد ترى الصورة [البصَريّة] تستكمل شرائطَ الحسن، وتستوفي أوصافَ الكمال، وتَذهب في الأنفس كلّ مذهب[...]، ثمّ تجد أخرى دونَها في انتظام المحاسِن، والتئام الخِلقة، وتناصُف الأجزاء، وتقابُل الأقسام، وهي أحظَى بالحلاوة، وأدنى إلى القَبول، وأعلَق بالنّفوس، وأسرَع ممازجَةً للقلب؛ ثم لا تعلم – وإن قاسيت واعتبرت، ونظرت وفكّرت – لهذه المزيّة سببًا، ولما خُصّت به مقتضيًا. ولو قيل لك: كيف صارت هذه الصورة، وهي مقصورةٌ عن الأولى في الإحكام والصّنعة، وفي الترتيب والصيغة، وفيما يجمع أوصاف الكمال، وينتظم أسباب الاختيار، أحلى وأرشقَ وأحظى وأوقعَ [؟...]، لكان أقصى ما في وسعك، وغاية ما عندك أن تقول: موقعُه في القلب ألطف، وهو بالطّبع أليَق.» (الوساطة، ص342)

وحتى نستطيع أن نفهم غاية ما يريده القاضي في هذه الفقرة، التي يبيّن فيها صعوبة تعليل الميل والإعجاب بصورة "مرئيّة" دون أخرى، أو بشكلٍ أدقّ تعليل حدوث النّفور من الصورة التي توافرت فيها شروط الجمال، وكذا علاقة الصورة بالشعر. علينا أن نقرأ ما يذكره قبل ذلك وبعده، حتى يتسنّى للسياق أن يرشدنا إلى المقصود من الكلام. إذ نراه يستعرض قبل كلامه السابق أقوال خصوم المتنبّي حول شعره، ومنه ادّعاؤهم أنّ فيه: «جهامة سلَبته القَبول، وكزَازة نفّرت عنه النفوس، وهو خالٍ من بهاء الرّونق، وحلاوة المنظر، وعذوبة المسمَع...» (الوساطة، 241)

ثم يعلّق على تلك الأحكام، ويعرّض بأصحابها مبيّنًا أنّ: «هذا أمرٌ [الحكم على جودة الشعر] تُستخبر به النفوس المهذَّبة، وتُستشهَد عليه الأذهان المثقَّفة؛ وإنّما الكلام أصواتٌ محلّها من الأسماع محلّ النواظر من الأبصار.» وهكذا يمهّد للفقرة التي أوردناها في مستهلّ هذا العنصر، حيث يعقد تشبيهًا بين الشعر والصورة. والقصد من ذلك أن يبيّن صعوبة تعليل استجابة المتلقّي لنوعٍ من الكلام دون غيره. كما ينفي تعلّقَ تحقّق الوَقع الحَسَن

في النّفس، بتوفّر معايير الجودة، وذلك لأنّها قاعدة غير مطّردة في الشعر، فربّ كلامٍ غير جيّد من حيث الصناعة والتركيب البديعيّ، لكنّه يقع من قلب سامعيه الموقع المقبول. كما أنّ عكس ذلك واردٌ أيضًا. (انظر: الوساطة، 243)

وممّا يمكننا استخلاصه من الفقرة أيضا التأكيد على معاني التلقّي، في تفسير وتبرير حصول التلقّي ذاته. وهو ما نقرأه مثلا في قوله في موضع سابق: «والشعر لا يحبّب إلى النفوس بالنّظر والمحاجّة، ولا يُحلّي الصدورَ بالجدال والمقايسة. وإنّما يعطِفها عليه القبول والطلاوة، ويقرّبه منها الرّونق والحلاوة. وقد يكون الشيء متقنًا محكمًا، ولا يكون حُلوًا مقبولًا. ويكون جيّدًا وثيقا، وإن لم يكن لطيفًا رشيقًا.» (الوساطة، صص91-92)

إذن، الشِّعر بعيد كلّ البعد عن العقل وأُسُسه المنطقيّة، فلا مجال أمامها لكي تتحكّم فيه وتحدّد نوع الاستجابة التي سوف تحدث عند المتلقّي أثناء قيامه بعمليّة استقباله وسماعه، وإنّما السّيطرة كلّ السّيطرة لجمالية القول الشعريّ وما يحقّقه أثناء السّماع من "القَبول". وشرط هذا النوع من ناتج التلقّي يندرج ضمن ما يساعد على عَطف نفوس المتلقّين واستمالتها نحو النص الشعري الذي يورد عليها. و نجد صاحب "الوساطة" قد أضافه إلى شروط أخرى في السياق ذاته، وهي الطَّلاوة (الحُسن والبهجة) والرَّونق والحلاوة (عذوبة الكلام نُطقًا وسماعًا). بهذه الكيفيّة يجعل القاضي الجرجانيّ موضوع التلقّي فوق كلّ تعليلٍ منطقيّ، ويباعِد بينه وبين الفكر المطلَق، وهو ما يقرّبه من الجانب الانفعالي السيكولوجيّ، وبذلك نشعر أنّه «يضع القلب والضمير والطّبع بإزاء معرفة اللّغة والوزن والذّوق. ويجعل الباطن والغامض بإزاء الظاهر، أي أنّه باختصار، يضع الخفيّ الشعوريّ الخارج عن حدود التعليل، بإزاء المعرفيّ الصريح، القابل للتعليل وللقياس العلميّ.» (الجوزو، نظريات الشعر عند العرب، 2002، ص149)

وبتلك الطريقة يتمكّن من تأكيد طرحِه في المسألة برمّتها. هذا ولم يكن صاحب كتاب "الوساطة بين المتنبّي وخصومه" في هذا المقام، أوّل من تفطّن إلى هذه الجزئيّة، بل سبقه إلى الفكرة نفسها علماء آخرون، ومن هؤلاء ابن طباطبا337هـ في كتاب "عيار الشعر"، حيث نقرأ فيه قول صاحبه: «للأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم لا تحدّ كيفيتها.» (ابن طباطبا، عيار الشعر، ص21) . كما خصّ أحد الدارسين المعاصرين فصلًا كاملا للحديث عن تلك المسألة في النقد العربيّ القديم، وقد وسَمها: ما فوق التعليل والتعبير، ومنه أخذنا عنوان العنصر. (انظر: الجوزو، صص146- 156)

## على سبيل الختم

على أساس القراءات السابقة، وعلى احتمال النقص في آلياتها، يمكن في هذا العنصر أن نرسم صورةً قد تعكس تجلّي المتلقّي في النقد التطبيقيّ (كنظريّة قائمة بذاتها)، أو غيابه إلّا من حضورٍ هو إلى الإلماحات والإشارات أقرب. وبناءً على ما قرِئ، واعتمادًا على لملمة شتات الملاحظات في الوقفات المذكورة، نستطيع أن نخلص إلى النقاط التالية:

بقاء السّماع قناة التلقّي إذ نجد القاضي محكومًا بمعاني ذلك النوع الذي يبرز المتلقّي السامع، دون صنوه القارئ، وهو ما نستجليه في الكثير من عبارات الكتاب التي تدور حول: (قرع السّمع، استعطاف الأسماع، استمالة الإصغاء، والدعوة إلى سدّ المسامع أمام الشعر الرّديء)، وغيرها ممّا يدخل في مقتضيات المشافهة ووضعيّة (وجه لوجه) بين النصّ والمتلقّي السامع.

التواصل الأدبيّ بين الشاعر والمتلقّي من المفاهيم الكبرى التي سعى صاحب "الوساطة" إلى تأكيدها، نقف على فكرة التواصل الأدبيّ بين الشاعر والمتلقّي (المرسِل والمرسَل إليه). فقد جعل من ذلك المبدأ شرطًا أساسا للوصول إلى الجودة الشعريّة، وهو ما يبرز كما وقفنا عليه في حينه، نوعًا من التصوّر لأهمية الذات المستقبلة سماعًا (بطبيعة الحال).

ما فوق التعليل والتفسير في تصريحه بعدم إمكانية تعليل استجابة المتلقّي، وتبرير تأثّره بإرجاعه إلى أسباب موضوعيّة ثابتة دائمًا. فالملاحَظ الذي يُستغرب لحدوثِه، تحقّق الاستجابة والقبول بعد سماع شعرٍ (كلامٍ)، يفتقر في بعض المرّات إلى معايير الجودة المتّفق عليها في النقد العربيّ القديم. وهو ما يجعل مسألة الاستجابة ذات طابع نفسيٍّ محض، وبالتالي لا مجال للمنطق العقليّ فيها.

تحكّم المهيمِنة النّفسيّة في لغة النقد إنّ الحضور الكبير لمعانٍ مثل: العلوق بالقلب، قبول النّفس، الممازجة للقلب والرّوح، الهشّ والالتذاذ، وكذلك الابتهاج، دليل على تحكّم المهيمِنة النّفسيّة في اللّغة النقديّة في كتاب "الوساطة". فقد قام صاحبه بمحاولة التحليل النفسيّ لنشاط المتلقّي، ووَقعِ مدلولات النصّ فيه، الأمر الذي تجلّى في لغته. «وملامح هذه اللّغة تؤكّد نشاط المتلقّي، وترسم حدود استجابته وموافقته على شرائط متيسّرة في النصّ، فهي مرتبطة بمعياريّة التأثير بشكل عام.» (عبد السلام محمد رشيد، لغة النقد العربي القديم بين المعيارية والوصفيّة، 2008، ص94)

هذا، ومن بين ملامح انتباه كتاب "الوساطة" إلى الذات المتلقّية أيضًا أنْ «أولاه الجرجانيّ عنايةً خاصّة حين جعل "سورة الطّرب" و"ما يتداخلك من الارتياح" مقياسًا للشعر المطبوع، كما أنّه تقصّى [فيه] أثر التعقيد والغموض والتكلّف على المتلقّي.» (محيي الدين صبحي، نظرية النقد العربي وتطوّرها إلى عصرنا، 1984، ص208)

ولكن، من المهمّ أن نقول في الأخير، أنّ هذه الالتفاتة لذات المتلقّي، مع التركيز الذي لاحظناه أثناء القراءة على الجانب التطبيقيّ دون النظريّ، «لا شكّ أنّها تشي بإدراك من الجرجانيّ – وإن غير دقيق – لأهمية هذا المتلقّي في توجيه الفعل الإبداعيّ، لكنّ هذا الإدراك لم يبلغ به، وكذلك الشأن بغيره، إلى تعريف مخصوص بسمات هذا المتلقّي ودوره الحقيقيّ في توجيه الفعل الإبداعيّ.» (حمادي الزنكري، التلقّي بين الذائقة الشعريّة والدلالة اللّغويّة، 1994)

وهذا ما يجعلنا إلى احتمال فكرة "الغياب" التي لازمت المتلقّي في النقد العربي القديم، على الرغم من الإشارات الكثيرة إلى ضرورة سهر صاحب النصّ على توفير شروط التلقّي بالقبول والرضا لديه. أي عدم وجود نظرية للتلقّي بمرتكزات فكرية وفلسفية تمنح لهذه الذات المستقبلة للنص الأدبي صلاحيات واسعة للفهم وتشييد المعاني المحتملة لذلك النصّ، على غرار ما نقف عليه في (جمالية التلقّي الألمانية) في العصر الحديث. (انظر: دراستنا الموسومة: المتلقّي بين التجلّي والغياب. قراءة في بعض فصول مدوّنة النقد العربي القديم، مذكّرة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان، الجزائر، 2012)

**المصادر:**

1- ابن طباطبا (1972). عيار الشعر. ط1. دار الكتب العلميّة. بيروت. لبنان.

2- الجرجانيّ، علي بن عبد العزيز (2006). الوساطة بين المتنبّي وخصومه. ط1. المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

المراجع:

3- الجوزو، مصطفى (2002). نظريّات الشعر عند العرب. ط3. دار الطليعة. بيروت.

4- الزنكري، حمادي (حزيران1994 ). التلقّي بين الذائقة الشعريّة والدلالة اللّغويّة. مجلة الموقف الأدبيّ. ع278.

5- صبحي، محيي الدين (1984). نظرية النقد العربي وتطوّرها إلى عصرنا. الدار العربية للكتاب. ليبيا-تونس.

6- عبد السلام محمد رشيد (2008). لغة النقد العربيّ القديم بين المعيارية والوصفيّة. ط1. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر.

الرسائل الجامعية:

7- بوخال، لخضر (2012). المتلقّي بين التجلّي والغياب. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة تلمسان. الجزائر.

# المنحى الطبيعي وأصالة التعاريف التقريبية في النحو العربي

**الدكتور بن مسعود محمد العربي**

**جامعة الجلفة**

**تاريخ الإيداع: 2019/03/01 م تاريخ التحكيم: 2019/03/02م تاريخ القبول: 2019/03/06م**

**الملخص:**

نعالج في هذا المقال المنحى الطبيعي في صياغة التعريف النحوية في التراث العربي، انطلاقا من مسلمة أصالة النحو وقواعده واستقلاليته عن غيره من المناويل الأخرى السائدة في الحضارات الأخرى، ولا سيما أن النحو لم يكن في منأى عن استجلاب حدوده وعلاماته واستعارتها من الكلام العادي المشاع بين عامة الناس، بكونه علما أصيلا يجد مرجعيته وشروط وجوده والنموذج الذي يستوحيه في الثقافة العربية نفسها وليس خارجها على تعبير محمد عابد الجابري، ذلك أن الكيانات المتصوراتية في النص النحوي تتجاذبها كيفيات عديدة تضطلع بها آليات تقريبية تعكس نوعا من التفكير الطبيعي في صوغها من مثل الأمثلة والشواهد النحوية، والشروح والتأويلات التفسيرية.

# Natural thinking and authenticity of relative defiintions in arabic grammer

**Abstract** :

In this article, we discuss the natural tendency in the formulation of grammatical definitions of Arab heritage, which confirms the originality of grammar, its rules and its independence from other methods prevailing in other civilizations, especially more than it was not immune to the acquisition of its borders and signs and its borrowing from the ordinary speech of the general public, an authentic knowledge that finds its reference and the conditions of its existence and the model inspired by the Arab culture itself and not outside the expression of Mohammed Abed Al-Jabri, so that the conceptual entities in the text are attracted in several ways implemented by approximate mechanisms reflecting a kind of natural Thought in the formulation of these examples and grammatical evidence and explanations and interpretations of the explanation.

# المنحى الطبيعي وأصالة التعاريف التقريبية في النحو العربي

الدكتور بن مسعود محمد العربي

جامعة الجلفة

**تمهيد:**

تمثل الحدود النحوية دوالا لغوية لمدلولات دوال لغوية، ومن ثمة فهي تحاول محايثة اللغة باللغة، فالحد لغة والمحدود لغة أيضا، ولعله هذا هو أهم فارق بين الحدود النحوية والحدود المنطقية التي تسعى إلى محايثة الأشياء باللغة، لذلك كانت حدودا ما هوية ولم تكن حدودا تميزية. ولهذا تتعرض نظرية الحدود الواصفة عند النحاة إلى التعريف بوصفه سيرورة دلالية منتظمة ناتجة عن ترابط علاماتها اللسانية، وهكذا ينتقل الكلام إلى نمذجة واصفة تتعامل معه باختلاف زوايا النظر النحوي بواسطة استبدالات لغوية مختلفة، ومن ثمة توافر إمكان تنوع الخطابات الواصفة واختلافها في المدونة النحوية، ولعل ذلك ما ولد اختلافات نظرية عديدة حول الكثير من المسائل النحوية.

وسنحاول تحليل النصوص النحوية المرتبطة بالكلام وأجزائه انطلاقا من عرض كل ظاهرة موصوفة، ثم التعرض للآراء الواصفة المنتجة حولها سواء أكانت دلالية أما سيميائية. وعليه قد نجمع في معالجة قضية ما هو سيميائي وما هو دلالي في الآن ذاته، ومن ثم لا يكون تحليلنا تحليلا ينطلق من ما افترضناه من طرائق تعريفية، وإنما يكون تحليلا ينطلق من معاينة الآراء اللغوية الواصفة وموضعتها في أحد الطريقتين السابقتين، ومن ثمة يكون الموضوع المدروس طريقا لمعرفة الطرق، وليس العكس، لأننا إذا سبقنا الطرق عن ملاحظة المدونة النحوية نكون بذلك، قد ابتعدنا عن المنهج الوصفي التحليلي واقتربنا من المنهج المعياري،

ولهذا كله نلفي أن موضوع الدراسة وطبيعته هو الذي يملى طرق تحليلها ودراستها. كما أنه من جهة أخرى، إن تتبع طبيعة اللغة الواصفة النحوية وطرائقها يحتم علينا ضرورة احترام التسلسل التطوري للمدونة النحوية، ومن ثمة سنحاول معالجة مسألة اللغة الواصفة وتطوراتها انطلاقا من النص الأول المقدم من قبل سيبويه وتحديد خصائصها التعريفية، وبعد ذلك ننتقل إلى المرحلة التي جاءت بعدها.

## 1- التعريف بالمثال:

لقد تبنى **سيبويه** طريقة في وضع حد للاسم تستند إلى التمثيل تمثيلا مباشرا حقيقيا بإحالته إلى ما هو موجود في عالم الأعيان دون الاعتداد بما هو موجود في عالم الأذهان؛ لأنه ((ربما وضح المثال ما لا يوضحه الحد)) (**خير الحلواني محمد .2011.ص105**). وفي هذا يقول سيبويه في تعريفه للاسم (( فالاسم رجل، وفرس، وحائط)) (**سيبويه عمر بن عثمان.2011.ص12**). ومن إدراك هذه الإحالات الخارجية ينشأ تصور حول مفهوم الأسماء الذي يقوم على صبغة واقعية؛ وعليه فكأن الأسماء وحدها هي التي تستطيع أن تكون مؤمثلة ويصح قياس بعضها على بعض، (( ذلك أنه يستدعى النظر في الكلمة من حيث مشابهاتها لواحدة من كلمات التعريف المؤمثلة الثلاث)) (**حسن خميس الملخ.2002. ص.142**)، ومن ثمة يفيد المثال المقايسة على أساس التقريب فقط؛ لأنه قد لا يستغرق جميع صنوف الأسماء كأسماء الشرط والاستفهام وغيرهما. ومادامت الأسماء (( صورة تستنسخ أنموذجا، وتحيل على موضوع وإن لم يكن موجودا ، وعليه فإن الاسم بعامة واسم العلم بخاصة نسق سيميائي دال)) (**يوسف أحمد .2005. ص.72**).ولا سيما أن الأشياء والموجودات لا تعرف بذاتها إلا من خلال أسمائها المسماة بها. ومن هذه الزاوية عرف الاسم بأنه (( هو ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ

والصفات والأفعال)) (**الكفوي أبو البقاء.1998.ص265**). وهكذا فإن الاسم صار علامة سيميائية محكومة بنسق له سننه الخاص.

يشكل تعريف الاسم عند سيبويه إحدى طلائع التفكير السيميائي حول التسمية بوصفها علامات لازمة مختصة نحو زيد وعبد الله (**سيبويه عمر بن عثمان.2011.ص5**)، وإنما صار معرفة لأنه اسم وقع عليه يعرف به دون سائر أمته، وقولنا لازمة هنا تؤدى إلى أن علاقة الاسم بالمسمى ليست علاقة معللة بقدر ما هي اعتباطية؛ لأن الأسماء ليست مستوحاة من ذات المسمى؛ ولأن ما يلحق الأسماء ويعتورها من زيادة وحذف لا ترتبط بالمسمى الذي هو الشخص (**ابو القاسم السهيلي.1992. ص41**).ومن هنا ليست هناك علاقة مباشرة بين الاسم بوصفه دالا وما يدل عليه، لكون أن الاسم مجرد علامة لسانية عارضة لزمت المسمى ودلت عليه.

ولعل هذا الخيار المعرفي الذي أبان عنه **سيبويه** جاء لمقتضيات ابستمولوجية وكلامية ، عكست موافقته لأصحابه من المعتزلة (**مقبول إدريس .2006.ص.177**) ، الذين يميزون في صفاته وأسمائه أنها ليست هو سبحانه وتعالى.

وعليه تكون لدينا منظومة سيميائية واصفة تشتمل على أربعة أبعاد هي:

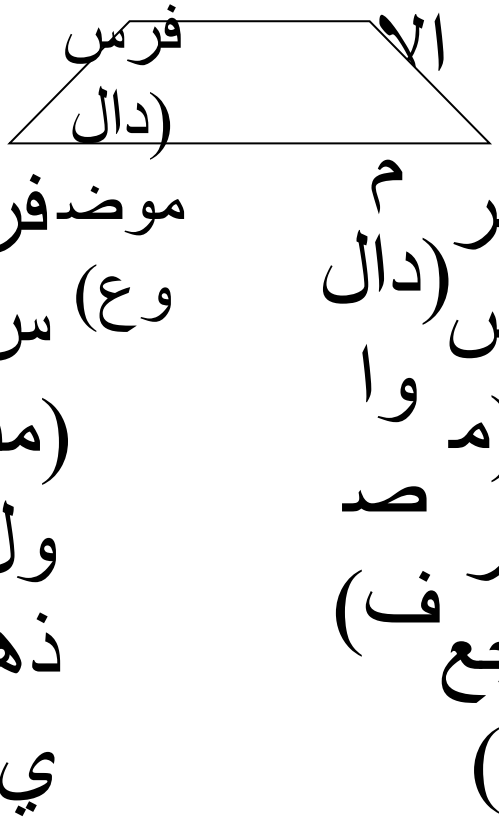


**سيميائية التعريف التمثيلي للاسم عند سيبويه**

ينضاف إلى هذا كله أن حد الاسم عند **سيبويه** يستجيب لرهان الخاصية الحسية التي نبذت متصورات المعنى القائمة على أساس الصورة الذهنية (**يوسف أحمد .2005 .ص87**)، إذ ينقاد إلى إبانة الخاصية المرئية التي يتوافر عليها الاسم، بكونه (( ما أبان عن مسمى شخصا كان أو غير شخص مثل رجل وفرس وزيد ونحوه من المرئيات..))

(**طاهر بن أحمد بن بابشاذ. بدون سنة. ص.91**) . ومن ثمة جاز لنا القولّ: إن قوامه خاصية التمثيل المرئي التي تعلق معنى الاسم بالأشياء التي يحيل إليها. وهي في النهاية تمثل عالم الحقائق حتى يتسنى لنا ترسيخ معنى يتسم بالوضوح. ف**صارت ((الأسماء تنوب في تصوّر المعاني في نفوس السَّامعين مَنابَ المسمَّيات أنفسِها لو شاهد وها. فإذا قال القائل: رأيتُ جَمَلاً، تُصوّر مِنْ هذا الاسم في نفس السامع ما كان يُتَصوّر من المسمَّى الواقع تحتَه لو شاهده))** (**البطليوسي ابن السيد.2007. ص97**). ومن هنا كان الاسم بمثابة العنوان الدال على صاحبه، من حيث تقدمه عليه في الرتبة من جهة الدلالة، لأنه (( أعلي من صاحبه، إذا كان يخبر به وعنه، وليس كذلك صاحبه)) (**الكفوي ابو البقاء.1992. ص 74**). لأنه أدنى منه ودونه من حيث إنه مدلول عنه بذلك. ووفق هذه التراتبية التمثيلية في الحد التي تجعل من الأشياء الموجودة علامات دالة عل ذاتها، والألفاظ الموضوعة لها تتماهى معها إلى درجة أننا نكتفي بها لمعرفة أصحابها، لهذا كانت الأسماء علامات دالة على أصحابها دلالة تطابقية، (( فليس هناك فرق بين كلمة إنسان والعلامة اللسانية التي تمثل الإنسان نفسه، فالإنسان هو الكلمة )) (**دولدال جيرار .2011. ص128**). إن هناك علاقة وطيدة بين الأسماء وما تحيل إليه، ذلك أن دلالة الألفاظ يمكن تفسيرها بالنظر إلى هذه العلاقة.

يعكس هذا الاختيار وجه مخالفة سيبويه للمناطقة الذين درجوا على وضع حدود جامعة مانعة، ولعله أول طرق التعريف من حيث التدرج في حصول المعرفة بالمحدود؛ لأنه (( الطريقة التي تسبق كل طريقة أخرى ، لأنه يستحيل إقامة نسق من القواعد التعريفة دون أن نفترض وجود عدد ما من الألفاظ سبق لها أن اكتسبت معانيها، والتي تتوسل بدورها لتعيين معاني سائر الألفاظ )) ( **فاخوري عادل .1993. ص51**). فالحد التمثيلي يكون بمثابة اللفظ المشترك الجامع لأنواع تدخل ضمنه تضمنيا ولا تطابقه تمام المطابقة، لهذا نلفي **أبو**

**البركات البغدادي** يرى بأن (( التمثيل هو تعريف الشيء بنظائره، وأشباهه والكلي المعقول بجزئياته وأشخاصه ومحسوساته... فكما يعرف الجنس بأنه كالحيوان والنوع بأنه كالإنسان والشخص بأنه كزيد والمثلث بأنه كهذا المخطوط، وفائدته الكبيرة هو أن يورد تبع الأقاويل المعرفة وهي الحدود والرسوم فيكون مفهما لمضمونها لا متمما لمفهومها بإيناسه الذهن بما عزب من ألفاظها وتقريبه عليه بعيد مدلولاتها وجمع له متفرق معانيها وهو كثير النفع في التعاليم لتقريبه على المتعلمين وتخفيفه على المعلمين، ومع ذلك فقلما تحتاج إليه الأذهان القوية أو تلتفت عليه الغرائز الذكية خصوصا إذا ارتاضت في العلوم وتمرنت في الفهم والتفهيم والعلم والتعليم ويعدون كلفة وهذرا في الأقاويل المعرفة )) (**البغدادي أبو البركات.صص. 49.48**) .ولعل هذا كان سببا لرده عند **ابن سبينا** بكونه (( ليس بتعريف حقيقي، بل هو كتعريف وقد يقع فيه الغلط كثيرا)) (**ابن سينا بن علي.2017. ص 74**).لما يمكن أن ينسحب عنه من أوهام وأغلاط جراء عدم معرفتنا بالأمثلة المقدمة عن المحدود وما ينطبق عليه منها انطباقا كليا من جملة الما صادقات. وبناء عليه فان الحد التمثيلي الواصف وسيلة من وسائل التقريب العلمي لإيضاح دلالة المحدود بحسب التمثلات الناتجة عنه، حتى ((وإن لم يحضر الشيء المطلوب عند الحس فقد احضر نظيره وجعل منه عند الذهن ما كان يحصل من ذلك ولو حضر)) (**أبو البركات البغدادي.1357. ص42**). فهو بذلك يعكس الروابط الموجدة بين الحد والمحدود أو اللغة الواصفة واللغة الموضوع. وإذا رمنا الحديث عن هذه الروابط التي تتحكم فيهما فهي قائمة على تضايف حاصل عن وجود تناظر أو تشابه أو علاقة كل بأجزائه وأشخاصه ومحسوساته كما بين ذلك **أبو البركات البغدادي**، وبخاصة عندما حدد مرامه بأنه لغة واصفة فوقية وليس لغة موضوع بكونه مفهما لمضمونها لا متمما لمفهومها؛ لأننا إذا اعتبرناه متمما لمفهومها يكون حديثنا في ذلك عن اللغة الموضوع ولا يكون عن اللغة الواصفة. ولاغرو أن ينهض الممثل بالمثال الذي

(( يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة وإيصاله إلى فهم المستفيد)) (**الجرجاني .2010. ص318**). ولا سيما أن المثال يعلل الممثل تعليلا تاما بما يسمح بتعريفه وإظهار خصائصه.

إذا كان الحد التمثلي عند **أبو البركات البغدادي** معرفة لغوية واصفة بعدية تلي كل معرفة مجردة اعتاص فهمها على الذهن، فانه عند **سيبويه** معرفة قبلية تسبق الحدود المجردة القصد منها تهيئة العقل إلى استقبال المتصورات المجردة، وهكذا يغدو الحد التمثيلي مدعاة لبناء سلم المعرفة النحوية عن طريق تمثيل العلامة النحوية بعلامة أخرى لسانية تعبر عنها، ومن هنا يبدو من التبسيط المخل لفهم هذا المنوال إذا نحن نظرنا إليه على أنه يفتقد إلى (( صفة التجريد فهو أقرب إلى الوصف، ومن ثم هو أقرب إلى النتائج الأولية للاستقراء، لهذا كان تعريف سيبويه مناسبا لمرحلته)) (**خميس الملخ حسن .2002. ص142**) .لأن المثال بما هو تمثيل لشيء مادي هو أساس انبناء التجريد بما هو صورة لذلك الشيء الممثل، فلولا المثال لن يكون هنا صور مجردة؛ لأنه عندما ((يقع التعريف بهيئة صورية ... فيحصل في ذهن السامع هيئة صورية هي المعرفة)) (**شهاب الدين القرافي.1997. ص19**)؛ ولهذا كله لا يمكن أن نفصل الحد التمثيلي عن توطين المعرفة وإرسائها في نفوس أصحابها بوصفه علامات لسانية دالة على علامات لسانية أخرى.

يبدو أن ضرورة الدور الريادي في تحقيق المعرفة والوظيفة الطلائعية لبناء العلم بناء مؤمثلا بات من متطلبات النسق المعرفي، حيث يساعد هذا على إضفاء الوضوح على المتصورات الذهنية وإعطائها حقها من البساطة وتخفيف منابعها من الأوهام المغالية قي التجريد، حيث لا ينبغي أن يكون لها أي امتياز عن الوصف بالمثال لأنها لا يمكن أن تكتسب فاعليتها إلا به. ولهذا كله يرى **الفارابي** أن أصحاب العلوم وأربابها ((ينبغي أن يعلموا الأشياء النظرية بالطرق الاقناعية، وأن كثيرا من النظرية يفهمونها بطريق التخييل، وهي

التي لا سبيل إلى أن يعقلها الإنسان إلا بعد أن يعقل معلومات كثيرة جدا .. فان تلك ينبغي أن يفهم العامة مثالاتها وتمكن في نفوسهم بطريق الإقناع)) (**الفارابي ابو نصر محمد.1995. ص72**). وعليه يسلم **سيبويه** بالمنطق المتدرج في التعريف بالمعرفة النحوية التي تقتضي تجاوز معوقات التجريد بالتمثيل بوصفه مرحلة أولية للإبانة والتوضيح. نلفي لهذا الخيار المعرفي تعليلات عديدة لدى المتأخرين من النحاة منها قول **الزجاجي** : (( وأما سيبويه فلم يحد الاسم بحد بفصله من غيره ولكن مثله فقال والاسم رجل وفرس فقال أصحابه ترك تحديده ظنا منه انه غير مشكل وحد الفعل لأنه عنده أصعب من الاسم)) (**الزجاجي ابو القاسم.1993. ص48**). ومن هنا يعتقد **الزجاجي** أن اكتفاء سيبويه بالمثال عن الحد في الاسم مرده إلى عدم صعوبته مقارنة بالفعل، وبذلك لم يقدم سيبويه للاسم حدا واصفا (**بودرع عبد الرحمن .2000.ص95**)ولا تمييزيا، وبخاصة أن **الزجاجي** ذاته يكتفي بطريقة سيبويه في التمثيل عند حد الاسم بقوله (( الاسم في كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيز الفاعل والمفعول به)) (**الزجاجي ابو القاسم .1993 ، ص48**).ويستطرد **الزجاجي** في ذكر حدود الاسم عند المناطقة ونقدها من جهات عديدة تتبوأر كلها حول مصادرة واحدة تتمثل في كونها خارجة عن أقيسه النحو وأضاعه. ويؤكد مثل هذا الاعتقاد أن المعتبر من البحث في الألفاظ عند النحاة غيره عند المناطقة من حيث هو لغة واصفة، لاختلاف ((بحثي أهل العربية والمناطقة عن أحوال اللفظ، فإن أهل العربية يبحثون عنها على قاعدة لغة العرب، والمناطقة يبحثون عن أحوالها الشاملة لجميع اللغات)) (**العطار حسن.1936. ص84**) .ومن هنا يتبن أن المنطق علم صوري من جهة أنه يسعى إلى استقصاء المعاني المنطقية المشتركة بين اللغات، في حين أن النحو علم تداولي يسعى إلى دراسة ألفاظ اللغة العربية كما استعملها أهلها وأم بها أفرادها المتكلمين، ومن ثمة إذا حصل للمنطقي أن يقارب ألفاظ لغته، فينبغي عليه أن يتوسل لذلك بلغة نحوية واصفة؛(( لان

المنطقي إذا كان نحويا أيضا فله شغل بالألفاظ لكن لا من حيث هو منطقي بل من حيث إنه نحوي )) (**الجرجاني الشريف.2010.ص173**) . وذلك كله لألا تلتبس اللغة النحوية الواصفة باللغة المنطقية الواصفة.

تضطلع هذه المطارحة للحد التمثيلي بمهمة التقريب (( لأنه وكما لا يحسن إرشاد المتعلم إلا بلغته، لا يحسن إيصال المعقول إلى فهمه إلا بأمثلة هي أثبت في معرفته)) (**الغزالي أبو حامد.1961. ص61**).وعليه يكون التمثيل سبيلا سيميائيا إلى حصول المعرفة بما يفيد استحضار متصورات ذهنية لإحالات مرجعية غائبة، ومن ثمة يضطلع بتحويل الواقع العيني إلى واقع ذهني بوصفه متصورا عن طريق المقايسة بين طرفين بينهما مناسبة. وعليه يكون ((للمثال فائدتان، تقريب الشيء الحاصل عند العقل في الوجود وإخراجه من أن يكون باطلا وإيضاح المثل)) (**بن الطيب أبو الفرج .بدون سنة.ص71**). ينضاف إلى هذا أن انبجاس المثال يؤدي إلى اقتصاد الوسائل واختصارها بالنسبة إلى المتعلم، ويكون التمثيل تاليا بلاغة من بلاغات اللغة الواصفة واختزال للمعنى في إقناع المتعلم من عدة جهات هي :

1- سهولة تقريب المثال من ذهن المتعلم .
2- اقتصاد العبارة واختزالها وإفهام المتعلم بأقصر سبل التقريب والإيضاح.
3- تأدية المعنى المراد إيضاحه بتمام الإشارة، لأن المثال يذكر لإيضاح القاعدة بتمام إشارتها (**الجرجاني الشريف.1413.ص 168**).ومن ثمة يستمد الحد التمثيلي فاعليته من الأمثلة التي تسانده .

وبعد فراغنا من إجالة النظر في مزايا حدود الاسم وقضاياه أمكننا القول: إن اللغة الواصفة النحوية للاسم اختلفت أدوات تقريبها ووصفها باختلاف زوايا النظر المحددة لذلك، مما يعكس اضطرابا على مستوى اللغة الواصفة في تحديد الاسم وتباينها تباينا أفضى إلى عدم

الوضوح من حيث المفهوم، ولا سيما أن إحجام **سيبويه** عن وضع حد للاسم واكتفاءه بالتمثيل تمثيلا حقيقا للمسميات المندرجة فيه أدى إلى اختلاف الحدود التي جاءت بعده. بيد أن هذه الإستراتيجية التمثيلية في اللغة الواصفة تعيدنا إلى مربض سيميائيات التفكير النحوي الأول عند سيبويه، لهذا لا يمكن أن يغمط فضلها في إصابة المعنى المراد من المحدود لإسهامها في (( فهم معنى ممثل معين)) (**يوسف أحمد .2005. ص143**).مباشرة عن طريق إدراك موضوعات واقعية بتمام معناه.

## 2- الحد باعتبار قاعدة التمييز أو قاعدة التعريف بالنظير:

في البداية قبل تفصيل القول في توضيح هذه القاعدة، ينبغي توضيح العلاقة بين هذه القاعدة والقاعدة السابقة لأن هناك فرق بينهما، ولا سيما أننا نلفي العديد من تحدث عن هذا النوع في إطار حديثه عن التعريف بالمثال، بكون أن ((النظير يطلق على المثال مسامحة)) (**التهانوي محمد علي.1996.ص1448**). لأن الظاهر من حيث معناه اللغوي أنه يدل على المثال بالنظر إلى ذاتيهما، لذلك صلح النظير أن يدل على المثال، لكن مع العلم أن النظير خارج عن ذات ما يناظره والمثال منسلخ عن ذات ما يمثله، لأنه إذا قوبل النظير بالمثال (( بأن يقال: هذا نظير له لا مثال له مثلا لا يراد به المثال بل يراد به أنه نظير له أي شبيه له)) ( **التهانوي محمد علي.1996. ص1448**). وإذا ثبت أن الكيفية التي يأتي عليها النظير للمثل لا تتعلق بذاته، لزم أن تتعلق هذه الكيفية بمنزلته من خلال استثمار التقابل معه على أساس المشابهة. ولعل هذا ما جعل أبو البركات البغدادي يعتبر أن الحد بالنظير هو جزء من الحد بالتمثيل، بكونه أنه ((تعريف الشيء بمشابهاته لشيء واحد في كل حال، وذلك هو نظيره وإن خالفه في أوصافه بأقلية أو أكثرية وشدة أو ضعف.... والتعريف بالأشباه هو انتظام التعريف من مشابهات عدة ومخالفات الأشياء)) ( **أبو البركات البغدادي.1375. ص.48**).إن التعريف بالنظير هو تمثيل يقوم على أساس المشابهة ولا

يقوم على أساس الجزئية، مما يكتسب جراه معنى قيمي تقابلي يبين وجوه التميز بين اثنين يتشاركان في النسبة إلى قسمة واحدة، حتى يقتدر الواصف على أن يجرد معنى من معنى آخر سواء تعلق الأمر بمعنى الممثل أم بمعنى النظير.

يرى **التهانوي** أن الفرق ((بين المثال والنظير أن مثال الشيء لا بد أن يكون جزئيا من جزئيات ذلك الشيء، ونظير الشيء ما يكون مشاركا له أي لذلك الشيء في الأمر المقصود منه، ويكونان أي النظير وذلك الشيء جزئيين مندرجين تحت شيء آخر)) ( **التهانوي محمد علي. 1996.ص1447**). وإذا وعينا هذا كله على التفصيل، تبين أن الالتباس الذي يقترن بالنظير ويصله بالمثال، فاصلا بينه وبين ما يمثله، على اعتبار أن المثال كما سلف يقوم بالتوضيح من خلال تماهيه مع ما يمثله تماهيا جزئيا، بينما النظير يتعلق مع ما يناظره على اعتبار نسبة تشاركية بينهما، يكونان بها جزئيين مندرجان تحت قسمة واحدة، كما هو الحال في الاسم والفعل والحرف المندرجين تحت قسمة الكلم. وينبثق الاختلاف بين المثل والنظير حسب **أبو هلال العسكري** ((أن المثلين ما تكافآ في الذات... والنظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله وهو متمكن منها)) (**العسكري أبو هلال .1994. ص168**). بمعنى أنهما يشتركان في الماهية لهذا جاز أن يمثل بالواحد إلى الآخر، أما النظير فلا يقترن بما يناظره إلا من جهة اللوازم والأعراض لاختلافهما في الماهية. وعليه حقيقة يكون النظير أداة واصفة للفظ بما يقابله فهو ((عبارة عن تشبيه ما يطلق عليه اللفظ المعرف بشيء يشابهه في أكثر أوصافه المعتد بها)) (**المقصودي أحمد الهادي .بدون سنة.ص57**). ذلك أن به يتحدد قيمة كل لفظ واصف من خلال لفظ واصف آخر، مما يصير سببا لمعرفة الائتلافات والاختلافات بينهما، فلا يكون لهذين اللفظين طرفان متباينان وحسب، وإنما منازل متفاوتة بينهما، وكأننا نخبر بالنظير عما يناظره، فيكون لدينا لفظ واصف للفظ واصف يتحول بذاته إلى لفظ موضوع. وكما أن مناظرة الشيء لغيره لا تترتب عنها مماثلة

لغيره، وإنما تترب عنها مفارقته له، لهذا كان التفريق ينوب عن التنظير ويحل محله في الوصف حسب ما ذهب إليه أحمد **الهادي المقصودي**؛ لأنه (( عبارة عن بيان ما به الفرق بين ما يطلق عليه اللفظ المعرف وبين ما يشابهه بحيث يشتبه أحدهما بالآخر)) (**المرجع نفسه. ص58**). فعند سؤلنا عن الفرق بين الاسم والفعل نقول: إن الفعل إما ماضي أو حالي أو استقبالي، والاسم ما هو مجرد عن هذه الأزمنة الثلاثة، نكون بذلك قد ميزنا بينهما تميزيا تفريقيا.

وانطلاقا من هذا كله يرى **البطليوسي** أن حد **سيبويه** كان حدا تفريقيا أو حدا تناظريا من جهة أنه وإن لم يصرح بحد له، إلا أنه بحد الفعل والحرف في مقابل ذلك يكون قد حد الاسم، ويلخص **البطليوسي** هذه القاعدة بقوله: (( وكأنه جعل تعريته من حد الفعل وحد الحرف حدا له... فالأشبه عندي أنه جعل تعريته من الحد كالحد له)) (**البطليوسي ابن السيد.بدون سنة.ص76**)، وهذا عين ما ذهب إليه **الزمخشري** بقوله: (( وكأنه لما حد الفعل والحرف تميز عنده الاسم)) (**الزمخشري ابو القاسم.1993.ص71**) .وإذا استعملنا بهذا الصدد اصطلاح أهل السيميائيات المعاصرين وتحليل الخطابات، جاز لنا أن نقول بان هذه المنوال الإجرائي الذي اعتمده **البطليوسي** يتناسب اليوم مع عكفت عليه نظرية التحليل السيمي أو المؤلفاتي من خلال تحديد سمات الألفاظ ومعانيها انطلاقا من معرفة السمات الفارقة التي تميزها عن وحدات أخرى تنتمي إلى الحقل الدلالي نفسه في إطار ما يجليه مبدأ القيمة السيميائي الذي وضعه دوسوسير، فالعلامة لا يمكن إدراك كنهها إلا في إطار ما تجليه معرفة العلامات الأخرى داخل النسق اللغوي، وبما أن النحو نسق لغوي فلا يمكن معرفة علامة فيه إلا بمعرفة العلامات الأخرى، فمعرفة الحرف والاسم بوصفهما دوالا تنوب لنا عن معرفة الاسم بوصفه مدلولا. يرى **البطليوسي** من جهة أخرى أن علة اختيار الاسم دون الفعل والحرف هي لزوم معرفة الفروع لا معرفة الأصول ، لأن (( الاسم هو

الأصل والفعل والحرف فرعان عليه، لأن كل واحد منهما يحتاج إليه والفرع يحتاج إلى بيان أكثر مما يحتاج إليه الأصول، ألا ترى أن التأنيث لما كان فرعا على التذكير احتاج إلى علامة تشعر بتأنيثه ولم يحتج التذكير إلى علامة تشعر بتذكيره، وكذلك الجمع والإفراد والتثنية والنسب وما أشبه ذلك )) (**البطليوسي ابن السيد،بدون سنة ، ص.76**) .ومن هنا تظهر علاقة الأصل بالفرع هي علاقة استتباع، لأنها تقتضي أن (( يكون المنظوم الفرعي حاصلا من المنظوم الأصلي بطريق الاستلزام المنطقي)) (**عبد الرحمن طه.1998. ص70**). ولا غرابة أن يستدل عن الأصل بالجزء لكون الجزء يتعدى إلى الأصل أو الكل، ويمكن أن يعبر عنه تعبيرا جزئيا، لهذا لا يحتاج الأصلي إلى علامات دالة بقدر ما يحتاج إليها الجزئي بوصفها لوازما دالة على الأصلي، ومن هنا تكف معرفة الجزئي عن معرفة الكلي. إن عملية الانتقال السيميائي من العام إلى الجزئي تحتاج إلى علامات معنوية غير ظاهرة، بعكس الانتقال من الجزئي إلى العام الذي يحتاج إلى علامات لفظية ظاهرة كما بينها **البطليوسي** في التعريف السابق. وعند محاولة إقامة بعض الروابط إن صح ما نفعل يمكن القول: إن حد سيبويه والزجاجي هو حد بالتمثيل يستند إلى ما هو موجود في العالم الخارجي أو إلى المرجع أو بالأحرى نجده ينفتح عن الوقائع الخارج لسانية، أما الحد الثاني المقدم من لدن البطليوسي ينكفئ على العبارة النحوية ذاتها، ويستفيد من أبعادها الداخل لسانية بدون الاحتكام إلى التمثيل وما إلى ذلك ، مستعيرا قاعدة إمكان المعرفة بالتعارض التي تؤكد على ضرورة (( إلحاق الشيء بأشباهه)) (**سعيد ابن هبة البغدادي.بدون سنة.ص64**) .حيث لا يمكن معرفة الشيء إلا بنظيره ومعرفه نظيره تكفى عن معرفته اطرادا.

### 3– اللغة النحوية والتعاريف الشارحة:

لقد تنبه النحاة العرب إلى أهمية الشرح بكونه طريقا موصلا إلى التعريف الحقيقي، ذلك أن معرفة الحدود لا تتم إلا بمعرفة معاني الألفاظ الحاملة لها، والألفاظ الحاملة

لهذه المعاني لا يمكن أن تُعرَف دلالتها إلا بألفاظ أخرى شارحة ومفسرة لها، (( والحاصل أن الماهية قد تتبين بأجزائها كتبيين الإنسان بالحيوان الناطق، وقد تبين بوجه من وجوهها كتبيين الإنسان بالضاحك، ومن وجوه تبين ما يتألف منها الكلام العلامات)) (**ابن زين الدين العلمي يس .1326. ص18**). ومن هنا يظهر أن عملية الشرح تستتب في حنايا الحدود برمتها، وتختلف باختلاف طرق التعريف الموصلة إلى فهم المعرَف.

إن افتقار الحدود النحوية للشرح واختزالها طلبا للإيجاز، قد يضير بمعنى الحد النحوي ويجعله حدا خداجا غير شامل للمعنى الموضوع له، وهذا ما لاحظه **الاستراباذي** عن حد **ابن الحاجب** للاسم؛ فقوله الاسم ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة يعد في نظر الاستراباذي إهمالا لا يحسن في الحدود، ذلك أن عبارة (الأزمنة الثلاثة) تبقى قاصرة عن أداء معناها ما لم تشرح، (( وإنما لم يفسر قوله: الأزمنة الثلاثة لشهرتها في الماضي والمستقبل والحال، والحق أن مثل هذا الإهمال لا يحسن في الحدود، وكذا لفظ الاقتران مهمل غير ظاهر فيما ذكرنا من تفسير)) (**الاستراباذي محمد أمين .1996.ص40**). ومن هنا يكون التوسع في شرح الحد حتى ولو كان حدا منطقيا يبادر بالإيجاز ضرورة منهجية تفرض نفسها على واضع الحد طلبا للوضوح.

لقد تعامل النحاة مع مفهوم الشرح والتفسير بأنهما سيان من حيث دلالتهما، ذلك أنك (( إن قلت شرح الشيء تفسيره مع أنه لم يفسر ما يتألف منه الكلام، أجيب بان ذكر علاماتها متضمن لتفسيرها ، فان قوله الاسم مثلا ما يتميز بكذا في معنى الاسم ما يقبل كذا وهذا تفسير له)) ( **المرجع نفسه، ص.41**). ومن هنا يكون تعريف الشيء بمميزاته وعلاماته وتحليلها من خلال إيراد جزئيات المعرَف أو من خلال الاستعاضة بشرح اللفظ بلفظ آخر ((كما حصل في مصطلح الكلام قائلا ويسمى الجملة، فقط للتقريب اقتناعا منه أن الجملة جزء من الكلام)) ( **عثمان رياض.2010 . ص144**). ولعل هذا ما يعرف

**بالتعريف بالترادف** الذي يعمل على إيراد لفظ واصف للفظ آخر، ولعله ما يعكس تنويعا أسلوبيا على مستوى اللغة الواصفة حسب **شارل بالي**، ذلك أنه يعنى (( استغلال المتتاليات الترادفية والقياسية لتطوير فكرة أولى يراد التعبير عنها بتفصيل أكبر )) ( **مونان جورج .2012. ص146**). وعليه يكون الشرح Paraphrase عبارة عن تفصيل للمجمل من خلال ذكر ما هو (( أطول منه أو من ترجمته. إذا احترم جوهره نسميه تفسيرا واصفا métaphrase)) (**المرجع نفسه، ص.146**). ومن ثم ينبغي أن نميز بين التعريف بالترادف والشرح Paraphrase، ذلك أن التعريف الترادفي يستند إلى ذكر المعادل المفرد وحسب، والشرح يسعى إلى تقديم جملة تسعى إلى شرح مفرد أو شرح جملة سابقة لها من خلال تكثير العبارة وتحليلها إلى مجموعات من الدلالات التي تشكل محتواها.

إذا كان الشرح paraphrase مجرد اسم آخر لما كان شائعا في الدراسات القديمة تحت ما يسمى بالجمل المرادفة الواصفة، ((فإنه إذا لم يكن هناك توارد redondance وحسب، فان كل نص جديد هو شرح، أو طريقة أخرى، أو تعبير أفضل عن الفكرة ذاتها)) (Rey-Debove Josette.1997. p100). ولهذا كله فإن الشرح يعمد إلى إعادة صياغة الجمل متى كان هناك غموضا يعتورها، فتكون الجملة الواصفة شارحة للجملة الأولى من خلال فك سننها، وهذا ما يضفى نوعا من الوضوح حولها. وما يعنينا من هذا كله أن عملية الشرح والتفسير تتجاوز حدود إعادة إنتاج العبارة بلغة أخرى مرادفة وحسب، وإنما ترمي إلى خلق نص جديد (( يجعله يتجاوز الإبانة والكشف والتوضيح ليصل إلى الاستدلال والتعليق)) (**توفيق قريرة.2003.ص 147**). فليست الإضافات الشارحة سوى تفسيرات؛ لأنها تعمد إلى إضافة متصورات جديدة تزيد بناء نظريا جديدا فوق ذلك البناء المتصوراتي، فتكون بذلك عملية الشرح آلية من آليات إنتاج المعاني والمتصورات النحوية.ومتى علمنا أن الشرح يعمد إلى الزيادة بالتفسير، علمنا أن ذلك لا يظهر إلا باستعمال مجموعة من

الاستعمالات اللغوي على مستوى النص النحوي، لذلك نلفى توارد مجموعات من الألفاظ التي تصب في هذا المعنى من مثل قولهم: " والمتبادر من هذا القول، "وبهذا تظهر صحة تقدير الشارح" و "أي" و"وبمعنى"، "والمراد بقوله"، إن هذه الاستعمالات تبين عن جزء من العبارة الشارحة التي تحيل إلى اللغة الواصفة، لكن مع العلم أن هذا يتم بأحد الطريقين من جهة الاستعمال، فإما أن يعقب العالم على كلامه بذاته ، ويزيد في شرحه إن دعت إلى ذلك ضرورة، وإما أن يضاف على كلامه من قبيل عالم آخر يأتي على شرح كتابه أو التعليق عليه، وهذا ما يظهر في الشروح والحواشي والمتون والتعليقات النحوية.

يشير **سيبويه** في باب الحكاية إلى آلية من آليات اللغة الواصفة التي ترتبط ارتباطا مباشرا بعملية الشرح وتستتب في حنايا الخطاب النحوي، ذلك أن ما يسميه سيبويه حكاية يمكن أن يعد دلالة تقريرية، بكونه يحيل إلى شرح العبارة النحوية ووصفها وصفا داخليا عماده التوضيح بالإيجاز، ذلك أن الحكاية دخلت الكلام على حد تعبير **ابن الأنباري** ( ت.577هـ)؛ لأنها (( تزيل الالتباس وتزيل التوسع في الكلام)) (**ابن الأنباري أبو بكر. بدون سنة. ص390**). ومن هذا المنطلق فالحكاية تعني دلالة اللفظ دلالة ذاتية تحيل إلى العبارة اللغوية ذاتها، حيث يقترن ((مصطلح الحكاية بما يشرحه اقتران النعت بمعنوته حتى بدا المصطلح وكأنه المركب بأكمله لجمعه جمعا غير متفاصل بين المدخل)) (**قريرة توفيق .2003.ص151**).

وإن أبنا إلى **سيبويه** نلفيه يراهن على الوظيفة الشارحة، ولا سيما أنه يعمد في أبواب كتابه إلى توضيح المتصورات النحوية عن طريق ذكر المجمل العام من الظاهرة اللسانية المراد توضيحها، ثم يعمد إلى إتيان التفصيل وما يعززها من أمثلة وشواهد واصفة، (( وربما تخلل عرض التفاصيل عبارات تفسيرية، تبدو كالاستطراد، كالذي حين تجمع المجاري الثمانية في ضروب أربعة، ثم تبسط الفوارق بين ما يكون إعرابا لعامل قبله، وما هو بناء لغير شيء

أحدثه من العوامل، ثم يعرض اختصاص مجاري الإعراب، قبل تفصيل تلك المجاري المذكورة في الأسماء والأفعال والحروف. وهذا الاستطراد يلقى بين الإجمال والتفصيل تمهيدا لما سيرد في الثاني من ظواهر تقتضي البيان، وإزالة لما سيكون من لبس فيه)) (**الدين قباوة فخر.2006. ص76**). إن الاستطراد أو الإطناب في القول النحوي يضطلع بدور تعريفي يعمد إلى تقريب المتصورات المعرفة وألفاظها تقريبا موسعا يأتي على ذكر التفاصيل والجزئيات.وإذا أردنا التمثيل إلى هذا المنوال التعريفي عند سيبويه، فمثلا في تعريفيه للفعل يشير ضمنيا إلى تبنيه طريقة التفسير والتبيين، إذ يقول (( فهذه الأمثلة من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله)) (**سيبويه عمر بن عثمان.2011. ص12**). ولا ريب إذن، أن المفاهيم لم تكن شائعة لدى العامة من الناس، بحيث يحتاج ذكرها إلى إسناد توضيحات وتفسيرات حولها، لهذا يضيف على القول السابق قولا حول معنى الأحداث؛ فيقول: (( والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل)) (**المرجع نفسه. ص90**). فالأمثلة السابقة جاءت بقصد التفسير والتوضيح بكونها من الشواهد النحوية الواصفة للمحدود وصفا تقريبيا، (( فهي أمثلة في مواطنها، وشواهد في حقيقتها الأصلية، لأنها من كلام العرب القدماء، أوردها الباحث كما صدرت عنهم، ولم يتدخل في صياغتها أو تركيبها)) (**قباوة فخر الدين .2006.ص89**). ومن ثمة كانت هذه الأمثلة الشارحة تتوخى التبسيط للدلالة على ما تدل عليه مباشرة، (( على غرار ما تقتضيه أساليب البحث والتعليم الواضحة، الخالية من التعقيد والمعاظلة، في التمثيل والتنظير والبيان)) (**المرجع نفسه. ص90**). ولعل إدراك **سيبويه** لطبيعة اللغة التي ينتجها ومدى استغلاق أوضاعها عن المتلقين، ما جعله ينحو نحوا تيسيريا في تعداد الأمثلة وتكرارها.

**و من يمكن أن يدخل في باب شرح النحوي ذاته لمصنفه، الذي يعتمد فيه على أسلوب المحاورة من خلال افتراض السؤال والجواب عليه بشرح يأتي على بيانه، فقوام**

**هذا الطريقة الشارحة (( المجاوبة وهو مداولة الجواب ومراجعته)) (بن علي يعيش.2001.ص52) ، من خلال افتراض أسئلة حول أقوال نحوية يقتضي شرحها، ولعل هذا ما يعكس علاقة كتاب بكتاب آخر للمؤلف ذاته، فيكون الكتاب ثاني برمته كتابا شارحا للأول واصفا له، وهذا ما فعله ابن هشام في كتابه " شرح قطر الندى" الذي جاء شارحا لكتاب قطر الندى، يطلق عليها اسم النكت، بقوله (( فهذه نكت حررتها على مقدمتي المسماة قطر الندى وبل الصدى، رافعة لحجابها، كاشفة لنقابها، مكملة لشواهدها، متممة لفوائدها كافية لمن اقتصر عليها..)) ( الأنصاري ابن هشام.1994. ص36). إن منوال المحاورة يتوافر على قيمة حجاجية تنحوا إلى الاستناد إلى التسلسل المنطقي المفترض بين السؤال والجواب، ومن أمثلة ذلك يقول ابن هشام : (( فان قلت: فلم لا اشترطت في الكلمة الوضع ، كما اشترطت من قال الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد؟ قلت: إنما احتاجوا إلى ذلك لأخذهم اللفظ جنسا للكلمة، واللفظ ينقسم إلى موضوع ومهمل؛ فاحتاجوا إلى الاحتراز عن المهمل بذكر الوضع، ولما أخذت القول جنسا للكلمة– وهو خاص بالموضوع– أغناني ذلك عن اشتراط الوضع)) (المرجع نفسه.ص38).**

إذا كان المرادف –كما أشرنا من قبل– يقوم بشرح اللفظ بلفظ مكافئ له ولو على وجه التقريب، فإن الشرح يتجاوز الشرح بالكلمة المفردة إلى عرض تفاصيل المعَرف، وهو في هذا يشترك مع التعريف المنطقي التام، إلا أنه لا يحتوى على ألفاظ منطقية تتوخى حصر الماهية واستغراقها استغراقا منطقيا، وإنما يسعى إلى تحليل العبارة وتجزئتها إلى مجموعة من الكلمات التي لا تحتكم إلى معيار محدد من حيث كميتها وقدرها، وبهذا نلفيه طلبا لزيادة الإيضاح ينقض مبدأ الإيجاز الذي يعد أهم دعائم التعريف المنطقي، فيمكن أن تتوالى الجمل الشارحة تواليا مطنبا بقدر الذي يستوفى المعنى ويحلله على آخره، ومتى علمنا أن ((

من كان قادرا على بلاغة الإيجاز كان قادرا على بلاغة الإطناب)) (**ابن علي يعيش. 2001.ص39**). علمنا أن القدح في الإطناب بالنظر إلى قاعدة الإيجاز المنطقية لا يصح مدام الإطناب يتوافر على قدر غير قليل من البلاغة في التعبير والإيضاح التي يتوافر عليها الإيجاز. ولاسيما أن (( الإطناب بلاغة والتطويل عي، فأما الإطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل، فان لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعا يكون به أولى من الآخر)) (**الرماني أبو حسن. 1976. ص78 ، 79**). وفي هذا المعنى جاء لفظ التلخيص في الاستعمال العربي يدل على معنى الشرح والتبيين ( **المرجع نفسه.ص68**)، على الرغم من أن الشائع أن يفهم منه معنى الاقتضاب والإيجاز بدلا من الشرح. ومن هذا المنطلق يرى **ابن يعيش** في شرحه لكتاب المفصل لزمخشري أن ما سيكون بصدده من شروح وتفاصيل، ليس لكونها قاصرة لا تستوفي المعاني النحوية، وإنما طلبا لزيادة التفصيل والشرح وحسب، لان القدماء من النحاة جاءت عبارتهم الواصفة موجزة ولو شأوا أن يطولها لطولها، ولكن لمتطلبات معرفية تركوها على إيجازها، ولعل ذلك ما يعلله الخليل بن أحمد بقوله: (( من الأبواب ما لو شئنا أن نشرحه حتى يستوي فيها القوى والضعيف لفعلنا، ولكن يجب أن يكون للعالم مزية بعدنا)) (**المرجع نفسه. ص39**). إن الشرح النحوي هو عبارة عن نوع من التبرير والتعليل للظواهر اللسانية التي لم يأت عليها النحاة الأوائل على شرحها وتفسيرها.

إن معنى لفظ الشرح في المدونة النحوية جاء بمعنى التعريف الواصف، ولعل ذلك ما نلفيه عند **ابن السرج** مثلا في كتابه الأصول، الذي يستعمل فيه لفظ الشرح كمقابل للفظ التعريف،مع العلم أن المراد من لفظ الشرح عنده ليس الإطناب والتكثير في طلب المسائل النحوية كلها، وإنما (( ذكر العلة التي إذا اطردت وصل بها إلى كلامهم فقط، وذكر الأصول والشائع، لأنه كتاب إيجاز)) (**ابن السراج أبو بكر.1996.ص32**). والملاحظ كما قلنا

انه عبر كل أجزاء كتابه يستعمل لفظ الشرح ولا نجد ذكرا للفظ التعريف البتة، فمثلا في تعريفه للاسم يقول (( شرح الاسم ما دل على معنى مفرد، وذلك المعنى يكونا شخصا، وغير شخص، فالشخص نحو: رجل وفرس وحجر وبلد وعمر وبكر، وأما ما كان غير شخص فنحو الضرب والأكل والظن...الخ)) (**المرجع نفسه. ص32**). إن الشرح هنا اتبع طريقة توضيحية بادرت بذكر معنى مشترك عام يتداخل فيه كل الأسماء، إلا أن هذا المعنى المشترك يقسم تقسيما تجزيئا إلى أنواعه الداخلة فيه من خلال عرض المثال عرضا تفصيليا يأتي على تقسيم الاسم من حيث دلالته على شخص وغير شخص، ثم يبادر بضرب الأمثلة الشارحة على طريقة **سيبويه** في تعريفه للاسم.

إذا كان التعليل والمثال مطلبا بيداغوجيا من مطالب الشرح عند بعض النحاة كما رأينا، فان **أبو حيان الأندلسي** ( ت.745هـ) يرى أن التقريب لا يتم إلا بالإيجاز، لهذا نلفيه في كتابه تقريب المقرب يعمد إلى تخليصه من الإطناب، وذلك ما يقره بقوله: (( وجردته أحكاما مختصرة اللفظ، ميسرة للحفظ، قريبة المنال، عارية من التعليل والمثال)) (**الأندلسي أبو حيان.1982.ص39**). ولعل لهذا الخيار منحى بيداغوجيا يتوخى اختصار العبارة ليسهل حفظها من لدن المتعلمين. إلا أنه وعلى الرغم مما يعتور الشرح من تطويل مضموني، فانه يبقى شكل (( من أشكال توضيح المتصورات وتقريبها إلى أذهان المتلقيين، فكان (دوره) الأساسي بيداغوجيا قبل أن يكون مضمونيا)) ( **قريرة توفيق . 2003.ص152**). وعليه متى كان الإيجاز ميسرا للحفظ كان الشرح والتفصيل مسهلا للفهم ما لم يكن فيه تكرارا عفويا غير معلل بيداغوجيا. وعليه تاليا فالشرح يروم إبانة المتصورات النحوية وتميزها تميزا دقيقا، ليس على طريقة الأوضاع المنطقية، وإنما بمنوال نحوي خالص، مما جعله في نظر الكثير من المتقدمين من النحاة ضربا من ضروب التعريف التقريبي وحسب.

**مراجع:**

ابن الأنباري أبو بكر.(بدون سنة).أسرار العربية، تح. محمد بهجة البيطار،مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق .

ابن السراج أبو بكر،(1996), الأصول في النحو،ط3, تح. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة.

ابن زين الدين العلمي يس ،1326هـ. حاشية ياسين على شرح التوضيح.ط2.المطبعة الازهرية المصرية.

ابن سينا بن علي، منطق المشرقيين.الهنداوي.المملكة المتحدة.

ابن علي يعيش،(2001). شرح المفصل.ط1.تحقيق ايميل بديع يعقوب.دار الكتب العلمية.بيروت لبنان.

أبو البركات البغدادي،(1357). المعتبر في الحكمة.دائرة المعارف العثمانية.حيدرة اباد.

ابو القاسم السهيلي ,(1992), نتائج الفكر في النحو،ط1 , تح عادل احمد عبد الموجودوعلي محمد معوض,دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

الاستراباذي محمد أمين ،(1996) .شرح الكافية،ط2 ,تح .يوسف حسن عمر ,قاري نيوس ,بنغازي ليبيا.

الأندلسي أبو حيان ،(1982), تقريب المقرب،ط1, تح. عفيف عبد الرحمن، دار المسير، بيروت، لبنان.

الأنصاري ابن هشام،(1994), شرح قطر الندى وبل الصدى،ط1, المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

البطليوسي ابن السيد،(بدون سنة). الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل،تح سعيد عبد الكريم سعودي,دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت.

البطليوسي،(2007). رسالة في الفرق بين الاسم والمسمى.ط1, ضمن : رسائل في اللغة، تح. وليد محمد السرقابي، مركز فيصل للبحوث والدراسات، الرياض.

بن الطيب أبو الفرج، تفسير كتاب إيساغوجي لفرفوريوس، تح كوامي جيكي، دار المشرق، بيروت لبنان.

بن علي يعيش،(2001), شرح المفصل،ط1,ج1,تح.اميل بديع يعقوب,دار الكتب العلمية,بيروت لبنان.

بودرع عبد الرحمن.(2000).الاسس المعرفية لغوية العربية.ط1منشورات نادي الكتاب.تيطوان.المغريب.

التهانوي محمد علي،(1996), كشاف اصطلاحات الفنون، تح رفيق العجم بيروت ناشيونال ,بيروت لبنان ,ج 1.

توفيق قريرة(2003)، المصطلح النحوي وتفكير النحاة، ط1، كلية الآداب ،جامعة منوية، دار محمد على ، تونس.

الجرجاني الشريف ،(2010), حاشية على شرح الشمسية ، شروح الشمسية وحواشيها، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

الجرجاني الشريف، (1413). التعريفات.تح محمد صديق المنشاوي.دار الفضيلة.القاهرة.

حسن خميس الملخ،(2002), التفكير العلمي في النحو العربي، ط1، دار الشروق العربي،عمان، الأردن .

خير الحلواني محمد .(2011)، أصول النحو العربي، إفريقيا شرق، المغرب، ص.105.

دولدال جيرار ،(2011),السميائيات أو نظرية العلامات ,ط2,تر عبد الرحمن بو علي , دار الحوار للنشر والتوزيع .

الدين قباوة فخر ،(2006). تحليل النص النحوي، دار الفكر،دمشق، سوريا، ط2،

الرماني أبو حسن،(1976), النكت في إعجاز القران، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران،ط3, تح. محمد خاف الله احمد و محمود زغلول سلام، دار المعارف، مصر، القاهرة.

الزجاجي ابو القاسم،(1993), الإيضاح في علل النحو،ط3, تح مازن المبارك , دار النفائس ,بيروت ,لبنان.

الزمخشري ابو القاسم،(1993). المفصل،ط1. مكتبة الهلال – بيروت.

سعيد ابن هبة البغدادي,(بدون سنة).الحدود والفروق، تح ,غلام علي يعقوبي , مجمع البحوث الاسلامية , بيروت لبنان.

سيبويه عمر بن عثمان، (2011).الكتاب،ج1، سيبويه، الكتاب ، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر ، القاهرة، ، ط3.

شهاب الدين القرافي،(1997).المحصول في علم الأصول.ط1.تح مكتب البحوث والدراسات.دار الفكر للطباعة والنشر.بيروت.لبنان.

طاهر **بن** أحمد **بن** بابشاذ ،(بدون سنة).شرح المقدمة المحسبية،تح خالد عبد الكريم ,المطبعة العصرية بالكويت , ج1 .

عبد الرحمن طه ،(1998).اللسان والميزان،او التكوثر العقلي ,ط1, المركز الثقافي العربي لبنان المغرب .

عثمان رياض.(2010)، المصطلح النحوي وأصل الدلالة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

العسكري أبو هلال ،(1994), الفروق، ط1, تح أحمد سليم الحمصي، مطبعة جروس براس ، طرابلس، لبنان.

العطار حسن،(1936), حاشية العطار, على تهذيب المنطق والكلام،مطبعة البابي الحلبي وأولاده .

الغزالي أبو حامد،(1961), معيار العلم،تح سليمان دنيا ,دار المعارف القاهرة مصر.

فاخوري عادل ،(1993), منطق العرب،ط3 ,من وجهة نظر المنطق الحديث ,دار الطليعة بيروت لبنان .

الفارابي ابو نصر محمد،(1995) ,كتاب تحصيل السعادة،،ط1, تح أبو على ملحم، دار ومكتبة الهلال، لبنان.

قباوة فخر الدين ،(2006), تحليل النص النحوي،ط2 ,دار الفكر دمشق سوريا.

الكفوي أبو البقاء ,(1998) ,الكليات،ط2, تح. عدنان درويش و محمد المضري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

مقبول إدريس ،(2006), الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه،عالم الكتاب الجديد وجدار للكتاب العالمي ,الاردن.

المقصودي أحمد الهادي ،(بدون سنة) ميزان الأفكار،منشورات kabahb ,روسيا.

مونان جورج ،(2012). معجم اللسانيات،ط1. تر. جمال الحضري.مجد لدراسات والنشر والتوزيع.بيروت.لبنان.

يوسف أحمد ،(2005) ، الدلالات المفتوحة، منشورات الاختلاف،ط1, المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، الجزائر، لبنان، المغرب.

يوسف أحمد ،(2005), السيميائيات الواصفة، ط1, منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، الجزائر ، لبنان، المغرب.

Rey-Debove Josette.(1997). La synonymie ou les échanges de signes comme fondement de la sémantique. In: Langages, 31e année,n°128.